سلسلة رواد التقريب ٢



الامام كاشف الغطاء

محمد جاسم الساعدي

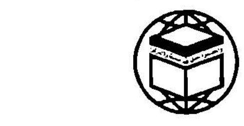


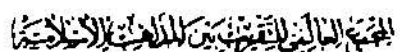

بسم الله الرحمن الرحيم



تأليف
محمّد جاسم الساعدي

سرشناسه : ساعدی، محمد جاسم.
عنوان و پدیدآور : کاشف الغطاء امام الوحدة والاصلاح/تألیف محمد جاسم الساعدی.
مشخصات نشر : تهران: المجمع العالمي للتقریب بین المذاهب الإسلامیة، المعاونیة الثقافیة، ۱۳۸۶.
مشخصات ظاهری : ۲۴۰ص.
شابک : 978-964-8889-90-1
وضعیت فهرست‌نویسی : فیپا.
یادداشت : کتابنامه: ص [۲۱۱]ـ ۲۳۶؛ همچنین به صورت زیر نویس.
موضوع : آل کاشف الغطاء، محمد حسین، ۱۸۷۷ ـ ۱۹۵۴م. سرگذشتنامه.
موضوع : مجتهدان وعلما - - سرگذشتنامه.
موضوع : اصلاح طلبان.
موضوع : اسلام - - تجدید حیات فکری.
موضوع : تقریب مذاهب.
شناسه افزوده : مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی، معاونت فرهنگی.
رده‌بندی کنگره : ۲س۱۷۶آ /۵۵/۳ BP.
رده‌بندی دیویی : ۲۹۷/۹۹۸.
شماره کتابخانه ملی : ۱۰۲۵۵۱۵.





اسم الكتاب: كاشف الغطاء إمام الوحدة والإصلاح
تأليف: محمد جاسم الساعدي
الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – المعاونية الثقافية
الطبعة: الاولى – ١٤٢٨ هـ ق ٢٠٠٧ م
الكمية: ٢٠٠٠ نسخه
السعر: ١٧٠٠ تومان
المطبعة: نيرو
ردمك: ٩٧٨-٩٦٤ – ٨٨٨٩ – ٩٠ – ١ ISBN: 978-964 – 8889 – 90 – 1
العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - ص. ب: ٦٩٩٥ - ١٥٨٧٥
تلفكس: ١٤ – ٨٨٣٢١٤١١ – ٢١ – ٠٠٩٨

مقدّمة المجمع

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ليس من قبيل الصدفة عدم خفاء دور القادة المفكّرين وعظماء التاريخ العلمي والأدبي في إيجاد الحركات النهضوية والتحوّلات الفكرية والفلسفية الكثيرة في العالم، وما تعكسه من آثار متعدّدة الجوانب على مسيرة البشرية، وتطوّرها على كافّة الأصعدة؛ إذ في غالب الأحوال ثمّة ظروف تعين هؤلاء العظماء على المدّ في تحرّكهم ودفع عجلة نشاطاتهم بالاتّجاه الذي يرغبون فيه، يضاف إليه الأوضاع المعقّدة التي قد تدعو الناس إلى محاولة التغيير ولو بصورة معيّنة وعلى نطاق محدود.

فكلّ تلك العوامل تزيد من مدى طواعية الجماهير باتّجاه هذا القائد الفكري، وتحثّ من خطاه نحو إكمال مسيرته. هذا إذا أضفنا إلى مجموع ما مرّ شخصية القائد الجذّابة، والخصائص الفذّة التي يتمتّع بها.

من الصعب أن تشهد رجالاً من هذا الطراز قادوا «انقلابات» فكرية وثقافية في مجتمعاتهم مع وجود المال والناصر.

لكن أن تجد رجالاً قاموا بنهضات وحدوية بمفردهم، وجمعوا شتات أُممهم العريضة بهمّة عالية أثارت إعجاب الآخرين، فهذا هو الصعب والعسير المنال؛ لأنّهم لم يسندوا تحرّكاتهم على الرجال والأنصار، ولم يجلسوا على كنوز الذهب التي تترى علىٰ البعض من جهات مختلفة.

إنّ المصلحين العظام لم يقودوا حملاتهم النهضوية ضمن فئات محدودة أو جماعات قليلة ليدرجها المضطّلعون في خانة المساعي الهيّنة، بل كانت دعوات بعضهم

تشمل أطراف الأُمّة الكبيرة التي يبلغ تعداد نفوسها أكثر من مليار نسمة! هذا إذا أضفنا إلى ذلك الجماعات والجهات المخالفة التي لم تأن في استخدام كلّ ما لديها من الحيل لنزع فتيل حملتهم، واستحلال ساحتهم ولو بالتصفية الجسدية!

وهذا ما دعا التاريخ إلى حفظ أسماء هؤلاء الثلّة الرائعة بعدما رفعها عالياً، فكانت بمثابة شموس مضيئة أشرقت بنورها على الناس، الذين لم يألوا جهداً في تسجيل مواقفهم وإبراز احتراماتهم تجاههم.

إنّ وصول هؤلاء الرجال في ميدان الإصلاح الاجتماعي والتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى هذا المستوى من الرقي والعالمية إنّما كان مبنياً على استراتيجية ثابتة منتقاة من الفكر والثقافة القرآنية والأدب النبوي الشريف وتربية أهل بيت النبوّة الطاهرين والسيرة التي تابع الصحابة عليها بإحسان، ولم تكن حركة خبط عشواء، أو حاطب ليل، وأيضاً لم تكن على أُسس شخصية ومصلحية فردية أو أُسرية.

ففي الوقت الذي يجوب بعضهم العالم بأسره للقاء الزعماء السياسيّين ومسؤولي الدول، يطوف بعضهم الآخر البلدان والقرى، قاطعاً المسافات البعيدة من أجل بثّ فكرة التقريب ووحدة الصفّ، ومحاولة إقناع النخب من تمكين فكرة التقريب، والحوار الهادئ، واحترام الغير في نفوس مؤيّديهم.

ولعلّ من أبرز هؤلاء الروّاد هو الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء النجفي الذي كان من العلماء الذين بذلوا جهوداً جبّارة في هذا السبيل، وأبدوا كثيراً من النشاطات العلمية على مستوى الرسائل والكتب من أجل معالجة المتطلّبات الملحّة التي تحتاجها حركة التقريب بين أفراد الأُمّة الإسلاميّة.

وفي الوقت الذي نشكر فيه جهود الأُستاذ الفاضل الأخ محمّد الساعدي، وما أبداه من تعاون مثمر على صعيد تأليف وتحقيق هذا الكتاب، نقدّر جهود كلّ من ساهم في نشر هذا السفر الجليل. والحمد لله ربّ العالمين.

المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمي

للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

مقدّمة المؤلّف

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لا أُريد أن أكتم اهتمامي بشخصيّة العلّامة الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء الفذّة، وعنايتي الفائقة بآثاره الجليلة وأسفاره العديدة بحديث عهد قريب؛ فقد شغفت بكتبه كثيراً، والتي دوّنتها يراعته الرشيقة بذلك الأُسلوب الرائع الممتاز.

حيث لم أجد فرصة في مطالعة إحدى مؤلّفاته إلّا وانتابني شعور بالشوق إلى أن أُجدّد العهد بمتابعة باقي كتبه ومحاولة تحقيقها.

ذلك ـ حسب اعتقادي ـ لوجود عنصرين هامّين وجذّابين في كتاباته، يمكن أن يلحظهما الباحث:

فالأوّل: أُسلوبه البارع في جذب القلوب والألباب معاً، وبيانه الفصيح الذي لا يدع للقارئ وهناً عن متابعة بقيّة سطوره.

فقد اتّصف الشيخ ببراعة خاصّة امتاز بها على غيره في صياغة المادّة العلميّة الأصليّة في قالب أدبي، ينطق روعةً، ويحكي رشاقةً وجمالاً، فلا محيص من أن «يفرض» مطالعته ـ إن صحّ التعبير ـ على من يتصفّح كتاباته؛ لأنّه يمتلك جاذبيّة عجيبة في «اقتناص» قرّائه، وإفضاء جوٍّ من الرغبة والسعادة في إكمال صفحاته لو احتفظ القارئ بوقت وسيع أو كان له بعض الفراغ من أعماله الهامّة!

والثاني: أدبه الرفيع القائم على أساس احترام الطرف الآخر وتقييم الرأي المقابل، والموضوعيّة التي تتمتّع بها مؤلّفاته، حيث يلمس فيها قارئها اتّزان العالم الملتزم، وحصافة رأيه، ونبوغ قلمه، ودقّة إفصاحاته.

هذا من حيث ما خطّه قلمه الشريف من مصنّفات مفيدة ونافعة، أمّا من حيث الشخصيّة فحدّث ولا حرج، فقد كان تَيِّنُّ من رجال الإسلام العاملين ومن أبرز أعلام الفكر والأدب والفقاهة والاجتهاد في العصر الحديث.

وقد كان لي شرف المساهمة في تأليف كتاب عن حياة هذا الرجل المصلح استجابةً لطلب المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وجعلته ضمن فصول تتمحور حولها أهمّ مميّزات ومراحل حياة الشيخ العلّامة..

فقد ذكرت نسبه وشيئاً عن أُسرته في الفصل الأوّل، وتناول الفصل الثاني أساتذته وتلامذته وإجازاته العلميّة، وسردت في الفصل الثالث قبساً من سيرته الشريفة، وضمّ الرابع الكلام عن علمه وأدبه الرفيع، أمّا الخامس فيتحدّث عن مواقفه السياسيّة والإصلاحيّة، والسادس من الفصول يحتوي على ذكر جهوده التقريبيّة والوحدويّة، ويستعرض الفصل السابع مؤلّفاته وآثاره، أمّا الثامن ـ وهو الفصل الذي يُختتم به الكتاب ـ فقد ضمّ ملابسات وفاته وما قيل من الكلمات في شخصه الشريف.

وأخيراً أودّ أن أتقدّم بالشكر والتقدير إلى المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة؛ لما بذلته من عناية واهتمام في هذا المجال، سائلاً المولى القدير أن يوفّق الجميع لما فيه مرضاته وغفرانه.

كما أودّ أن أهدي هذا الكتاب إلى العزيز «هاني مرتضىٰ» الذي تبقى ذكراه العطرة مشعلاً ينير لي طريقي.. وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الساعدي

٢٠ / محرّم / ١٤٢٨هـ

الفصل الأول :

بطاقته الشخصيّة

اسمه ونسبه

هو الشيخ محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسى بن جعفر بن خضر بن يحيى بن مطر بن سيف الدين المالكي النجفي[1].

والمالكي نسبةً إلى قبيلة بني مالك إحدى قبائل العراق[2]. وهم المعروفون

---

(١) مصادر ترجمة الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء:

معارف الرجال ٢: ٢٧٢ ـ ٢٧٦، ريحانة الأدب (فارسي) ٣: ٣٤٣، الذريعة ١: ٤٦، ٢: ١٦٩، ٤: ٤٨٩، ٦: ٢٦١ ـ ٢٦٢، ٨: ٢٩٣، ١٠: ١٤، ١٢: ١١، ١٥: ٣٧٣، ١٦: ٩٤ و ١٦٥، ١٩: ٧٨، ٢٠: ٢٩٤، ٢١: ١٤٧ و٢٩٥، ٢٣: ٢٣٢، ٢٤: ٣٧ و ٢٢٢ و ٢٩٥ ـ ٢٩٦، ٢٥: ٤٩، نقباء البشر ٢: ٦١٢ ـ ٦١٩، مصفى المقال ١٥٧، لغت نامه (فارسي) ١٢: ١٨٠٢٣، معجم المطبوعات العربية العربية والمعرّبة ٢: ١٦٤٩، شعراء الغري ٨: ٩٩ ـ ١٨٣، معجم مؤلّفي الشيعة: ٣٣٩، أدب الطفّ ١٠: ٤٦ ـ ٦١، المنجد في الأعلام: ٤٥٢، معجم المؤلّفين ٩: ٢٥٠، الأعلام للزركلي ٦: ١٠٦ ـ ١٠٧، موسوعة النجف الأشرف ١١: ٣٠٣ ـ ٣٠٤، موسوعة العتبات المقدّسة ٦: ١٨١ ـ ١٨٢ و ٣١٠ و ٣٢٤، هكذا عرفتهم ١: ٢٢٧ ـ ٢٥٢، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٠٤٨ ـ ١٠٤٩، معجم المؤلّفين والكتّاب العراقيّين ٧: ١٦٢، مستدركات أعيان الشيعة ٧: ٢٤٥، دائرة المعارف الشيعيّة العامّة ١٦: ٣٣٠ ـ ٣٣١، مستدركات أعيان الشيعة ٧: ٢٤٥، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٠٢ ـ ٤٠٣، معجم الأُدباء للجبوري ٥: ٢٥٣ ـ ٢٥٤، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٤٢٢ ـ ٤٢٤، موسوعة أعلام العرب ١: ٤٥٦ ـ ٤٥٨، مخزن المعاني: ٣٣٣، أساطين المرجعية العليا: ١٧٣ ـ ٢٦٢، كاشف الغطاء سورة خشم (فارسي): ١٧ ـ ١٧٥، كاشف الغطاء أذان بيداري (فارسي): ١٥ ـ ١٢٠، معجم مؤرّخي الشيعة ٢: ١٧٧ ـ ١٧٨، فهرس التراث ٢: ٤١٣ ـ ٤١٧، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٨٣ ـ ٦٨٦.

(٢) بنو مالك: اتّحاد عشائري كبير في جنوب العراق، كانت نواته من بني مالك بن المنتفق بن

←

كذلك بآل علي. وهم طائفة كبيرة بعضهم في نواحي الشاميّة، وبعضهم الآخر في نواحي الحلّة.

ويقال: إنّهم ينتسبون إلى مالك الأشتر ﷺ[1].

وإلى ذلك أشار السيّد صادق الأعرجي النجفي المعروف بالفحّام[2] بقوله ـ

← عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقد التحقت بهم بالحلف قبائل عدنانية وقحطانية كثيرة منتشرة في مناطق سوف الشيوخ والناصرية والبصرة والقرنة والديوانية والحلّة والعديد من مناطق الجنوب. ومنهم: البو صالح، والبو شعيرة، وآل حسن، وآل إسماعيل، وآل إبراهيم، وآل زياد، والعليك، والدجين، والجويبر، والحماحمة... (موسوعة قبائل العرب ٥: ١٩٢٩).

(١) مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة الأشتر المذحجي النخعي: كان من زعماء العراق الأشدّاء فارساً صنديداً شديد البأس حليماً كريماً خطيباً شاعراً. شهد اليرموك، وشترت عينه في وقعتها، وقيل: بل شترت في حروب الردّة. توجّه إلى مصر لمّا اضطربت الأوضاع على محمّد بن أبي بكر، وكان يومئذٍ في نصيبين، فسمّ في الطريق، وذلك في سنة ٣٩هـ. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٦: ٢١٣، العبر ١: ٤٥، تهذيب الكمال ٢٧: ١٢٦ ـ ١٢٩، الإصابة ٦: ١٦١ ـ ١٦٢، تهذيب التهذيب ١٠: ١٠ ـ ١١).

قد ذكر الدكتور جودت القزويني ـ نقلاً عن الأُستاذ عبّاس العزّاوي في كتابه «عشائر العراق» والأُستاذ عبدالستّار درويش الحسين في كتابه «تصحيح الأوهام في أنساب الأعلام» ـ: أنّ آل كاشف الغطاء بيت من بيوت آل علي من بني مالك إحدى عشائر المنتفق الذين يرجعون إلى عامر بن صعصعة، وهم من العرب المضريّة العدنانيّة، وليس مالك الأشتر منهم، فهو نخعي يماني من القبائل القحطانيّة.

راجع العبقات العنبريّة (بتحقيق د. جودت القزويني): ٣٦ (الهامش الرابع).

(٢) أبو النجاة صادق بن علي بن الحسين بن هاشم الحسيني الأعرجي النجفي المعروف بالفحّام. ولد في قرية الحُصين إحدى قرى الحلّة سنة ١١٢٤ هـ. كان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً. له من المؤلّفات: شرح شرائع الإسلام، شواهد القطر مع بعض الحواشي عليه، الرحلة الرضويّة، وغيرها. توفّي بالنجف الأشرف، وذلك في سنة ١٢٠٥هـ. (أعيان الشيعة ٧: ٣٦٠ ـ ٣٦٦).

وذلك من قصيدة يرثي بها الشيخ حسين[١] أخا الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء[٢] ـ:

يا أيّها الزائر قبراً حوى   من كان للعلياءِ إنسان عين

يا منتمي فخراً إلى مالك   ما مالكي إلّاك في المعنيين

وقال الشيخ صالح التميمي[٣] ـ من قصيدة يهنّئ بها الشيخ محمّد سبط الشيخ جعفر الكبير بتزوّجه إحدى بنات أحد رؤساء آل مالك الذين كانوا في الدغّارة ـ:

رأى درّة بيضاء في آل مالك   تضيء لغوّاص البحار ركوب

رأى أنّه أولى بها لقرابة   تضمّنها أصل للخير نجيب

---

(١) الشيخ حسين بن خضر بن يحيى الجناجي المالكي المولود حدود سنة ١١٢٩ هـ. كان عالماً فاضلاً فقيهاً أُصولياً. توفّي سنة ١١٩٧ هـ. (أعيان الشيعة ٦: ٩ ـ ١٠).

(٢) الشيخ جعفر بن خضر بن يحيىٰ الجناجي النجفي: الفقيه المشهور، ولد في النجف سنة ١١٤٥ هـ. كان عالماً مدقّقاً صالحاً زاهداً. تتلمذ على: الشيخ محمّد مهدي الفتوني العاملي، والشيخ محمّد تقي الدورقي، والسيّد صادق الفحّام، والوحيد البهبهاني، والسيّد بحر العلوم الطباطبائي، وغيرهم. وتتلمذ عليه: الشيخ أسد الله الكاظمي، والشيخ محمّد علي الهزار جريبي، والشيخ محمّد تقي الأصفهاني، والسيّد محمّد باقر الأصفهاني، والسيّد محسن الأعرجي، والشيخ إبراهيم الكلباسي، والشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر، والسيّد جواد العاملي، وآخرون. من مؤلّفاته: كشف الغطاء، القواعد الجعفرية، الحقّ المبين، غاية المأمول، مشكاة المصابيح، منهج الرشاد، إثبات الفرقة الناجية. توفّي في النجف في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٢٧ هـ. (الكنىٰ والألقاب ٣: ١٠١ ـ ١٠٣).

(٣) الشيخ أبو سعيد صالح بن درويش بن علي بن محمّد حسين بن زين العابدين الكاظمي التميمي: شاعر مطبوع. ولد في الكاظمية سنة ١٢١٨ هـ، وكان من بيت أدب وكمال، وكان كاتب إنشاء العربيّة لداود باشا والي بغداد، وبقي كذلك بعده في عهد علي باشا، وكان لا يرى لأبي تمّام نظيراً، حتّى إنّه رثاه بقصيدة. له: وشاح الرود في أخبار داود، وديوان شعر. توفّي ببغداد سنة ١٢٦١ هـ، ودفن بالكاظمية. (أعيان الشيعة ٧: ٣٦٩ ـ ٣٧٥، شعراء الغري ١١: ٤٠٧ ـ ٤٧٠، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٨١٩ ـ ٨٢٠).

والداه

والد الشيخ محمّد الحسين هو الشيخ علي كاشف الغطاء الذي كان علماً من أعلام عصره، وسأتحدّث عنه بعض الشيء عند ذكر أُسرة الشيخ محمّد الحسين.

أمّا والدته فهي الحاجّة هديّة آل كبّة، التي تنتمي إلى أُسرة آل كبّة البغداديّين المعروفين. وهي امرأة صالحة كان لها الدور الكبير في نشأة وتنمية الجذور الأخلاقية المتازة لشخصيّة الشيخ محمّد الحسين.

ولادته

ولد الشيخ محمّد الحسين في مدينة النجف الأشرف (محلّة العمارة) عام ١٢٩٤هـ المصادف لعام ١٨٧٦م.

وقد أرّخ عام ولادته الشاعر النجفي المشهور السيّد موسى الطالقاني[1] بقوله:

سرور به خصّ أهل الغري ... فعمّ المشارق والمغربين

بمولد من فيه تمّ الهنا ... وقرّت برؤيته كلّ عين

وقد بشّر الشرع مذ أرّخوا ... (ستثنى وسايده للحسين)

وقد تحقّقت هذه النبوءة التي جرت علىٰ لسان هذا الشاعر. فصار كاشف الغطاء آية عصره وعلماً بارزاً في جميع الميادين العلميّة والاجتماعيّة.

أُسرته

تعدّ أُسرة كاشف الغطاء من ألمع الأُسر العلميّة والأدبيّة في العراق، وأياديها علىٰ الشيعة ـ وذلك في نشر الشريعة وتقوية أركانها والبحث عن مهمّاتها وكشف

(١) السيّد موسى بن جعفر بن علي بن حسين الطالقاني النجفي: فاضل أديب. ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٥٠ هـ. كان فاضلاً أديباً شاعراً، له شعر محفوظ ومجموعة أدبية حوت طائفة كبيرة من شعره. تتلمذ على: الشيخ عبد الحسين الطريحي، والشيخ نوح الجعفري القرشي. توفّي في منطقة (بدرة) قرب الحدود الإيرانية سنة ١٢٩٨هـ، وحمل جثمانه إلى النجف الأشرف، وأُقبر فيه. (معارف الرجال ٣: ٤٥ ـ ٤٨).

أسرارها ـ لا تخفى علىٰ أحد. فلله درّهم وعليه أجرهم.

وللمترجم ﷺ كتاب «الطبقات العنبريّة» في ترجمة أُسرته، ومن أراد فليراجعه.

إنّ سلالة الشيخ جعفر كاشف الغطاء من الأبناء والأحفاد كانوا من ذوي الاجتهاد والتدريس والتأليف في مختلف العلوم الإسلامية، واستلم الكثير منهم أزمّة الأُمور الدينية والسياسية للمجتمع العراقي، ولم يكن للرجل نصيب في هذه الأُسرة فحسب، بل النساء كان لهنّ حظّ وافر أيضاً من حيث النشوء والنبوغ.

إنّ الاتّجاه الفقهي الممتزج بالذوق العرفي والأُفق الفكري الواسع لأُسرة كاشف الغطاء هو السرّ وراء تألّق حياتهم العلمية وتمايزها عن باقي الأُسر والبيوتات.

ومن الروّاد الأوائل لهذا الاتّجاه هو الشيخ علي كاشف الغطاء[1] الذي كان هو الآخر من المجتهدين الأتقياء في النجف، وقد تسلّم مقاليد الأُمور الدينية والسياسية للمجتمع على غرار أسلافه الأوائل، وقد تمّ دعوته رسمياً للمؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية في القاهرة، والذي انعقد بتاريخ ١٩٦٥/٥/١٣م.

وعن الرحلة التي قام بها الشيخ علي كاشف الغطاء لمصر، يقول الأُستاذ صالح الورداني عنها في كتابه: «الشيعة في مصر»: «وقد وصل الشيخ كاشف الغطاء إلى القاهرة على رأس وفد من علماء النجف الأشرف في ٦٥/٥/١١، وكان في استقباله والوفد المرافق ممثّل شيخ الأزهر الشيخ حسن المأمون[2] وبعض رجال

---

(١) الشيخ علي بن محمّد رضا كاشف الغطاء: عالم كاتب مؤرّخ أديب شاعر رجالي، أصبح في وقته من شيوخ الفقه والأدب والتاريخ. سافر إلى مصر والشام والحجاز وتركيا والهند، واتّصل بعلمائها وملوكها. كانت ولادته في النجف الأشرف سنة ١٢٦٧ هـ، وقرأ على فضلاء أسرته وأعلام عصره، وطارح الشعراء، واهتمّ باقتناء الكتب، فأنشأ مكتبة نفيسة يشار إليها بالبنان. من مؤلّفاته: الحصون المنيعة، رجال الشيخ علي، النهج الصواب في الكاتب والكتابة والكتاب، النوافح العنبرية في المآثر السرية. توفّي في النجف عام ١٣٥٠ هـ. (معارف الرجال ٢: ١٣٦ ـ ١٣٨، معجم المؤلّفين ٧: ١٩٨، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٢٩٩).

(٢) الشيخ حسن مأمون: الإمام الأكبر، شيخ الجامع الأزهر. ولد بحي الخليفة في القاهرة عام

الأزهر... وقامت الإذاعة بإجراء حوار مع سماحته أُذيع وقتها من البرنامج العامّ، وكان الحوار يتركّز حول القضية الفلسطينية وموقف الوفد العراقي من مؤتمرات البحوث الإسلامية... وممّا قاله في هذا الحوار: «كم من حضارة كانت أثراً لجماعة، وكم مدينة كانت صنيعة لمؤتمر. وأمامكم بيعة الرضوان وهو أوّل مؤتمر إسلامي نال به العالم الإنساني الحظّ الأوفى والحضارة السامية... وإنّه من الضروري جمع شمل المسلمين واتّفاق كلمتهم على صعيد واحد، حيث إنّ في وحدتهم قوّة ينحدر بها الأعداء وتتلاشى بها الخطط العدوانية».

وحول الموقف من القضية الفلسطينية قال: «لقد جاهرنا في قضية فلسطين وأثبتنا رأينا بصورة صريحة وواضحة لا لبس فيها ولا غموض في أنّ مشكلتها يلزم حلّها على ضوء الدين الإسلامي الحنيف».

والطريف أنّه صادف وقت وجود سماحته والوفد المرافق له في القاهرة ذكرى عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين في كربلاء، وقد وجّه سماحته كلمة من خلال الإذاعة المصرية بمناسبة هذه الذكرى أُذيعت من صوت العرب في مساء يوم العاشر من محرّم... وتعتبر هذه الكلمة لمرجع شيعي كبير من خلال الإذاعة المصرية عن ذكرى عاشوراء حدثاً إعلامياً كبيراً وسابقة دعائية للشيعة في مصر لم تنالها منذ عهد الأيّوبيّين، وسوف نعرض لنصّ الكلمة في ملاحق الكتاب...

وقام سماحته والوفد المرافق له بزيارة مرقد رأس الحسين، وقد لفت نظرهم ما شاهدوه من ظواهر الولاء لآل البيت بأوسع معانيها. كما زار مرقد السيّدة زينب والسيّد نفيسة... وزار بور سعيد، وقرأ الفاتحة على أرواح شهداء معركة بور سعيد[1].

← ١٨٩٤م، وظلّ يعمل قاضياً بمصر والسودان خمسة وأربعين عاماً، وفي عام ١٩٤١م عيّن قاضياً لقضاة السودان حتّى سنة ١٩٤٧م، ثمّ عاد بعدها للقاهرة، وعيّن رئيساً لمحكمة مصر الابتدائية الشرعية، ثمّ عضواً في المحكمة الشرعية العليا، ثمّ نائباً فرئيساً لها، وفي عام ١٩٥٥م عيّن مفتياً للديار المصرية، ثمّ عيّن عام ١٩٦٤م شيخاً للجامع الأزهر بموجب قرار جمهوري. (الأزهر في ألف عام ١: ٣٤٨).

(١) معركة بور سعيد حدثت يوم ١٩٥٦/١١/٥م حين تمّ إنزال المظلّيين البريطانيّين ←

وتقديراً لموقف شيعة العراق المشرّف إلى جانب مصر أثناء العدوان الثلاثي قدّم محافظ بور سعيد ميدالية ذهبية لسماحته... وقد نشرت جريدة الأهرام خبر هذه الرحلة في عددها الصادر بتاريخ ٦٥/٥/٢٩ ... وقد نشرت جريدة الأهرام كذلك في تلك الفترة طلب سماحة آية الله كاشف الغطاء من المؤتمر في جلسته الثانية وجوب المبادرة باتّخاذ قرار عاجل احتجاجاً على موقف ألمانيا الاتّحادية العدواني الذي تمثّل في الاعتراف بإسرائيل وإمدادها بالمال والسلاح لقتال العرب...

وبعد انتهاء المؤتمر قام الشيخ والوفد بتلبية الدعوات والمقابلات الصحفية، والقيام بجولات تفقّدية في أنحاء الجمهورية.

ومن بين الدعوات التي وجّهت للوفد الدعوة المقدّمة من قبل شيخ الأزهر الشيخ حسن المأمون لتناول طعام العشاء في فندق «سمير أميس»، والدعوة المقدّمة من قبل الشيخ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر آنذاك لتناول العشاء في مبنى جامعة الأزهر، والدعوة المقدّمة من جمعية «الشبّان المسلمين» لتناول طعام العشاء في مقرّ الجمعية، ومن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومن نقابة المهن التعليمية.

وبالإضافة إلى هذا وجّه الرئيس عبدالسلام عارف[1] دعوة للشيخ كاشف الغطاء ومرافقيه لتناول العشاء معه في قصر عابدين... وكان الرئيس جمال

← والفرنسيّين على مدينة بور سعيد، فحدث اشتباكات عدّة أودت بحياة بعض القاطنين هناك والمجاهدين. (موسوعة السياسة ٢: ٢٠٧).

(١) عبدالسلام عارف: عسكري ورجل دولة عراقي. ولد سنة ١٩٢١م في بغداد في وسط بورجوازي صغير لعائلة تنتسب لقبائل الجميلة من منطقة الرمادي. التحق بالأكاديمية العسكرية وبكلّية الأركان، وخدم كضابط في الجيش العراقي في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، وانضمّ إلى الضبّاط الأحرار عام ١٩٥٧م، ولعب دوراً أساسياً في ثورة ١٤/تمّوز/١٩٥٨م، فعيّن نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية، ونصّب عام ١٩٦٣م رئيساً للدولة. توفّي عام ١٩٦٦م بحادث طائرة أثناء تجواله في منطقة القرنة وسط عاصفة رملية. (موسوعة السياسة ٣: ٨٣٤ ـ ٨٣٦).

عبدالناصر[١] ومعه الرئيس عبدالسلام عارف قد استقبلا الشيخ كاشف الغطاء والوفد المرافق له.

ومن بين الجولات التفقّدية التي قام بها الوفد في مصر زيارته لمديرية التحرير وزيارة قطّاع غزّة وخطّ الهدنة، وكان بصحبتهم شيخ الأزهر وأعضاء المؤتمر، ثمّ زيارة السدّ العالي في أسوان، ومدن القناة والإسكندرية... كما زار الوفد بعض المصانع في هذه المدن، مثل: مصنع شركة الغزل والنسيج ببور سعيد، وشركة صناعة إطارات السيارات بالإسكندرية، وشركة مصر للغزل والنسيج في كفر الدوّار..

ومن بين المقابلات الصحفية التي أُجريت مع سماحة الشيخ كاشف الغطاء اللقاء الذي أجرته معه مجلّة «منبر الإسلام» التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، واللقاء الذي أجرته معه مجلّة «روز اليوسف»..

وكان الحوار مع روز اليوسف قد تطرّق إلى موضوع زواج المتعة ورؤية الشيعة لهذا النوع من الزواج، وهذه هي المرّة الأُولى ربّما التي طرق فيها مثل هذا الموضوع في مصر وعلى صفحات مجلّة رسمية...»[٢].

وتواصلت الرحلات التبليغية لهذه الأُسرة في العهد القاجاري. وتوجّه الشيخ علي كاشف الغطاء في سلسلة أسفاره التبليغية إلى البلاد الإسلامية نحو الإمبراطورية العثمانية قاصداً إسطنبول ليقضي شطراً من عمره هناك إلى جانب السيّد جمال الدين الأسدآبادي . وقد قام بنشر الثقافة الإسلامية في إيران لمدّة سبعه أعوام.

---

(١) جمال عبدالناصر بن حسين بن خليل بن سلطان عبدالناصر: سياسي مصري شهير. ولد في أسيوط سنة ١٩١٨م، وتخرّج سنة ١٩٣٨م من الكلّية الحربية في القاهرة. قام بإعلان الثورة على الملك فاروق سنة ١٩٥٢م، وتسلّم زمام الأُمور من محمّد نجيب بالقوّة سنة ١٩٥٤م، وأمّم قناة السويس، وأعلن الوحدة المصرية ـ السورية، وبنى السدّ العالي، وقام في زمنه العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م. توفّي على أثر سكتة قلبية عام ١٩٧٠م. (الأعلام للزركلي ٢: ١٣٤ ـ ١٣٥).

(٢) الشيعة في مصر لصالح الورداني: ١٢٢ ـ ١٢٤.

الفصل الثاني :

أساتذته وتلامذته وإجازاته

نشأته العلميّة

لمّا بلغ الشيخ محمّد الحسين السنة العاشرة من عمره الشريف شرع بدراسة العلوم العربيّة الأدبيّة من نحو وصرف ولغة وبلاغة، وتوسّع في طلب العلوم. فقرأ كثيراً من العلوم الأُخرى كالهيئة والفلك والرياضيات والمنطق والحكمة والعرفان والكلام والتفسير، ثمّ أتمّ السطوح ودخل في مراحل الدروس العليا، وتوغّل في دراسة الفقه والأُصول علىٰ يد أساتذة عصرهم الآتي ذكرهم عمّا قريب.

وقد تميّز بنبوغه ونشاطه العلمي، وكان يتمتّع بموهبة الذكاء الحادّ والألمعيّة الوقّادة، ومن ثمّ حصل علىٰ قسط وافر من العلم والفضل، ونبغ نبوغاً باهراً، وتقدّم تقدّماً ملموساً، وأربى علمه وفضله علىٰ سنه، وتبوّأ المكانة اللائقة وهو في مقتبل العمر وأوان عهد الشباب، بل صار هو وأخوه المجتهد الشيخ أحمد محلّ اعتماد العلماء.

وكان في جميع أدوار حياته يعقد الحلقات والمحاضرات، فيقبل عليها جمهور غفير من طلّاب العلم في النجف، يقدّر عددهم بمائة شخص ؛ لسماع إفاضاته النافعة والاستفادة من معارفه الجمّة، وحتّى صار ما يلقيه في أبواب الفقه والحديث والكلام يربو علىٰ عشرات المجلّدات، يحتفظ بقسم كبير منها خاصّة تلاميذه وأصحابه وأُسرته.

ومازال يزداد إشراق سعده ولمعان نجمه ويكثر مقلّدوه ومريدوه من العراق وإيران والهند وأفغانستان ولبنان وسوريا حتّى رحيله من الدنيا.

أساتذته

١ ـ السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي[1].

٢ ـ السيّد محمّد الأصفهاني[2].

٣ ـ الشيخ رضا الهمداني[3].

٤ ـ الميرزا محمّد تقي الشيرازي[4].

---

(١) السيّد محمّد كاظم بن عبد العظيم الكسنوي الحسني الطباطبائي اليزدي: من أعلام العلماء. ولد في قرية كسنو إحدى قرى يزد سنة ١٢٤٧ هـ. قرأ على: الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي الأصفهاني، والشيخ مهدي الجعفري، والشيخ راضي بن محمّد الجعفري، والميرزا الشيرازي. من أشهر مؤلّفاته: العروة الوثقىٰ، حاشية المكاسب، كتاب التعادل والتراجيح. ظهرت في أيّامه قضية المشروطة في إيران، فعارضها. توفّي في النجف بداء الرئة وداء ذات الجنب سنة ١٣٣٧ هـ. (الفوائد الرضوية (فارسي): ٥٩٦ ـ ٥٩٨، ريحانة الأدب (فارسي) ٤: ٣٣٤ ـ ٣٣٥، معجم المؤلّفين ١١: ١٥٦).

(٢) السيّد محمّد بن القاسم بن شريف بن أشرف الفشاركي الحسني الأصفهاني: من أفاضل العلماء العاملين. ولد سنة ١٢٥٣ هـ، حضر بحث الميرزا الشيرازي، وتخرّج عليه جملة من الفضلاء. له: كتاب في البراءة، الخلل في الصلاة، الدماء الثلاثة، الإجارة، وغيرها. توفّي بالنجف سنة ١٣١٦ هـ. (أعيان الشيعة ٩: ١٢٥، الفوائد الرضوية (فارسي): ٥٩٤ ـ ٥٩٥، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٩٣٨ ـ ٩٣٩).

(٣) الشيخ رضا بن محمّد هادي الهمداني النجفي، كان عالماً فقيهاً أُصولياً مدقّقاً زاهداً ورعاً تقيّاً. حضر عند: الميرزا محمّد حسن الشيرازي، والميرزا محمّد تقي الشيرازي، والميرزا حسن بن خليل الطهراني النجفي. وتتلمذ عليه جماعة من الأفاضل، منهم: الشيخ أحمد ابن صاحب الجواهر، والشيخ علي بن الشيخ باقر ابن صاحب الجواهر، والشيخ آقا بزرك الطهراني، والشيخ علي القمّي، والشيخ جواد البلاغي، والسيّد محسن الأمين العاملي. له من المؤلّفات: مصباح الفقيه، تقريرات بحث الميرزا الشيرازي في الأُصول، حاشية نجاة العباد، وغيرها. توفّي بسامرّاء سنة ١٣٢٢ هـ، ودفن بالرواق. (معارف الرجال ١: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، أعيان الشيعة ٧: ١٩ ـ ٢٣، مع علماء النجف الأشرف ٢: ١٧٩ ـ ١٨٠).

(٤) الميرزا محمّد تقي بن محب علي بن محمّد علي الشيرازي الحائري: أحد العلماء الكبار ←

٥ ـ الشيخ محمّد كاظم الخراساني[١].

٦ ـ الميرزا حسين النوري الطبرسي[٢].

٧ ـ الميرزا محمّد باقر الأصطهباناتي[٣].

← وأحد قادة ثورة العشرين العراقيّة. درس عند: السيّد محمّد حسن الشيرازي، والشيخ محمّد حسين الأردكاني، والسيّد علي نقي الطباطبائي الحائري. له: حاشية على المكاسب، رسالة في أحكام الخلل، رسالة في صلاة الجمعة، وغيرها. توفّي في كربلاء سنة ١٣٣٨ هـ. (معارف الرجال ٢: ٢١٥ ـ ٢١٨، الفوائد الرضوية (فارسي): ٤٣٨، معجم المؤلّفين ٩: ١٣٣).

(١) الشيخ محمّد كاظم بن حسين الهروي الخراساني المعروف بالآخوند. ولد في طوس سنة ١٢٥٥ هـ. تتلمذ في الفقه على: الشيخ راضي النجفي، والشيخ الأنصاري، والميرزا محمّد حسن الشيرازي. من تلاميذه: أحمد بن علي كاشف الغطاء، ومحمّد جواد البلاغي، ومحمّد حسين الأصفهاني، وأبو الحسن المشكيني. ألّف: الكفاية، وكتاب الإجارة. وشرح التبصرة، وغيرها. وقد كانت له مواقف سياسيّة وجهادية هامّة. توفّي سنة ١٣٢٩ هـ. (معارف الرجال ٢: ٣٢٣ ـ ٣٢٥، أعيان الشيعة ٩: ٥ ـ ٦، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٣٩ ـ ٤٠).

(٢) الميرزا حسين بن محمّد تقي بن علي محمّد النوري الطبرسي: العلّامة والمحدّث المعروف. ولد سنة ١٢٥٤ هـ. تتلمذ على: الشيخ عبد الحسين الطهراني، والسيّد محمّد حسن الشيرازي. من مؤلّفاته: مستدرك الوسائل، نفس الرحمان في فضائل سلمان، النجم الثاقب في الإمام الغائب، دار السلام في الرؤيا والمنام، وغيرها. وكان من جملة تلاميذه الشيخ عبّاس القمّي. توفّي بالنجف سنة ١٣٢٠ هـ. (هدية العارفين ١: ٢٣٠، الفوائد الرضوية (فارسي): ١٤٩ ـ ١٥٣، الكنى والألقاب ٢: ٤٤٥).

(٣) الميرزا محمّد باقر بن عبد المحسن بن سراج الدين الأصطهباناتي الشيرازي: الفيلسوف المعروف. قرأ في الكلام على الحاجّ علي الكني، وفي الفقه على الميرزا الشيرازي. كان يدرّس الأسفار وشرح التجريد والفقه والأصول، وكان كريم الأخلاق ومن جملة العلماء الأحرار الذين انحازوا إلى جانب الأمّة في مسألة الدستور الإيراني، وتعرّض بذلك لانتقام آل القوّام رؤساء شيراز الذين قُتل كبيرهم في تلك الفتنة، فقُتل غيلةً في شيراز سنة ١٣٢٦ هـ، ودفن في التربة الحافظيّة خارج المدينة المذكورة. من مؤلّفاته: رسالة في حدوث العالم، رسالة في أحكام الدين والقرض. (معارف الرجال ١: ١٢٩ ـ ١٣١، أعيان الشيعة ٩: ١٨٧، الذريعة ١: ٣٠١).

٨ ـ الشيخ محمّد رضا النجف آبادي[١].

٩ ـ الشيخ أحمد الشيرازي[٢].

حيث حضر علىٰ الأربعة الأوائل الفقه، فكان من حضّار درس الشيخ الهمداني لمدّة عشرة سنوات، وحضر عند الميرزا الشيرازي لمدّة سنتين، واختصّ بالسيّد اليزدي وصار موضع ثقته، وكان يكل له أُمور الفتيا والجواب علىٰ ما يرد إليه من الأسئلة الفقهيّة.

وحضر علىٰ الخامس وتلقّى منه معارفه الأُصوليّة، فحضر عنده درس الكفاية ستّ دورات، وحضر علىٰ السادس في الأخبار والحديث حيث أجازه الميرزا ﷺ بالحديث عنه، وحضر علىٰ الثلاثة الأواخر دروس الحكمة وعلم الكلام.

كما أنّ له ﷺ أساتذة آخرين، كالسيّد مصطفىٰ التبريزي[٣]، والملّا علي أصغر المازندراني.

---

(١) الشيخ محمّد رضا النجف آبادي الأصفهاني: فقيه أُصولي. له حاشية علىٰ كفاية الأُصول. توفّي سنة ١٣٥٨ هـ. (معجم المؤلّفين ١٢: ٧٤).

(٢) الشيخ أحمد الشيرازي المعروف بشانه ساز، كان فقيهاً حكيماً متألّهاً رياضياً أُصولياً خطيباً. هاجر من شيراز إلى سامرّاء زمن الميرزا الشيرازي، ثمّ منها إلى النجف، ففوّضت إليه المدرسة القوّامية وصار مدرّساً فيها. له حاشية علىٰ الفصول. يروي عن السيّد مهدي القزويني الحلّي، ويروي عنه السيّد شهاب الدين الحسيني ريزي المعروف بآقا نجفي. من تصانيفه: رسالة في اللباس المشكوك، رسالة في إثبات سيادة الشريف واستحقاقه للخمس. توفّي بالنجف الأشرف سنة ١٣٣٢ هـ، ودفن في بعض حجر الصحن الشريف. (أعيان الشيعة ٢: ٦٠٣، الذريعة ٦: ١٦٤، معجم المؤلّفين ١: ٢٤٢).

(٣) السيّد مصطفىٰ بن حسن بن جواد بن أحمد التبريزي: أحد الأفذاذ ومن جملة العلماء العاملين. ولد سنة ١٢٩٥ هـ في تبريز، وهاجر إلىٰ النجف لطلب العلم، فحضر أبحاث: الخوانساري، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والطباطبائي اليزدي، والشيخ الأوردبادي، والمحقّق النهاوندي. ذهب إلى الحجّ، فعرض له الفالج، فسافر إلى أُوربا للعلاج، ثمّ قفل ←

تلامذته

١ ـ الشيخ محمّد حسين الزين العاملي[(١)].

٢ ـ السيّد محمّد رضا شرف الدين[(٢)].

٣ ـ الشيخ محمّد رضا الغرّاوي[(٣)].

← راجعاً إلى مسقط رأسه، إلىٰ أن توفّي هناك سنة ١٣٣٧ هـ، فحملت جنازته إلى النجف ودفن فيها سنة ١٣٣٨ هـ. له: حاشية على كفاية الأُصول، ورسالة في اللباس المشكوك، وحاشية لسان الخواصّ، وقاعدة الخطئين، ورسائل في الفلكيّات والرياضيّات، وديوان شعر. (مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٨٣).

(١) الشيخ محمّد حسين بن عبد الكريم بن حسين بن سليمان الزين العاملي: عالم جليل وأديب كبير وشاعر رقيق. ولد في النجف عام ١٣١٦ هـ، وحضر دروس البحث الخارج على: الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والسيّد حسين الحمامي، والسيّد جمال الدين الگلبايگاني، وغيرهم. كان عميداً لإدارة شؤون مرجعية الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء عند غيابه. نشر أبحاثاً وتعاليق كثيرة في الصحف والمجلّات العراقية واللبنانية، أعربت عن أُسلوب له مستقلّ وبيان بليغ. من مؤلّفاته: الشيعة في التاريخ، توضيح الأُصول اللفظية، توضيح المنطق. (شعراء الغري ٨: ٢١٩ ـ ٢٢٢).

(٢) السيّد محمّد رضا بن عبد الحسين شرف الدين اللبناني: أديب معروف وكاتب بليغ. ولد في صور سنة ١٣٢٧ هـ، أخذ الفقه على: السيّد حيدر الصدر، والشيخ مرتضىٰ آل ياسين. وأخذ الأُصول على: الشيخ محمّد تقي صادق العاملي، والشيخ محمّد علي الخراساني، والسيّد حسين الحمامي. وحضر حلقة: الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والشيخ محمّد رضا آل ياسين. أصدر مجلّة (الديوان) في بغداد سنة ١٣٥٣ هـ، وعيّن ملاحظاً لديوان الرئاسة في مجلس الأعيان، ونقل إلىٰ وزارة الخارجية بوظيفة ملحق صحفي في المفوّضية العراقية بدمشق ثمّ بطهران ثمّ بجدّة. له رواية (الحسين)، ونظم رواية قيس ولبنىٰ (المصدر السابق ٨: ٤٨٥ ـ ٤٨٦).

(٣) الشيخ محمّد رضا بن القاسم بن محمّد بن ناصر الغرّاوي: علّامة جليل وأديب رقيق. ولد بطريق خراسان سنة ١٣٠٣ هـ، أخذ الفقه والأُصول على طائفة من المشاهير، منهم: الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، والشيخ محمّد جواد الحولاوي، والسيّد عبد الرزّاق ←

٤ ـ الشيخ كاظم كاشف الغطاء[١].

٥ ـ الشيخ عبد المهدي الخفاجي[٢].

٦ ـ الشيخ عبد الواحد المظفّر[٣].

→ الحلو، والشيخ أحمد كاشف الغطاء، والسيّد كاظم اليزدي، والآخوند الخراساني، والشيخ محمّد رضا آل ياسين. وقد أجازه جمع من العلماء، كالسيّد حسن الصدر، والسيّد محمود الشاهرودي. تتلمذ عليه عدد من الأفاضل، كالشيخ هادي البزّوني، والشيخ محسن الغرّاوي، والشيخ علي العسكري. من آثاره العلمية: أصدق المقال في علمي الدراية والرجال، شفاء القلوب في تنزيه الأنبياء عن الذنوب، الخيرات الحسان في تفسير القرآن، شرح هداية الصدوق في الفقه، عقود الدرر في شرح المعتبر. (المصدر السابق ٨: ٣٩٨ ـ ٤٠٢).

(١) الشيخ كاظم بن موسى بن محمّد رضا بن موسى كاشف الغطاء: عالم جليل وأديب رفيع. ولد في النجف سنة ١٣٠٤ هـ، أخذ المقدّمات على: ابن عمّه الشيخ أحمد كاشف الغطاء، والشيخ محمّد الحسين، والسيّد عيسى كمال الدين، والشيخ عبد الرسول الجواهري. واختلف في المنطق على: الشيخ هادي كاشف الغطاء، والشيخ عبد الكريم شرارة. وأخذ الهيئة والفلك على السيّد هبة الدين الشهرستاني. كان متزوّجاً بابنة عمّه صاحب الحصون، ولوثوق الكثير من الناس بعلمه وورعه فقد رشّحته أُسرة كاشف الغطاء ـ بعد وفاة زعيمها الشيخ محمّد الحسين ـ لأن يقوم مقامه في المرجعية والصلاة، غير أنّه امتنع من ذلك واحتاط في عدم قبوله. (المصدر السابق ٧: ١٦٤ ـ ١٦٦).

(٢) الشيخ عبد المهدي بن عبد الحسين بن حسن بن مطر الخفاجي: عالم وشاعر شهير. ولد بالنجف عام ١٣١٨ هـ، وتردّد على حلقات كبيرة، منها: حلقة النائيني، والأصفهاني، وكاشف الغطاء، والخوئي. كانت له شخصية مرنة لطيفة المعشر، وكان منحازاً إلىٰ الآراء الجديدة والشباب المعروفين بالتحرّر الذهني والخروج على التقاليد القديمة. كتب تقريرات في الفقه والأُصول، وله تعليقة على العروة الوثقىٰ، وكذلك له كتاب (خمائل الرائد في أصحّ العقائد)، ودراسة عن حياة الرسول ﷺ، وديوان شعر عامر مرتّب على حروف المعجم. (المصدر السابق ٦: ٩٧ ـ ٩٨).

(٣) الشيخ عبد الواحد بن أحمد بن حسن بن جواد المظفّر: باحث كبير وأديب ناظم. ولد في ←

٧ ـ الشيخ عبد الحسين القرملي[1].

٨ ـ الشيخ عبد الحميد الخطّي[2].

٩ ـ السيّد صدر الدين الحسني[3].

← النجف عام ١٣١٠ هـ، وأخذ الفقه والأُصول على: شيخ الشريعة الأصفهاني، وأخيه الشيخ علي الجواهري، والشيخ مهدي المازندراني، والميرزا النائيني، والشيخ أحمد كاشف الغطاء، والشيخ محمّد الحسين، والشيخ ضياء الدين العراقي. وقد كتب تقريرات في الأُصول للميرزا النائيني، وله من المؤلّفات: بطل العلقمي، سفير الحسين، الأمالي المنتخبة، نزهة الأبصار، معراج النبي ﷺ. وله مكتبة شخصية ضخمة. (المصدر السابق ٦: ١٦١ ـ ١٦٣).

(١) الشيخ عبد الحسين بن محمّد القرملي: عالم جليل وشاعر مقبول. ولد بالنجف عام ١٣٠٣ هـ، واختلف على مشاهير العلماء وانتهل من نميرهم العذب، أمثال: الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والشيخ محمّد حسن المظفّر، والشيخ محمّد علي نعمة العاملي، والسيّد علي كاظم اليزدي، والشيخ علي باقر الجواهري، والشيخ جعفر آل راضي. كان يمتاز بعزّة النفس والمرونة في الأُسلوب وحسن العرض. من مؤلّفاته: السلسلة الزهدية في الوعظ والإرشاد، خطّة الإباء في ذكرى شهيد كربلاء، وله ديوان شعر. (المصدر السابق ٥: ٣٠٣ ـ ٣٠٥).

(٢) الشيخ عبد الحميد بن علي الخنيزي الخطّي القطيفي: أديب فذّ وشاعر مطبوع. ولد في القطيف سنة ١٣٣٥ هـ، وتتلمذ على يد: الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والشيخ محمّد رضا آل ياسين، والسيّد حسين الحمامي، وغيرهم. من تلاميذه الأُدباء: عبد الرسول الجشّي، ومحمّد سعيد الخنيزي، وعبدالله الخنيزي. له إلمام بعلم الهيئة والعروض، وله ديوان شعر تحت عنوان (اللحن الحزين)، وله كتاب خاطرات وآراء، كما أنّ له بعض المقالات النقدية التي كانت تنشر في مجلّة العرفان ومجلّة الأديب. (المصدر السابق ٥: ٣٣٥ ـ ٣٣٧).

(٣) السيّد صدر الدين بن محمّد أمين بن محيي الدين بن نصر الله بن فضل الله الحسني: عالم كبير وشاعر مقبول. ولد في قرية عيناثا سنة ١٣٠٢ هـ، وتتلمذ فقهاً وأُصولاً على: الشيخ أحمد كاشف الغطاء، وأخيه الشيخ محمّد الحسين، والسيّد عبد الهادي الشيرازي، والميرزا ←

١٠ ـ الشيخ محمّد علي نعمة العاملي[1].

١١ ـ الشيخ موسى العصامي[2].

١٢ ـ الشيخ مهدي صحين الساعدي[3].

← النائيني، ودرس الفلسفة على الشيخ نعمة الدامغاني، وحصل على الكثير من إجازات الاجتهاد، حتّىٰ صار يشار إليه بالبنان. توفّي في مسقط رأسه سنة ١٣٦٠ هـ، ودفن هناك. (المصدر السابق ٤: ٣٦٠ ـ ٣٦٢).

(١) الشيخ محمّد علي بن يحيىٰ بن عطوة بن يحيىٰ الجبعي العاملي الشهير بالشيخ محمّد علي نعمة: عالم مدقّق وشاعر مقبول. ولد في جبع سنة ١٣٠٠ هـ، وحضر حلقات ذوي الفضل والعلم، أمثال: الميرزا النائيني، والسيّد أبي الحسن الأصفهاني، والآخوند الخراساني، والسيّد اليزدي، وشيخ الشريعة، والشيخ أحمد كاشف الغطاء، والشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، وقد أجازه معظم هؤلاء الأعلام. وفي عام ١٣٤١ هـ عاد إلى جبل عامل، وسكن قرية حبّوش بطلب من أهلها. كان شاعراً جميل الألفاظ حسن السبك من المقلّين. (المصدر السابق ٩: ٤٩٤ ـ ٤٩٥).

(٢) الشيخ موسى بن محسن بن علي بن حسين العصامي: عالم جليل القدر وخطيب مفوّه وشاعر مقبول. ولد في النجف عام ١٣٠٥ هـ، ونشأ بها. أخذ الفقه والأُصول على: الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والشيخ عبد الكريم شرارة، والشيخ صادق الحاجّ مسعود، حتّىٰ اشتهر بالفضل والعلم والأدب، وعهد إليه السيّد اليزدي بالوكالة عنه، وكذلك السيّد الأصفهاني، والشيخ أحمد كاشف الغطاء، والشيخ علي باقر الجواهري. من مؤلّفاته: البراءة والولاية، الضالّة المنشودة في الحياة، الدراية في تصحيح الرواية، الأحكام العقلية في القرآن، الدعوة الحسينية. توفّي بكربلاء عام ١٣٥٥ هـ، ونقل جثمانه إلىٰ النجف ودفن فيها. (المصدر السابق ١١: ٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٣) الشيخ مهدي بن صحن بن عبد علي بن زامل الساعدي الشهير بصحين: عالم فاضل وأديب مقبول. ولد في العمارة سنة ١٢٩٦ هـ، ونشأ بها. قرأ على: الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، وأخيه الشيخ أحمد، ولازمهما حتّىٰ وفاتهما. كان من الشخصيات العلمية المرحة والحسنة المعاشرة، ونال مكانة مرموقة بين معظم الطبقات العلمية. له كتب، منها: دلائل المرشدين على فضل وخلافة أمير المؤمنين، مسرّة الناظرين، منهاج التحقيق، وسيلة الأبرار، السعادة، بحث في الهيئة. (المصدر السابق ١٢: ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

١٣ ـ الشيخ مهدي الحجّار[١].
١٤ ـ الشيخ محمّد تقي الفقيه[٢].
١٥ ـ الشيخ محمّد جواد مغنية[٣].
١٦ ـ الشيخ قاسم الوائلي[٤].

(١) الشيخ مهدي بن داود بن سلمان بن داود الحجّار: عالم فقيه وأُصولي ضليع وأديب شاعر. ولد في قضاء أبي صخير سنة ١٣١٨ هـ، ونشأ في النجف، وعرف بحدّة الذكاء وقوّة الحافظة وحسن الأُسلوب. حضر عند: الشيخ أحمد كاشف الغطاء، وأخيه الشيخ محمّد الحسين، والسيّد أبي الحسن الأصفهاني، والميرزا النائيني. توفّي بالبصرة سنة ١٣٥٨ هـ بعلّة الحمّىٰ السوداء، ودفن في وادي السلام بالنجف. (المصدر السابق ١٢: ٢٠٦ ـ ٢٠٩).

(٢) الشيخ محمّد تقي بن يوسف بن علي بن محمّد الفقيه: عالم جليل وأديب فاضل. ولد في قرية حاريص بجبل عامل عام ١٣٢٩ هـ، ونشأ بها، وسافر إلىٰ النجف، وحضر حلقات الأعلام، كالشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، والسيّد أبي الحسن الأُصفهاني، والسيّد حسين الحمامي، والشيخ عبد الرسول الجواهري، والشيخ محمّد علي الكاظمي، والشيخ مير فتّاح الشهيدي، والسيّد حيدر الصدر. وقد أُجيز عام ١٣٦٣ هـ من مجموعة أعلام، منهم: الشيخ مرتضىٰ الآشتياني، والميرزا يحيىٰ الطهراني، والسيّد محمّد البهبهاني، والشيخ آقا بزرك الطهراني. من مؤلّفاته: قواعد الفقيه، قواعد المكاسب، مباني الشرائع، مباني العروة الوثقىٰ، مباني الفقيه، جبل عامل في التاريخ، حجر وطين، الشموع (ديوان شعره). (المصدر السابق ٧: ٣٢٥ ـ ٣٢٧).

(٣) الشيخ محمّد جواد بن محمود بن محمّد مغنية: عالم فذّ وأديب لامع وكاتب مشهور. ولد بلبنان سنة ١٣٢١ هـ، ونشأ بها، وهاجر إلىٰ النجف لطلب العلم، فمكث بها طويلاً، ونال حظّاً وافراً من العلم والأدب. لازم حلقة: السيّد أبي الحسن الأصفهاني، والسيّد جمال الكلبايكاني، والشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء. وأخذ عليه فريق من الشباب المهاجر وغيرهم كثيراً من الدروس. انتقل إلىٰ بيروت، وعيّن قاضياً شرعياً فيها، ورأس محكمة التمييز الجعفرية. وقد نشر كثيراً من المقالات الناضجة في المجلّات الشهيرة، وله مؤلّفات ممتازة كثيرة، من جملتها: الفصول الشرعية، نحو فقه إسلامي جديد، الوضع الحاضر في جبل عامل، التفسير الكاشف، الكميت بن زيد الأسدي. (المصدر السابق ٧: ٤٣٢ ـ ٤٣٣).

(٤) الشيخ قاسم بن محمّد حرج الوائلي: أديب فاضل وكاتب مجيد. ولد بالنجف الأشرف
←

١٧ ـ الشيخ محسن شرارة[١].

١٨ ـ الشيخ مهدي الظالمي[٢].

١٩ ـ الشيخ علي الخاقاني[٣].

← عام ١٣١٩ هـ، وحضر حلقات الأعلام، كالشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والسيّد أبي الحسن الأصفهاني، والسيّد حسين الحمامي، والشيخ محمّد رضا آل ياسين. كان فاضلاً في فنون الأدب شاعراً قوي الأُسلوب، وقد نشرت له الصحف والمجلّات العربية مقالات قيّمة. من جملة مؤلّفاته: مختصر الأغاني، منظومة في المنطق، الديوان. (المصدر السابق ٧: ٧٣ ـ ٧٥).

(١) الشيخ محسن بن عبد الكريم بن موسى بن أمين شرارة: عالم مجيد وشاعر مطبوع. ولد في بنت جبيل سنة ١٣١٨ هـ، وحضر حلقات: الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيّد حسين الحمامي، كان الدرع الأوّل لمجموعة الشباب الروحي النجفي والعاملي منادياً بالتجديد في الدروس الحوزوية. وقد قام بترجمة كتاب (الشيعة) لأحد المستشرقين من الإنجليزية إلىٰ العربية، ونشر بعض فصوله في مجلّة (العرفان). توفّي في لبنان عام ١٣٦٥ هـ. (المصدر السابق ٧: ٢٧٩ ـ ٢٨٥).

(٢) الشيخ مهدي بن هادي بن جعفر بن راضي الظالمي السلامي: عالم مجيد وأديب معروف. ولد بالنجف سنة ١٣١٠ هـ، ودرس الفقه والأُصول على: السيّد علي اليزدي، والسيّد حسين الحمامي، والسيّد أبي الحسن الأصفهاني، والميرزا النائيني، والشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء. ودرس عليه جمع من الأعلام، كالسيّد محمّد صادق بحر العلوم، وأخيه السيّد محمّد تقي، والسيّد سعد صالح. له تعاليق على بعض الكتب الدراسية، وقصائد من الشعر الرقيق، وديوان شعر باللهجة العاميّة. توفّي بالنجف سنة ١٣٥٩ هـ، ودفن في الإيوان الذهبي الكبير. (المصدر السابق ١٢: ٢٨٠ ـ ٢٨٣).

(٣) الشيخ علي بن عبد علي بن علي بن موسى الخاقاني الفواري: أديب فاضل. ولد بالنجف سنة ١٣٣٠ هـ، وحضر بحث الخارج أكثر من ستّ سنوات على الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء. أصدر مجلّة (البيان) سنة ١٩٤٦ م، وكان مشهوراً بجودة الخطّ. من مؤلّفاته: ثمرة العارفين في سيرة العلماء الربّانيّين، أبطال القرون الهجرية، وفيات الرجال، وحي البيان، آراء حرّة، تاريخ البحرين قديماً وحديثاً، الكويت ماضيها وحاضرها، شعراء الغري، عقود حياتي. (المصدر السابق ١٢: ٤٩٣ ـ ٥٢٥).

٢٠ ـ الأُستاذ محمّد جواد الجناجي[١].

ومن جملة تلاميذه أيضاً: السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي[٢].

إجازاته

أجاز أن يروي عنه:

١ ـ الشيخ حسين الخليلي النجفي[٣].

---

(١) الأُستاذ محمّد جواد بن عبّاس بن علي بن موسى الجناجي: شاعر أديب. ولد بالنجف عام ١٣٣٣هـ، أخذ شيئاً من الأُصول والفقه على أعلام معروفين، واختلف إلى حلقة الشيخ هادي كاشف الغطاء وابنه الشيخ محمّد رضا، وحضر حلقة الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء. عيّن معلّماً، واستقرّ في الكوت ملاحظاً لمكتبة المعارف العامّة. (المصدر السابق ٧: ٤٦٢ ـ ٤٦٣).

(٢) السيّد محمّد علي بن محمّد باقر بن محمّد علي بن محسن القاضي الطباطبائي. ولد في تبريز سنة ١٣٣١ هـ، وتتلمذ على يد: والده، وعمّه السيّد أسد الله القاضي، والسيّد محمّد الحجّة الكوهكمري، والسيّد الخميني، والشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والسيّد محسن الحكيم، والسيّد حسن البجنوردي. له من المؤلّفات: فصل الخطاب في تحقيق حال أهل الكتاب، إرث الزوجة، أجوبة الشبهات الواهية، الاجتهاد والتقليد، تعليقات على أنيس الموحّدين للنراقي، وغيرها. استشهد ـ بعد نضال طويل ضدّ الحكم الشاهنشاهي ـ سنة ١٣٩٩ هـ بيد زمرة المنافقين، وذلك بعد إقامته لصلاة المغرب والعشاء في مدينة تبريز التي كان إماماً لجمعتها. (مقدّمة كتاب اللوامع الإلهية: ٨ ـ ١١).

(٣) الشيخ حسين بن الميرزا خليل بن علي بن إبراهيم بن محمّد علي الرازي الطهراني النجفي الخليلي، صار مرجعاً للتقليد بعد وفاة الشيخ محمّد حسين الكاظمي. كان عالماً مبجّلاً ومحقّقاً زاهداً. تخرّج عليه جملة من الأعلام: كالشيخ محسن بن خنفر العفكاوي، والشيخ الأنصاري، والشيخ مشكور الحولاوي، والشيخ محمّد حسن النجفي. ومن تلامذته: السيّد محمّد بن علي بن محمود الموسوي النوري، والسيّد محمّد بن إبراهيم بن صادق اللواساني، والشيخ محمّد بن علي حرز الدين النجفي، والشيخ عبّاس بن حسن آل

←

٢ ـ الشيخ علي الخاقاني النجفي[١].

٣ ـ الشيخ عبّاس بن حسن آل كاشف الغطاء[٢].

٤ ـ الشيخ عبّاس بن علي آل كاشف الغطاء[٣].

← كاشف الغطاء. ألّف: شرح نجاة العباد، وكتاب في الغصب، وكتاب في الإجارة. أشاد مدرسة كبرى في النجف لطلبة العلوم الدينيّة. توفّي في مسجد سهيل سنة ١٣٢٦ هـ. (معارف الرجال ١: ٢٧٦ ـ ٢٨٢، الفوائد الرضوية (فارسي): ١٣٥، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٥١٨).

(١) الشيخ علي بن حسين بن عبّاس بن محمّد علي بن سالم الخاقاني النجفي: كان عالماً فقيهاً أُصولياً رجالياً مؤرّخاً محدّثاً زاهداً، باعه في العلوم العقليّة مديد، ورأيه في استنباط الفروع الفقهيّة صائب سديد. تتلمذ علىٰ: الشيخ الأنصاري، والسيّد محمّد حسن الشيرازي، والشيخ علي الخليلي، وغيرهم. له: شرح اللمعة الدمشقيّة، وفوائد في الرجال، وتعليقات علىٰ منهج المقال، ورسالة في الاستصحاب، وغيرها. توفّي بالنجف سنة ١٣٣٤ هـ، ودفن في حجرة من الصحن الغروي. (معارف الرجال ٢: ١٢٥ ـ ١٢٨، أعيان الشيعة ٨: ١٩١، معجم المؤلّفين ٧: ٧٣).

(٢) الشيخ عبّاس بن حسن بن جعفر كاشف الغطاء النجفي. ولد سنة ١٢٥٣ هـ. كان عالماً محقّقاً ورعاً شاعراً. تتلمذ علىٰ: ابن عمّه الشيخ مهدي بن علي، والشيخ الأنصاري، والسيّد محمّد حسن الشيرازي، والميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ محمّد باقر ابن صاحب الحاشية علىٰ المعالم، وغيرهم. له: أُرجوزة في الحجّ والصوم والزكاة وعلىٰ متن الأجروميّة، وشرح اللمعتين، والقواعد، ومنهل الغمام في الفقه، وغيرها. توفّي بالنجف سنة ١٣٢٣ هـ. (معارف الرجال ١: ٣٩٩ ـ ٤٠١، شعراء الغري ٤: ٥٠٣ ـ ٥١٩، الفوائد الرضوية (فارسي): ٢٢٠).

(٣) الشيخ عبّاس بن علي بن جعفر كاشف الغطاء النجفي. ولد سنة ١٢٤٢ هـ. كان عالماً فقيهاً أديباً شاعراً. تتلمذ علي: أخيه الشيخ مهدي، والشيخ الأنصاري، والشيخ الكاظمي، والسيّد مهدي القزويني، والشيخ حبيب الله الرشتي. له: شرح بعض كتب الشرائع، ورسائل في الأُصول، ورسالة لعمل مقلّديه في العبادات. توفّي سنة ١٣١٥ هـ. (معارف الرجال ١: ٣٩٤ ـ ٣٩٥، أعيان الشيعة ٧: ٤١٧، شعراء الغري ٤: ٤٩٠ ـ ٥٠٣).

الفصل الثالث :

قبس من سيرته

برنامجه اليومي

كان الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء من الأفذاذ الذين واصلوا الليل بالنهار في خدمة مجتمعهم، فكان مجمعاً للفضائل والصفات الحميدة.

وقد نظّم حياته اليوميّة علىٰ الأُسلوب التالي:

يستيقظ من الفجر وقت الأذان وقبل طلوع الشمس بساعة ونصف، فيصلّي ويقرأ بعض الأدعيّة المأثورة، ثمّ يقرأ ويكتب ما هو مسؤول عنه آنياً، وعند طلوع الشمس يتناول الفطور، وبعد يعود إلى المطالعة والكتابة حتّى الضحى، وقبل الظهر بثلاث ساعات يخرج إلى ديوانه في مدرسته العلميّة[1]، ويجلس إلى جنب مكتبته العامّة، فيقابل الوافدين عليه وذوي الحاجات، ويفصل بين المتخاصمين، وعند أذان الظهر يعود إلى الدار أو الحرم العلوي فيؤدّي الفريضة، ثمّ يعود فيتناول الغداء، وقد ينام أحياناً نوم القيلولة، وبعد أن يستيقظ يعود إلى الكتابة وقراءة الرسائل والمسائل وكتابة الأجوبة، ثمّ يخرج إلى الصحن الحيدري لأداء الفريضة جماعة، ثمّ يدخل الحرم الحيدري ويخرج منه إلى حلقته العلميّة، فيلقي درساً في الفقه[2]

---

(١) تقع هذه المدرسة في محلّة العمارة بجوار مسجد آل كاشف الغطاء ومقبرتهم الخاصّة ذات القباب الزرقاء، واسمها: المعتمد.

(٢) وذلك في مدرسة أُستاذه السيّد محمّد كاظم اليزدي ﷺ، وبالمكان الذي يباحث فيه اليوم سماحة الشيخ الفيّاض (دام ظلّه). وتقع هذه المدرسة في محلّة الحويش بين السوق وشارع الرسول وبالقرب من دار الميرزا النائيني ﷺ. وقد انتقل الإمام كاشف الغطاء بالبحث الخارج إلى مقبرة المجدّد الشيرازي ﷺ إلىٰ جنب باب الشيخ الطوسي للصحن الحيدري الشريف وفي الجهة الشمالية له في محلّة المشراق.

وهو جالس على المنبر، وقد أحاط به تلامذته الذين سمح لهم بمناقشته والاستزادة من التوضيح إذا أشكل عليهم الأمر، وبعد أن يفرغ من ذلك يعود إلى بيته لتناول العشاء، ثمّ ينصرف إلى بحثه وتدقيقه واستقصاء ما يحتاجه من معلومات هامّة، وهكذا إلى نصف الليل.

وهذه الأعمال لا يستطيع أن يقوم بها جسم الشاب القوي فضلاً عن الشيخ، غير أنّه يصدق عليه قول القائل:

وإذا حلّ للهداية قلب نشطت للعبادة الأعضاء

شخصيّته

وقد كان الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء معتدّاً بنفسه تمام الاعتداد، حيث كان يرى أنّه المرجع الأوّل للدين والشخصيّة المركّزة لإدارة شؤون الطلبة، وكان لا يعبأ بمن يبتعد عنه، كما لم يشعر بالانتقام لعدوّه الذي قد يكثر من سبابه وعدائه.

وكان مضرب المثل في الخلق الرفيع، حيث كان الذين يسيؤون إليه ساعة أن يصلوا إليه يجدونه كأنّه الشخص الذي لم يسبق لهم معه شيء، فلا يكادون يحسّون بما وقع منهم.

وكان كذلك ذا ذاكرة حادّة نقّادة وقّادة تجدها في سيرته، حيث ينقل الشيخ الخاقاني أنّه كان يقرأ على المترجم ﷺ الفصول من سير الشعراء، فكان يذكّره بأرقام وفياتهم والحوادث التي مرّت عليهم دون أن تكون له عناية في الموضوع، وقلّ أن يذكر موضوعاً دون أن يشفعه بشواهد شعريّة من أروع ما قيل في ذاك الموضوع.

وكان في أُسلوبه وسلوكه الاجتماعي يخضع للحجّة، ويؤيّد البرهان، ويؤمن

بالمنطق الرزين إذا وجده عند جليسه، وكانت فيه ظاهرة الوفاء إلى حدّ واسع، فهو يرعى جانبها ويحرص عليها ويقيم الأثر لحسابها.

وكان ذا علم غزير، ومؤلّفاته تكشف عن سعة اطّلاعه وتضلّعه في العلوم، وكان يجمع إلى علمه قوّة البيان العجيبة واللباقة المدهشة والجرأة المفرطة مع صوت جهوري، فكان بذلك يهيمن علىٰ جليسه مهما كان ومن أيّ نوع. وكثيراً ما كان يملي المقالات ذات الشأن أو هي موضع المناقشة والاختلاف دون أن يكون لأحد عليه أيّ إيراد أو انتقاد.

وكان ذا حماس ديني منقطع النظير وقد بلغ فيه الذروة، مع حرصه علىٰ إصلاح بعض العادات المستهجنة والتقاليد السخيفة الموجودة آنذاك بكلّ جرأة وحزم وصراحة.

وكان حديثه عذباً مسترسلاً، لا يملّه السامع علىٰ اتّساع الوقت، وقد شهدت الآلاف من البشر قوّة خطابته واندفاعه في التعبير عن مقاصده كالماء المنحدر من الجبل دون أن يتأمّل تأمّل المتحيّر في كلامه، فكان فصيح القول مستحضراً للأمثال والحكم والكلمات المأثورة والحديث النبوي الصحيح.

أسفاره ورحلاته

سافر عام ١٣٢٩ هـ إلى حجّ بيت الله الحرام، ومن مكّة توجّه إلى دمشق، ومنها إلى بيروت، فبقي يتردّد بينهما نحو شهرين، ثمّ أقام في صيدا بضعة شهور، حيث التقىٰ خلالها ببعض الشخصيّات العلميّة المهمّة، كالسيّد محسن الأمين[1]،

---

(١) السيّد محسن بن عبد الكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي: أحد الأعلام. ولد عام ١٢٨٤ هـ في جبل عامل، وتوجّه للنجف من أجل إكمال دراسته الدينية، فحضر على جملة من العلماء، كشيخ الشريعة الأصفهاني، والآخوند الخراساني، والشيخ رضا الهمداني،

←

والشيخ سليم البشري[١]، والشيخ محمّد المطيعي[٢].

وطبع في هذه السفرة كتابيه الشهيرين: «الدين والإسلام»، و«المراجعات الريحانيّة»، ونشر في أُمّهات الصحف السوريّة مقالات قيّمة وقصائد ملهبة لروح الحماس، وكانت له لقاءات مع أحرار سوريا ولبنان، كالشيخ أحمد طبّارة[٣]، وعبد الكريم الخليل[٤] وعبد الغني العريسي[٥]، وغيرهم.

← والشيخ طه نجف. ثمّ عاد إلى دمشق واستمرّ في التأليف والتحقيق وتأسيس المؤسّسات التربوية والاجتماعية. له من الكتب: أساس الشريعة، أعيان الشيعة، ضياء العقول، كشف الارتياب، المجالس السنية، البحر الزخّار، وغيرها. توفّي في لبنان سنة ١٩٥٢ م، ودفن عند مقام السيّدة زينب عليها السلام. (تكملة أمل الآمل: ٣٢٨ ـ ٣٢٩، أدب الطفّ ١٠: ٣٣ ـ ٣٥، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٣٨ ـ ٣٣٩).

(١) الشيخ سليم بن أبي فرّاج بن سليم بن أبي فرّاج البشري: شيخ الجامع الأزهر. ولد في شبر خبت بمصر سنة ١٢٨٤ هـ، وتعلّم وعلّم بالأزهر، وتولّى نقابة المالكيّين، ثمّ مشيخة الأزهر مرّتين، وتوفّي بالقاهرة سنة ١٣٣٥ هـ. له: المقامات السنية في الردّ على القادح في البعثة النبويّة. (معجم المؤلفين ٤: ٢٤٩، الأعلام للزركلي ٣: ١١٩، الأزهر في ألف عام ١: ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٢) الشيخ محمّد بَخِيت بن حسين المطيعي الحنفي: مفتي الديار المصرية. ولد في أسيوط سنة ١٢٧١ هـ، وتعلّم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلى القضاء الشرعي سنة ١٢٩٧ هـ، واتّصل بالسيّد جمال الدين الأفغاني، ثمّ كان من أشدّ المعارضين لحركة الإصلاح التي تزعّمها الشيخ محمّد عبده، وعيّن مفتياً للديار المصرية من سنة ١٣٣٣ هـ إلىٰ ١٣٣٩ هـ، ولزم بيته يفتي ويفيد، إلى أن توفّي بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هـ. من كتبه: إرشاد الأُمّة إلىٰ أحكام أهل الذمّة، إزاحة الوهم، القول المفيد في علم التوحيد، البدر الساطع على جمع الجوامع في الأُصول، حقيقة الإسلام وأُصول الحكم، الكلمات الطيّبات. (معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة ١: ٥٣٨ ـ ٥٣٩، الفتح المبين ٣: ١٨١ ـ ١٨٧، الأعلام للزركلي ٦: ٥٠).

(٣) أحمد طبّارة: صحافي لبناني. ولد سنة ١٨٧١ م، وحرّر جريدة «ثمرات الفنون» سبعة عشر عاماً، ثمّ أنشأ جريدة «الاتّحاد العثماني» سنة ١٩٠٨ م. شنقه الأتراك سنة ١٩١٦ م (المنجد في الأعلام: ٣٥٥).

(٤) عبد الكريم بن قاسم الخليل: محامٍ من أهل برج البراجنة إحدى ضواحي بيروت. تعلّم

وفي صيدا عقد أمره علىٰ السفر إلى مصر بعد أن تزوّج في لبنان، فسافر إليها، وبقي فيها أكثر من ستّة أشهر، واجتمع فيها إلى علماء الأزهر يتلقّون منه ويتلقّى منهم، حيث كان يدرّس أُصول الفقه عصراً في مسجد رأس الحسين عليه السلام، ويدرّس التفسير فيما بين صلاة المغرب والعشاء في جامعة الأزهر، وألقى عدّة خطب رنّانة في الأزهر، وكذلك في بعض الكنائس لتفنيد مزاعم المبشّرين ممّا أثار سخط بعضهم، حيث اعتدوا عليه ضرباً وأخرجوه من الكنيسة.

وفي عام ١٣٣٢ هـ قفل راجعاً إلى العراق عن طريق حلب ودير الزور، ودخل النجف، فانظمّ إلى السيّد اليزدي قدس سره.

وفي عام ١٩٣١ م عُقد المؤتمر الإسلامي في القدس، وبعد عدّة دعوات متكرّرة من لجنة المؤتمر توجّه إليه وشارك فيه، وكان من جملة المشاركين فيه: السيّد حبيب العبيدي مفتي الموصل، والسيّد محمّد زيارة من اليمن، و محمّد رشيد

← الحقوق بالأستانة، وانتخب رئيساً للمنتدى الأدبي العربي فيها. واحترف المحاماة، وعاد إلى سوريا في أوائل الحرب الكونيّة الأُولى. كان يحمل فكرة انفصال العرب عن الترك، خدعه أحمد جمال باشا بإظهاره الموافقة علىٰ جعل بلاد الشام خديويّة تتّبع الدولة العثمانيّة، فنشط عبد الكريم وألّف جمعية شبه سريّة لهذه الغاية، فلم يلبث أن اعتقله أحمد باشا، وقتله شنقاً في بيروت بعد محاكمة ظاهرية سنة ١٩١٦ م. (الأعلام للزركلي ٤: ٥٤، موسوعة السياسة ٣: ٨٤٣).

(٥) عبد الغني بن محمّد العريسي: صحافي. ولد وتعلّم في بيروت، واشترك مع فؤاد حنتس بإصدار جريدة «المفيد». سافر إلى باريس سنة ١٣٣٠ هـ، فدخل مدرسة الصحافة، ومهر في علم السياسة الدوليّة، واشترك في المؤتمر العربي الأوّل، وعاد إلى بيروت، فاشترك مع الأمير عارف الشهابي في متابعة إصدار الجريدة بعد وفاة حنتس، فطلبته الحكومة، فاختبأ، ثمّ قصد البادية هو وبعض أصدقائه، حتّى تمّ القبض عليه، فسيق إلى لبنان، وعُذِّب أشد التعذيب، ثمّ حكم عليه وعلى أصدقائه بالإعدام شنقاً سنة ١٩١٦ م. له: كتاب البنين، والمختار من ثمرات الحياة. (الأعلام للزركلي ٤: ٣٤ ـ ٣٥، موسوعة السياسة ٣: ٨٣٩).

رضا[1] من مصر، ومحمّد إقبال اللاهوري[2] من الباكستان، وكان هذا المؤتمر يضمّ عدداً كبيراً من علماء: الحنفيّة، والشافعيّة، والمالكيّة، والحنبليّة، والوهّابيّة، والإباضيّة، والإسماعيليّة، والزيديّة، والإماميّة. وقد دعي كاشف الغطاء إلى الصلاة جماعة، فصلّى بالحضور على الطريقة الجعفريّة، وكان عدد جميع أعضاء المؤتمر (١٥٠) عضواً، وخلفهم جم غفير من أهالي فلسطين يناهز عددهم (٢٠) ألف نسمة، وقيل: (٧٠) ألف نسمة، وكان ذلك ليلة المعراج في المسجد الأقصى. ثمّ تحوّل لزيارة مدن فلسطين كنابلس وحيفا ويافا.

وفي عام ١٩٣٣ م توجّه إلى إيران عن طريق كرمانشاه، وزار همدان وشيراز وأصفهان وقم وطهران وآبادان والمحمّرة «خرمشهر» وشاهرود وبوشهر، واستمرّ سفره لمدّة ثمانية عشر شهراً، وقد قام بإمامة الناس في حرم السيّدة معصومة عليها السلام وبحضور ودعوة الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي[3]. كما قام بإلقاء المحاضرات

(١) السيّد محمّد رشيد بن علي رضا بن محمّد القلموني البغدادي الحسيني: أحد رجال حركة الإصلاح الإسلامي. ولد في طرابلس الشام سنة ١٢٨٢ هـ، ونشأ بها، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثمّ رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ، واتّصل بالشيخ محمّد عبده وتتلمذ عليه ولازمه، ثمّ أصدر مجلّة «المنار»، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد في مصر، ثمّ قصد سوريا في أيّام الملك فيصل. وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري، ورحل إلى الهند والحجاز وأوربا، واستقرّ في مصر، إلى أن توفّي في القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ. من آثاره: تفسير القرآن الكريم، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، نداء للجنس اللطيف، الوحي المحمّدي، الخلافة. (معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة ١: ٩٣٤ ـ ٩٣٦، الأعلام للزركلي ٦: ١٢٦، الأزهر في ألف عام ٢: ٣٤ ـ ٤٢).

(٢) ستأتي ترجمته في طيّات الكتاب.

(٣) الشيخ عبد الكريم بن محمّد جعفر الحائري اليزدي: مؤسّس الحوزة العلمية بقم. ولد في يزد حدود سنة ١٢٧٦ هـ، وهاجر إلى سامرّاء، وتتلمذ على: الميرزا إبراهيم الشيرواني، والشيخ فضل الله النوري، والسيّد محمّد الأصفهاني الفشاركي، ثمّ هاجر إلى النجف وتخرّج ←

في المدة المذكورة، ورجع من طريق البصرة.

وسافر صيف عام ١٣٦٦ هـ إلى مدينة كرند، فأقام فيها ردحاً من الزمن.

وفي سنة ١٣٦٧هـ سافر إلى طهران، ومنها توجّه إلى خراسان لزيارة الإمام الرضا عليه السلام.

وسافر عام ١٣٦٨ هـ إلى لبنان للمعالجة، ونزل ضيفاً علىٰ الزعيم يوسف الزين، ثمّ استضافه أحمد الأسعد[1].

وفي سنة ١٣٦٩ هـ سافر إلى خراسان.

ومن ثمّ سافر عام ١٣٧١ هـ إلى باكستان، حيث دعي إلى حضور المؤتمر الإسلامي الثاني الذي عُقد في مدينة كراتشي بدعوة جمعية الأُخوّة الإسلاميّة، وبعد أن انفضّ المؤتمر زار بعض المدن الباكستانيّة كلاهور وبشاور وراول وكشمير الحرّة (مظفّر آباد)، وبقي أربعين يوماً، ثمّ رجع إلى بغداد، ومنها إلى النجف.

مكتبته

جدّد الشيخ قدس سره مدرسة جدّه الأعلىٰ كاشف الغطاء الموقوفة، وبنى جناحاً خصّصه للمكتبة، وكتب علىٰ مقدّمتها هذا البيت:

إذا ما بناء شاده الدين والتقى ... تهدّمت الدنيا ولم يتهدّم

→ بها على الآخوند الخراساني، ثمّ سكن كربلاء مدرّساً فيها، إلى أن هاجر إلى إيران واستقرّ في مدينة قم منشئاً فيها الحوزة العلمية. له من المصنّفات: درر الفرائد في الأُصول، وكتاب الصلاة، وله تقرير عن أُستاذه السيّد محمّد الفشاركي. توفّي بقم سنة ١٣٥٥ هـ. (معارف الرجال ٢: ٦٥ ـ ٦٧، أعيان الشيعة ٨: ٤٢، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٣٦٥ ـ ١٣٦٦).

(١) أحمد الأسعد: من أُسرة لبنانيّة شيعيّة من أُسر جبل عامل. ولد سنة ١٩٠٨ م، انتُخب رئيساً لمجلس النوّاب عدّة مرّات. توفّي سنة ١٩٦١ م. (المنجد في الأعلام: ٤٥، ملحق موسوعة السياسة: ٣٨ ـ ٣٩).

وكتب وصيّة بخطّه وتوقيعه وخاتمه صرّح فيها بوقفيّة المكتبة وتحبيسها، وجعل تولّيها بيد ولده الشيخ عبد الحليم. وسمع منه ذلك العشرات من العلماء والأفاضل.

وقد تولّد الشرّ في نفس بعض ورثته أن ينكر هذا الصنيع بإقامة دعوى في المحكمة الشرعيّة بالنجف محاولاً بيعها، فانبرى له رعيل من الثقات معلنين شهادتهم بوقفيتها، كما أبرز المتولّي للمكتبة نصّ الوقفيّة، وكانت النتيجة انتصار الحقّ، وحكمت المحكمة بصحّة الوقفيّة.

وكثيراً ما كان يذكر المكتبة ويعبّر عنها في كتبه المطبوعة بأنّها: مكتبة الدنيا، بل مكتبة الآخرة. كما أنّه أسماها: مكتبة علي والحسين؛ لأنّ مؤسّسها والده الشيخ علي صاحب الحصون، ومجدّدها هو نفسه ﷺ[1].

ووصفها الشيخ محمّد هادي الأميني بأنّها مكتبة عامرة نفيسة[2].

ووصفها الأُستاذ جعفر الخليلي بقوله: «وكان لتلك المكتبة صدى كبير في الأوساط العلميّة»[3].

طرائف نادرة للشيخ كاشف الغطاء

الإمام كاشف الغطاء شخصية رائعة في مجالات شتّى. فهو شديد الغضب في ذات الله، وهو مرهف الحسّ في الحضور الذهني، وهو أريحي الطبع في المناخ النفسي، وهو سريع البديهة في إرسال النادرة، لا يتكلّف أمراً ولا يتعسّف سلوكاً.

وله طرائف تنمّ عن سليقة فطرية في الوقت الذي تطبّق المفصّل، ولديه نوادر

---

(١) أساطين المرجعية العليا: ١٨٢.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٠٤٩.

(٣) هكذا عرفتهم ١: ٢٢٨.

يرفق بها حيناً، ويشتدّ حيناً آخر، ولمّا كانت في النجف جارية مجرىٰ الأمثال، أحببت أن أُروّح عن نفس القارئ بذكرها، فأنفاس كاشف الغطاء في السرّاء والضرّاء تعبّر عنه بصدقٍ وهو يتنفّس الصعداء، فلله درّه، وهنا أذكر نماذج من هذه الطرائف والنوادر[1]:

١ ـ النوادر الاقتصادية:

* كان الشيخ ﵀ معروفاً بحسن التدبير، والاقتصاد بملبسه ومأكله وشؤونه، واقتصاره في المصارف علىٰ الواجب دون الإسراف وفي المعروف بلا تبذير، وقد أطلق حكمته المشهورة في العراق بقوله: «درهمُكَ دَمُكَ، فلا تصرفْهُ إلّا في عروقك».

* أُوفد ابن أخيه الأُستاذ عبّاس بن أحمد كاشف الغطاء للدارسة في الولايات المتّحدة، فسأل الإمام: «ما هو الفرع الذي يدرسه»؟ فقيل له: علم الاقتصاد، فقال الشيخ ﵀: «عبّاس مشتبه ومغفّل! لو حضر عندي في مدرستي هذه لدرس علم الاقتصاد، أنا أعرف بالاقتصاد من الولايات المتّحدة!».

* تسلّم كاشف الغطاء مبلغاً من المال بحضور الأُستاذ الشيخ هادي القرشي أُستاذ البلاغة العربية في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، والشيخ القرشي﵀ معروف بالأريحية الفائقة وإرسال النوادر والملح، فالتفت إلىٰ كاشف الغطاء قائلاً: «شيخنا، كيف تعرب هذه الجملة: (الشاف شارك)»؟ يعني: الذي يرىٰ الهدية يشارك فيها، وهو مثل دارج. فأجاب كاشف الغطاء فوراً: «هذه الجملة لا محلّ لها من الإعراب!».

٢ ـ النوادر السياسية:

* كان الدكتور (ضياء جعفر) وزيراً للإعمار في الخمسينات، وتحت تصرّفه

---

(١) هذا الكلام للدكتور محمّد حسين الصغير في كتابه «أساطين المرجعية العليا»: ٢٣٦ ـ ٢٤٢.

أموال طائلة، هي ميزانية لمشاريع الإعمار في العراق، وكان يزور الإمام كاشف الغطاء، ويتواضع كثيراً بين يديه ـ وهو متواضع حقّاً ـ ويجلس بين يدي الشيخ جلسة الحَذِر المؤدّب، وكان الشيخ يطالب بمشاريع عديدة للعراق في الريّ والطرق والجسور والمعاهد الثقافية وما شابه ذلك، ويسائله عن ذلك وأمثاله، والدكتور ضياء يجيب تارةً، ويتلكّأ تارةً أُخرى، والإمام يحاوره بلواذعه وقوارصه غيرةً على البلاد، ويردّد كلمته المعروفة: «هذه الوزارة وزارة الاستعمار، لا وزارة الإعمار!».

* أصدر كاظم الكفائي كتاباً يثير النعرات، وقدّم للمحاكمة، ممّا خلق أزمة سياسية في العراق، فأبرق الإمام كاشف الغطاء إلىٰ البلاط الملكي في بغداد بالنصّ الآتي: «الكتاب يحرق، والكفائي يطلق». فكان له ما أراد، وكان ذلك في أواخر الأربعينيات.

* اتّصل تليفونياً في الأربعينيات بقائم مقام النجف؛ لقضاء أشغال الناس، وكان الإمام كاشف الغطاء لا يبخل بالجاه، ورفع القائم مقام سمّاعة التلفون، فقال كاشف الغطاء له: «الشيخ يتكلّم». فردّ القائم مقام بلهجة فيها شيء من الاستخفاف: «نعم، (افهمنه)! ماذا يريد الشيخ»؟ فأغلق الشيخ التلفون عند سماع هذه العبارة، وأبرق إلىٰ عبد الإله[1] الوصي علىٰ العرش بالبرقية الآتية: «أدّبوا موظّفكم، وإلّا أدّبناه». فنقل القائم مقام في تلك الليلة. وما طلعت شمس اليوم التالي للحادث إلّا وهو يغادر النجف إلىٰ بغداد.

---

(١) عبد الإله بن علي بن الحسين بن علي الهاشمي: أمير عراقي. ولد في الطائف عام ١٩١٣م، وقرأ فيها مبادئ العربية، ثمّ بالقدس في الكلّية الإسلامية، ثمّ انتقل إلى كلّية فيكتوريا بالإسكندرية، وأتمّ دراسته في لندن. ولمّا قتل ابن عمّه غازي بن فيصل ببغداد وسمّي ابنه الطفل فيصل الثاني ملكاً على العراق تقرّر نصب عبد الإله وصياً على العرش سنة ١٩٣٩م، ثمّ أصبح ولياً للعهد. كان موالياً للإنجليز، فقتل في ثورة ١٤/يوليو/١٩٥٨م. (الأعلام للزركلي ٣: ٢٦٩ ـ ٢٧٠، موسوعة السياسة ٣: ٨٠٨).

٣ ـ النوادر الأدبية:

* توفّي الشيخ باقر الجواهري عام ١٩٥٠ م، وهو ابن عمّ شاعر العرب الشهير محمّد مهدي الجواهري[1]، فرثاه بقصيدة رائعة، وألقاها في فاتحته في اليوم الثالث في ديوان آل الجواهري الواقع قرب مسجد الشيخ صاحب الجواهر الشيخ محمّد حسن النجفي ﵀، ومطلع القصيدة:

بقلبي أم بنعشك حين مادوا ودمعي أم رثاؤك يستعادُ
وبيت صيح نهباً في ذويه كأنّ الموتَ بينهم طِرادُ

وكانت القصيدة من غرر الشعر، وكاشف الغطاء يتصدّر المحفل، ومنزلته وزعامته ينافيان عادةً أن يهتزّ للشعر ويستلذّه، ولكن الشيخ كان يستحسن ويستجيد ويستعيد، وكلّما استعاد مورداً قال الجواهري: «سمعاً وطاعةً سيدي»، مكبّراً فيه تلك الروح الأدبية.

* في عام ١٣٧٠ هـ احتفل النجفيّون بعيد الغدير الخالد عصر يوم الثامن عشر من ذي الحجّة، وهو اليوم الذي يرى الشيعة ان رسول الله(ص) نَصَّ علىٰ أميرالمؤمنين الإمام علي ﵇ بالولاية الإلهية علىٰ المسلمين كافّة. وكان الاحتفال رائعاً، وفي مسجد الخضراء بجوار الحرم الحيدري، وإذا بالإمام كاشف الغطاء يدخل المهرجان بسمته المهيب، وجلس قرب المنصّة. وكانت عادة النجف والعراق وحتّى اليوم أنّ الشاعر المرموق تكون قصيدته آخر القصائد في الإلقاء لينتظره

(١) مهدي مهدي الجواهري: من شعراء العرب المشهورين في العصر الحاضر. ولد في النجف سنة ١٩٠٠م، وهناك تلقّى علومه، وعندما شبّ انتقل إلى بغداد وأصدر فيها جريدة «الفرات»، ثمّ جريدة «الانقلاب»، ثمّ جريدة «الرأي العامّ». نصب نفسه للدفاع عن شعبه، فلقي متاعب كثيرة وعانى اضطهاداً. رحل إلى القاهرة فسوريا سنة ١٩٥٦م، وظلّ فيها إلى أن كانت ثورة ١٤ تمّوز، فعاد إلى بلاده. له ديوان شعر يتألّف من أربعة أجزاء. (الموجز في الأدب العربي وتاريخه ٤: ٦٢١ ـ ٦٤٣).

الحضور، وألقىٰ الشيخ علي الصغير، قصيدة أوّلها:

ولاكَ مـــن الله إيــمانُها وحبُّك في النـفس قـرآنـها

وبالرغم أنتَ فصول الآذان وإن يأبَ ذلكَ طـــغيانُها

عــلمتُ بأنّ ولاكَ السـفين وحبُكَ فـي الحشـرِ ربّـانُها

وكان الإمام كاشف الغطاء يستحسن ويستعيد وينطق أغلب القوافي.

٤ ـ النوادر الذاتية:

* عرف عن الإمام كاشف الغطاء اعتداده بنفسه، وهو أهل لهذا الاعتداء مع زهده وتواضعه العجيبين، وقد اشتهر عنه قوله: «إنّ في صدري لعلماً جمّاً، وأخشىٰ شياطين الإنس من أن أبوح به، لأنّهم يوجّهون السـواد الأعـظم وفـق مشـاربهم ومقاصدهم».

وهو يريد بذلك: أنّ المناخ الاجتماعي العامّ قد لا يطيق الحقائق الناصعة مع توافر عنصر الدجل الديني، والزيف الذي يستغلّ سذاجة العوام من الناس، فيتأوّل كلامه الصريح بالتفسير الخاطئ المتعمّد خلافاً للـتوجّه العـلمي الأصـيل، فـيثير الأحاسيس ويهيّج العواطف وفق الرغبات.

* أفاد الشيخ كاشف الغطاء قبل وفاته بعام، وهو يرقد في مستشفىٰ الكرخ (مستشفى الكرامة) ببغداد، وكان الحديث عـن الأعـمار، وقـد سـئل عـن عـمره الشـريف: «أنا لم أبلغ العشرين»! فقيل كيف ذاك؟ فأجاب: «العـمر تـابع لشـعور الإنسان، فإذا شعر بالشباب وهوايات الشباب، فهو كالشابّ في حيويته، والسـنّ تابع للحيوية، وبناءً علىٰ هذه المقدّمات، فأنا أعتبر نفسي شابّاً».

وهكذا كان، فقد كان الشيخ ـ وهو ابن الثمانين ـ يتمتّع بحيوية الشباب.

الفصل الرابع :

علمه وأدبه

علمه

قد ذكرنا سابقاً في مستهلّ الفصل الثاني نبذة عن نشأة الشيخ كاشف الغطاء العلميّة، فقد تدرّج في المراحل الدراسيّة حتّى وصل إلى مرتبة عالية من العلم واللوذعيّة في فهم أسرار كثير من المسائل العلميّة، وآثاره العلميّة تدلّ على طول باعه وسبقه في مضمار البحث العلمي الرصين في أبواب المعرفة الإسلاميّة المتعدّدة، سواء منها في الفقه وأُصوله، أم التفسير، أم علم الكلام، أم الفلسفة، أم اللغة، أم التاريخ والسير والتراجم، وغير ذلك.

ففي مضمار الفقه قد أدخل عليه كثيراً من التطوّر، وأوجد كثيراً من القواعد، وكان من ضمن فتاويه صحّة الزواج بالعقد الدائم من الكتابيّة، وقد أخذ بهذا الرأي في أواخر أيّامه المرحوم السيّد أبو الحسن الأصفهاني ﷺ[1].

ومن آرائه الجريئة إباحته للغناء المجرّد عن الهوس والضوضاء كفنٍّ له قيمته، ولأنّه أحد عناصر الحياة والمواهب التي يعسر علىٰ الكثيرين الوصول إليها. وقد بسط هذا الرأي، وشفعه بكثير من الشواهد التي تعزّزه عند العقلاء.

كما أنّ المبادرة إلى تقنين مسائل الشريعة وجعلها محبوكة ضمن إطار معيّن

(١) السيّد أبو الحسن بن محمّد بن عبد الحميد الموسوي الأصفهاني: المرجع المعروف. ولد في سنة ١٢٨٤ هـ، حضر أبحاث: الميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ الخراساني. من مؤلّفاته: وسيلة النجاة، وحاشية علىٰ العروة الوثقى، وشرح الكفاية، وعدّة رسائل عملية لعمل مقلّديه. توفّي سنة ١٣٦٥ هـ في الكاظميّة، فنقل جثمانه الطاهر إلى النجف، ودفن في حجرة الصحن الغروي. (معارف الرجال ١: ٤٦ ـ ٤٩، الذريعة ٢٥: ٨٥، معجم رجال الفكر والأدب ١: ١٢٩).

كان أملاً يراود روّاد التشريع، وقد قام الشيخ بسدّ هذا الفراغ التشريعي القانوني، ووضع بين يدي العلماء نصوصاً شرعية مقنّنة بأُسلوب عصري استوفى فيه الغرض الذي توّخاه المشرّع الأعظم. وذلك بتأليفه لكتاب «تحرير المجلّة»، حيث أسدى خدمةً جليلة للفقه الإمامي بإدخاله عنصر التقنين على أحكام الشريعة الإسلاميّة.

يمثّل كتاب «مجلّة الأحكام العدلية» القانون المدني للإمبراطورية العثمانية، وكان محلّ اعتماد الدوائر القضائية في هذه الإمبراطورية الكبرى لحلّ المشكلات والمعضلات التي تستعصي على الناس آنذاك. هذا الكتاب تمّ تدوينه وتنقيحه بأُسلوب حقوقي عصري، وأُضيفت على فتاواه الفقهية طابع المواد والبنود الحقوقية والجزائية، ممّا حدا بكاشف الغطاء إلى تأليف كتاب على هذا المنوال.

وفي هذا الصدد يقول سماحته: «لمّا كانت «المجلّة العدلية» أو «مجلّة الأحكام» هي الكتاب المقرّر تدريسه في معاهد الحقوق في زمن الأتراك إلى اليوم، نظرت فيه فوجدته ـ مع حسن ترتيبه وتبويبه وغزارة مادّته ـ محتاجاً إلى التنقيح والتحرير، والإشارة إلى ما فيه من الزيادة والتكرير، وبيان مدارك بعض القواعد والفروع، وذكر الأُصول والفروع، وذكر مبانيها حسب الفنّ من الأدلّة والأُصول. والكتاب المزبور ـ على ما يظهر من أُسلوبه ويغلب عليه ـ أنّه كتاب فقه لا تدوين قانون، أو أنّه فقه قانوني أو قانون فقه»[1]

وقد عمد كاشف الغطاء من خلال تأليفه لكتاب «تحرير المجلّة» إلى نقد كتاب «المجلّة العدلية» من خلال التعريف بالفقه الشيعي على هيئة البنود والمواد الحقوقية والجزائية والمدنية، بالرغم من تسليمه بصحّة هذا النمط من استعراض الفتاوى وتأديتها بهذا الشكل وتناسبه مع ذلك العصر. لذا وجد من المناسب أن يختار هذا الأُسلوب في عرضه للأحكام، وتمّ تأليف المجلّد الأوّل من التحرير في

(١) تحرير المجلّة ١: ١٠٩.

سنة ١٣٥٩هـ، والمجلّد الثاني منه في سنة ١٣٦٠هـ، وطبع تمام الجزءين في النجف، وعلى أثره تمّ كتابة وطباعة الأجزاء الثلاثة الأُخرى لهذا الكتاب، ونال إعجاب الناس واستحسانهم خصوصاً العلماء والمحامين والقضاة والكتّاب والمفكّرين، وطبع في سنة ١٣٦٣هـ.

ولم يخفَ على كاشف الغطاء أهمية الدور الزماني والمكاني في بلورة مسألة الاجتهاد. لهذا كان يأخذ بنظر الاعتبار الملابسات والظروف الزمانية والمكانية في إصدار الفتوى.

فكان يقول في هذا المجال: «إنّني لا أعتقد أنّ المثوبة الحاصلة اليوم من تأسيس (سبيل) للماء وبناء مسجد هي عين المثوبة السابقة، فالإسلام يوم كان يحضّ على إقامة المساجد وتعميرها كان يبغي منها كلّ تلك الفوائد التي ذكرت وأكثر من نشر دعوته، والتبشير بسننه العادلة، وإيصال صوته إلى الغاظين عمّا يرمي إليه الإسلام الصحيح من هدف عملي في حياة الإنسان العامّة».

ويقول في موضع آخر: «لقد كان بناء المساجد في العصور الإسلامية السابقة من أقرب المقرّبات إلى الله يوم كان المسجد محلّاً لأداء الصلاة، ومدرسة يقوم فيها الطلّاب بتلقّي العلوم، ومنتدىً يجتمع فيه المسلمون في كثير من المناسبات، وملجأ للغرباء الذين يفدون على المدينة، ويوم كانت أبواب المساجد بمثابة الجرائد تلصق عليها الإعلانات عن فقدان حاجة وغير ذلك من الأغراض، فهل يمكن أن تكون المثوبة في بناء المساجد ـ إذا ازداد عدد المساجد عن الحاجة ـ هي عين المثوبة بعد أن فتحت المدارس الكافية وتأسّست المستشفيات وبنيت الأندية وتكاثرت المرافق الاجتماعية والمؤسّسات التعاونية؟!».

ويقول في موضع آخر يحدّد فيه الشيخ دائرة اختيارات الفقيه: «إذا كانت في الإسلام أحكام لا ينبغي أن تتبدّل وتتغيّر على مدى الأيّام، فإنّ هنالك أحكاماً

تستلزم التبديل والتغيير إذا تطلّبها العقل والمنطق والمستلزمات الشرعية، ولكن الكثير من المجتهدين تعوزهم السليقة ليجروا مثل هذا التبديل والتغيير، فتظلّ تلك الأحكام جامدة وبعيدة عن الهدف الذي يرمي إليه الشرع».

ويقول أيضاً في كتاب «تحرير المجلّة»: «... فإنّ مثل هذه الأُمور العامّة من وظائف الحاكم، ولا يجوّز حفظ النظام تعطيلها، ولولا نصب الحكّام لمثل هذه الحوادث لاختلّ النظام وتعطّل كثير من الأحكام وساءت حالة الإسلام»[١].

لقد كان يرى بأنّ المعوّل عليه في إصدار الحكم بشأن المنابع الطبيعية والأنفال هو الفقيه ولا غير، لذا كان ﷺ يحتلّ مركز الصدارة من بين مراجع الدين في إصدار الحكم بشأن المسائل المستحدثة.

وفي هذا الصدد كان الكاتب والصحفي العراقي المشهور جعفر الخليلي[٢] يتحدّث عن هذا الأمر ويقول في كتابه «هكذا عرفتهم» بالحرف الواحد: «إنّ الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء كان أوّل داعٍ للإصلاح الديني والاجتماعي، وكان يتمتّع بسليقة قلّ أن يتمتّع بها زعيم روحاني في استنباط الأحكام، فلقد لامني حين سمعني أخطب في حفلة تأبين أبي الحسن الأصفهاني حين قلت: إنّ السيّد أبا

---

(١) تحرير المجلّة ٣: ٣٣٧

(٢) جعفر بن أسد الله بن علي الخليلي: كاتب وشاعر وصحافي شهير. ولد في النجف عام ١٩٠١م في بيت أدب ودين، ودرس في النجف، وانصرف إلى الأدب والصحافة. وكتب الكثير من المقالات والبحوث الأدبية والاجتماعية. أصدر سنة ١٣٤٨هـ جريدة «الفجر الصادق»، ثمّ جريدة «الراعي» عام ١٣٥٣هـ، فجريدة «الهاتف» سنة ١٣٦٠هـ، وأسّس مطبعة «الراعي» في النجف، وانتقل إلى بغداد، وواصل نشاطه بشكل واسع. توفّي في دولة الإمارات العربية المتّحدة سنة ١٩٨٥م، ودفن بها. له: هكذا عرفتهم، اعترافات، أولاد الخليلي، تسواهن، التمور قديماً وحديثاً، الضائع، نفحات من خمائل الأدب الفارسي، عندما كنت قاضياً. (معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٥١٩ ـ ٥٢٠، معجم الشعراء للجبوري ١: ٤٠٠ ـ ٤٠١).

الحسن كان أوّل مجتهد حكم بطلاق امرأة معدمة من زوج كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات، فقال لي الشيخ محمّد الحسين: بل أنا الذي كنت أوّل من حكم بطلاق امرأة من زوج مسلول، وكان ذلك قبل حكم السيّد أبي الحسن بسنوات. فيكون الشيخ ـ بناءً على ذلك ـ أوّل من أخذ الحقّ ـ حقّ الطلاق المفروض أن يكون بيد من أخذ بالساق ـ من الرجل وطلّق الزوجة دون أخذ موافقة الزوج، فسألته عن المسوّغ الشرعي لا المدني طبعاً الذي يبيح له إصدار مثل هذا الحكم، بينما لم يسبق لأحد من الأئمّة ـ فضلاً عن العلماء ـ من استطاع أن يفتي بمثل هذا أو ما يشبهه، فأجابني بكلّ ثقة وصراحة: إنّ المجتهد مشرّع يا عمّي!»[١].

وسأذكر هنا ثلاثة نماذج علميّة في حقول: الفقه، والفلسفة، والتفسير، قام الشيخ ببيان رأيه اللامع فيها:

مسألة فقهيّة حول قسمة الدين[٢]:

الكلام في قسمة الدين تارةً يقع في قسمة المديونين ما عليهم من الديون، وأُخرى في قسمة الدائنين ما لهم من الديون.

أمّا الأوّل فكورثة الميّت الذي تعلّق حقّ الغرماء في تركته، فللورثة أن يقتسموا الديون، فينتقبّل كلّ واحد منهم دين غريم من الغرماء، فإن رضي الغرماء أجمع بذلك صحّت القسمة، وبرأت ذمّة الميت، وانتقلت الديون إلى ذمم الورثة. فلو خاس بعض الورثة بحقّ صاحبه لم يكن له الرجوع على باقي الورثة ولا الغرماء ولا التركة؛ لأنّ الحقّ لكلّ واحد منهم، وقد رضي والتزم بانتقاله وتحويله إلى ذمّة الغير. فليس له إلّا مطالبة تلك الذّمة بحقّه.

أمّا صحّة القسمة فلا إشكال فيها؛ لدخولها في عمومات القسمة، كما أنّ لزومها كذلك.

---

(١) هكذا عرفتهم ١: ٢٤٦.

(٢) لاحظ الفردوس الأعلى: ٢١٢ ـ ٢١٦.

وأمّا الثاني ـ أعني قسمة أرباب الدين ـ فهي أيضاً تقع على وجهين؛ لأنّ الدين المشترك إمّا في ذمّة واحدة، أو في ذمم متعدّدة، سواء كان الدين المشترك المشاع عوض مال مشاع أيضاً، كما لو كانت دار مشاعة بين جماعة فباعوها من واحد أو جماعة، أو لم يكن كذلك، كما لو باع رجلان صفقة واحدة هذا داره وذاك عقاره بمائة دينار، فتكون المائة مشاعة بينهما بالنسبة وإن لم يكن العوض مشاعاً.

وكيف كان، فالكلام يقع تارةً في الديون المتعدّدة على ذمّة واحدة، وأُخرى في المتعلّقة بذمم متعدّدة.

أمّا الثاني فالمشهور بينهم عدم الصحّة[١]، وخالف في ذلك ابن إدريس[٢] وجماعة من المتأخّرين كالمحقّق الأردبيلي قدس سره[٣] وغيره[٤].

---

(١) نُسب للمشهور في الرياض ٩: ١٨٠.

(٢) أبو عبدالله محمّد بن إدريس بن أحمد بن إدريس العجلي الحلّي: فقيه إمامي. ولد حدود سنة ٥٤٣ هـ، وأخذ عن: راشد بن إبراهيم البحراني، وشرف شاه بن محمّد الحسيني الأفطسي. كان متبحّراً في الفقه محقّقاً ناقداً، ووصفه الذهبي بالعلّامة ورأس الشيعة. تتلمذ عليه جماعة، منهم: فخار بن معد الموسوي، وابن نما الحلّي، وابن زهرة الحلبي. من مصنّفاته: السرائر، خلاصة الاستدلال، مناسك الحجّ، مختصر تفسير التبيان. توفّي بالحلّة سنة ٥٩٨ هـ، وله بها مرقد كبير. (سير أعلام النبلاء ٢١: ٣٣٢، رياض العلماء ٥: ٣١ ـ ٣٣، تنقيح المقال (أبواب الميم) ٢: ٧٧).

(٣) أحمد بن محمّد الأردبيلي المعروف بالمقدّس: أحد كبار مجتهدي علماء الإماميّة. ولد في أردبيل ونشأ بها، وارتحل إلى النجف الأشرف، وأكمل دراسته فيها، فبرع في العلوم لا سيّما الفقه. كان متكلّماً فقيهاً من أورع أهل زمانه وأعبدهم. أخذ عنه جماعة كالسيّد محمّد بن علي العاملي، والحسن ابن الشهيد الثاني، ومحمّد بن محمّد البلاغي، وغيرهم. صنّف عدّة كتب، منها: زبدة البيان، مجمع الفائدة والبرهان، حديقة الشيعة، حاشية قواعد الأحكام. توفّي بالنجف عام ٩٩٣هـ. (أمل الآمل ٢: ٢٣، منتهى المقال ١: ٣١١ ـ ٣١٤، أعيان الشيعة ٣: ٨٠ ـ ٨٣).

(٤) انظر: السرائر ٢: ٤٠٢، مجمع الفائدة والبرهان ٩: ٩٣.

ويظهر من صاحب الجواهر رحمه الله[١] أنّ مقتضى الأصل عدم الصحّة[٢]، وكأنّه ناظر إلى أصالة بقاء المال على إشاعته واشتراكه، بناءً على ما هو الحقّ من تحقّق الإشاعة والاشتراك بما في الذمّة.

ولكنّك خبير بانقطاع الأصل بشمول أدلّة القسمة للمقام، وعدم المانع. فلو كان مائة لشخصين في ذمّة زيد ومثلها لهما في ذمّة عمرو، ثمّ اقتسما ذينك المائتين المشاعتين، فعيّنا حقّ أحدهما بما في ذمّة زيد، والآخر بما في ذمّة عمرو، كانت قسمة صحيحة، وتمييزاً للحقّين وتعييناً لأحدهما من الآخر.

والظاهر أنّه لا كلام لهم في أنّ مقتضى الأصل والقاعدة صحّة القسمة في هذا الفرض ـ أعني: صورة الذمم المتعدّدة ـ وإنّما المانع عندهم في صحّتها إطلاق الأخبار المانعة بزعمهم، وسيأتي الكلام عليها.

نعم، قد يشكل الحال في صورة تعدّد الديون على الذمّة الواحدة، وذلك كالمثال المتقدّم فيما لو باع زيد داره وعمرو عقاره صفقة واحدة من خالد بمائة مثلاً، فالمائة في الفرض وإن كانت مشاعة بينهما في الذمّة، ومقتضى إشاعتها أنّ كلّ مقدار يستوفيه أحدهما منها، فهو لهما، وكلّ ما هلك وتوى فهو عليهما، فهما بمنزلة الدائن الواحد، وقبض أحدهما النصف نصف قبض، لا قبض النصف. ولكن ذلك لا

---

(١) محمّد حسن بن باقر بن عبدالرحيم النجفي: من أكابر علماء الإماميّة ونوابغ علماء عصره. ولد في النجف، ودرس عند أعلام عصره: محمّد جواد العاملي، وجعفر بن خضر الجناجي، وموسى بن جعفر كاشف الغطاء. تبحّر في الفقه، وأكّب على التأليف والتدريس، فحضر درسه جمع غفير من الطلبة، منهم: عبد الحسين الطهراني، ومحمّد حسن آل ياسين، ومحمّد حسين الكاظمي، وحبيب الله الرشتي، وحسين بن محمّد رضا بحر العلوم. من مؤلّفاته: جواهر الكلام، نجاة العباد، هداية الناسكين، رسالة في المواريث. توفّي في النجف سنة ١٢٦٦هـ. (معارف الرجال ٢: ٢٢٥ ـ ٢٢٩، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٣٧١ ـ ٣٧٢، مع علماء النجف الأشرف ١: ٦٨١ ـ ٦٨٢).

(٢) الجواهر ٢٥: ٥٤ و٥٧.

يمنع قبوله للقسمة وصحّتها لو اتّفقا عليها بأن يعيّنا حقّ كلّ واحد منهما فيما يقبضه، فإن قبضا معاً فكلّ واحد قبض حقّه، وإن قبض أحدهما تعيّن الباقي للآخر، فدعوى: عدم إمكان القسمة؛ لعدم إمكان التعيين، ممّا لا وجه لها، وهذا القدر كافٍ في صحّة القسمة بلا ريب، فإنّه تعيين للحقّ رافع لتلك الإشاعة والاشتراك حقيقة، فإذا عيّنه المالك ـ أعني: كلّ واحد من الشريكين ـ تعيّن، فإنّ المال الكلّي الثابت في الذمّة لهما، ولهما التصرّف فيه كيف شاءا، سواء رضي من عليه الحقّ أم لا، وإن كان له اختيار تعيين الكلّي في أيّ مصداق أراد.

وبالجملة: فلا مجال للتأمّل في صحّة القسمة وإمكانها، وشمول عموماتها لهذا النوع، بل ولزومها بعد تحقّقها، فيكون لكلّ منهما ما يقبضه، ولا يشاركه الآخر فيه ولو قبض أحدهما وتعذّر قبض الآخر بحيث عدّ كالتالف، كان من نصيبه فقط، بل يمكن القول: بصحّة قبض أحدهما نصيبه من ذلك المشاع حتّى مع عدم القسمة. فلو عمد أحد الشريكين وقبض نصف المال ممّن عليه الحق، ولكن بقصد أنّه قبض حقّه وتمام حصّته لا بقصد الحصّة المشتركة من المال المشترك، صحّ، وكان المقبوض له بتمامه ولو مع عدم إذن شريكه، بل ولو مع عدم رضاه، كما يظهر من ابن إدريس من: أنّ لأحد الشريكين أن يقبض حقّه، كما له أن يهبه، أو يبرئ الغريم منه، أو يصالح عليه[1]، فلو شاركه في المقبوض لكان في هذه الصور كلّها يشارك من لم يهب ولم يبرئ فيما يستوفيه... الخ؛ لأنّ هذه التصرّفات كلّها لا تنافي الإشاعة؛ ضرورة جواز الصلح على المشاع وهبته ونحو ذلك، بل لأنّ الدين المشترك ـ ولو على ذمّة واحدة ـ في نظر العرف وبناء العقلاء كدينين مستقلّين في ذمّة واحدة أو ذمم متعدّدة، فهو كما لو كان لزيد مال في ذمّة بكر ولعمر مال مستقلّ في ذمّته، فلكلّ منهما أن يستوفيه مستقلاً غير منوط أحدهما بالآخر.

هذا ما يقتضيه الأصل والقاعدة في جميع تلك الصور.

---

(١) السرائر ٢: ٤٠٢.

وأمّا الأخبار التي قد يتوهّم منها دلالتها على مقالة المشهور من عدم الصحّة، فليس في شيء منها ما يدلّ على المنع في محلّ الفرض ـ أعني: قسمة الدين ـ إذ ليس في شيء منها التصريح بلفظ الدين، عدا موثّق ابن سنان[١]، وهو لا يصلح وحده لإثبات مثل هذا الحكم المخالف للأصل وللقاعدة كما عرفت.

وأمّا بقية الأخبار فالظاهر منها إرادة قسمة المال الحاضر والغائب من الأعيان المشتركة، ومن المعلوم عدم صحّة قسمة الأعيان الغائبة مع جهالتها.

ويحتمل أن يراد به قسمة الدين، ولكن لا على نحو القسمة الشرعية، بل على نحو التفويض والتخويل من غير جبر ولا تعديل، أو تحمل على أنّه قد جعل التاوي لأحدهما بعد العلم بتوائه عادة.

ويحتمل بعيداً أن يراد وجوب أن يردّ أحدهما على الآخر شيئاً ممّا استوفاه تعبّداً وجبراً لا استحقاقاً.

ولكن ينافيه قوله: «ما يذهب بماله».

وكيف كان، فالوجوه المحتملة فيها كثيرة تصادم ظهورها في إرادة قسمة الدين إن لم نقل بظهورها في غيره، وليس الصريح سوى خبر واحد يقصر عن إثبات حكم مثل هذا مصادم للقواعد المتقنة والأُصول المحكمة.

---

(١) حيث روى عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنّه ـ أي: ابن سنان ـ قال: سألته، عن رجلين بينهما مال، منه دين ومنه عين، فاقتسما العين والدين، فتوى الذي كان لأحدهما من الدين أو بعضه، وخرج الذي للآخر، أيردّ على صاحبه؟ قال: «نعم، ما يذهب بماله». (الوسائل ١٩: ١٣).

وابن سنان هذا هو: عبدالله بن سنان بن طريف، مولى بني هاشم، وقيل غير ذلك. كان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد. ذكر النجاشي: أنّه كوفي ثقة جليل القدر. روى عن الصادق عليه السلام، وقيل: روى كذلك عن الكاظم عليه السلام. له كتاب الصلاة الكبير. (رجال النجاشي: ٢١٤، رجال الكشّي ٢: ٧١٠، الخلاصة: ١٩٢).

وأمّا الشهرة فمعلومة الحال، ويكفي فيها أنّهم تخيّلوا دلالة الأخبار على المنع، أو تخيّل شيخ من الأكبار ذلك ثمّ اتّباع الباقين له كالشيخ الطوسي قدّس سرّه[١] حتّى صار مشهوراً.

فالحكم بالصحّة في جميع الصور هو المطابق للقاعدة، مضافاً إلى أنّ في بعض الأخبار ما يدلّ على الصحّة أيضاً، كخبر علي بن جعفر[٢]، عن أخيه موسى عليه السلام المروي عن «قرب الإسناد»: سألته عن رجلين اشتركا في السلم، أيصلح لهما أن يقتسما قبل أن يقبضا؟ قال: «لا بأس»[٣].

وحمله المشهور على إرادة بيان الجواز[٤]، وأنت خبير بأنّ لازم قولهم ـ بعدم إمكان التعيين فلا يمكن القسمة ـ عدم الجواز أصلاً، وطرح الخبر، فلا محيص عن الالتزام بالإمكان والجواز والصحّة، بل واللزوم.

هذا، وقد أفرط بعضهم فقال: بعدم جواز الصلح عليه، بأن يصالح من عليه

---

(١) أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة: شيخ الإمامية ووجههم، ثقة، صدوق، عظيم المنزلة. ولد بطوس سنة ٣٨٥ هـ، وارتحل إلى بغداد، ولازم الشيخ المفيد وكذلك الشريف المرتضى، وبعد وفاة المرتضى ذاع صيته وارتفع شأنه. روى عن طائفة من المشايخ، منهم: الغضائري، وابن عبدون، وابن الصلت الأهوازي. وروى عنه: ابن البرّاج الطرابلسي، وآدم بن يونس النسفي، وأحمد بن الحسين الخزاعي، وآخرون. من تصانيفه: المبسوط، النهاية، الخلاف، عدّة الأُصول، تفسير التبيان، المسائل الدمشقية. توفّي بالنجف الأشرف سنة ٤٦٠ هـ. (سير أعلام النبلاء ١٨: ٣٣٤ ـ ٣٣٥، مجمع الرجال ٥: ١٩١ ـ ١٩٣، بهجة الآمال ٦: ٣٦٠ ـ ٣٧٠).

(٢) علي بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين: راوٍ إمامي، جليل القدر، ثقة. يعدّ من أصحاب الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام. له: كتاب المناسك، والمسائل لأخيه الكاظم. (رجال الطوسي: ٢٤٤ و٣٣٩ و٣٥٩، الفهرست: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، تنقيح المقال ٢: ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

(٣) الوسائل ١٨: ٣٧١.

(٤) نُسب للمشهور في الجواهر ٢٥: ٥٨.

الحقّ على حصّته ويقبض حقّه منه، بدعوى: إطلاق النصوص في المنع تارةً، وبكون القسمة نوعاً من الصلح أو قريبة منه، فمع ظهور النصوص في عدم قسمة الدين قد يستفاد منه عدمها ولو بالصلح أيضاً[(١)].

ولكن الجميع كما ترى.

مسألة فلسفيّة حول العقول العشرة وقاعدة أنّ الواحد لا يصدر عنه إلّا واحد[(٢)]:

سؤال موجّه للإمام كاشف الغطاء حول العقول العشرة:

إلى سماحة شيخنا الحجّة ـ أطال الله بقاءه ـ : ما المراد من العقول العشرة؟ وما هي تلك العقول؟ نرجو من ألطافكم أن تتفضّلوا ببيان الجواب على نحو التصريح والتوضيح.

الجواب:

اعلم أوّلاً أنّ المراد من العقول هي الموجودات المقدّسة والجواهر الخالصة المنزّهة من شوب المادّة والمادّي والجسم والجسماني، ومعروف أنّ العقل هو الجوهر المجرّد في ذاته وفي فعله، واتّفق الحكماء بالأدلّة والبراهين المحكمة، كقاعدة إمكان الأشرف[(٣)] وغيرها [على] أنّ العقول أوّل الموجودات، ومبدأ الصوادر، ووسائط الفيض.

---

(١) نقله النجفي عن بعضهم في الجواهر ٢٥: ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) الفردوس الأعلى: ٧٠ ـ ٧٥.

(٣) انظر: المباحثات: ٢٠٤، كلمة التصوّف (ضمن الرسائل الثلاث لشيخ الإشراق): ١٠١، اللمحات (ضمن الرسائل الثلاث لشيخ الإشراق): ١٥٦، القبسات: ٣٧٢، الحكمة المتعالية ٢: ٣٠٧ و٧: ٢٤٤. ومفادها: أنّ الممكن الأشرف يجب أن يكون أقدم في مراتب الوجود من الممكن الأخسّ، فلابدّ أن يكون الممكن الذي هو أشرف منه قد وجد قبله.

وذهب المشّاؤون ـ وهم طائفة من الحكماء ورئيسهم المعلوم الأوّل أرسطو[١] ـ إلى حصر العقول الكلّية في العشرة. وليس المراد الكلّي المفهومي، بل الكلّي الوجودي، ويسمّونه على اصطلاح الحكماء: بربّ النوع.

وبيان ذلك إجمالاً هو: أنّ بحكم القاعدة المبرهنة في محلّها، وهي أنّ «الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد»، لابدّ وأن يكون الصادر الأوّل من الواحد البسيط من جميع الجهات هو الواحد، ولمّا كان الحقّ سبحانه واحداً من جميع الجهات وبسيطاً من كلّ الحيثيات، فلابدّ وأن يكون الصادر الأوّل من ذاته الأحدية العقل الأوّل، والأحاديث الشريفة عند الفريقين متواترة، وفي كتاب «الكافي»[٢] وغيره من الجوامع الحديثية مروية من: أنّ «أوّل ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل...» الخ.

وهذا العقل الأوّل عبارة عن مرتبة العقل المحمّدي صلى الله عليه وآله، ولهذه الجهة قال صلى الله عليه وآله: «إنّ أوّل ما خلق الله نوري»[٣]، فلا تنافي بين هذين الحديثين. وهذا العقل الأوّل هو الذي يعبّر عنه في لسان الشرع المقدّس بالعبارات المختلفة، فهو: العقل

---

(١) أرسطوطاليس: من أعظم الفلاسفة، وهو ابن نيقوماخوس الطبيب. ولد سنة ٣٨٤ ق. م. وأمضىٰ حوالي عشرين عاماً متتلمذاً على أفلاطون، فكان عضواً في الأكاديمية. وعند موت معلمه غادر أرسطو أثينا مع بعض رفاقه إلى أسوس، وحلّوا ضيوفاً على هرمياس الأترنوسي الطاغية، فتزوّج أرسطو أُخته التي كانت تدعى بيثياس. وفي حوالي سنة ٣٤٢ ق. م دعاه فيليب ملك مقدونيا ليذهب إلى بلاطه ويعلّم الإسكندر ابنه. وفي سنة ٣٣٥ ق. م أسّس الفيلسوف في أثينا مدرسة عرفت باسم: بريباتوس، وفي أثينا أكمل القسم الأكبر من مؤلّفاته، وعند موت الإسكندر اعتزل الناس في جزيرة أُروبا. وقد حكم عليه مجمع حكماء أثينا بالإعدام، ومات ممعوداً سنة ٣٢١ ق. م. من مصنّفاته: التمهيد، أغاليط السفسطائيّين، كتاب الشعر، الفيزيقا، في توالد الحيوان، دستور أثينا، السياسة. (نزهة الأرواح (فارسي): ١٨٥ ـ ٢٠٣، قصّة الفلسفة: ٦٧ ـ ١٢٥، المنجد في الأعلام: ٣٧، موسوعة أعلام الفلسفة ١: ٧٢ ـ ٧٦).

(٢) الكافي ١: ١٠.

(٣) بحار الأنوار ١٥: ٢٤ و٢٥: ٢٢.

الأوّل، والحقيقة المحمّدية، ونور محمّد وآله، ورحمته التي وسعت كلّ شيء، وأمثال ذلك. وهذا العقل وإن كان واحداً ولم يصدر إلّا عن الواحد، لكن لمّا كان ممكناً ومعلولاً وحادثاً ومتعدّد الجهات والحيثيات اعتبر فيه ثلاث جهات:

الأُولى: من حيث نسبته إلى علته، يعني: وجوبه الغيري.

والثانية: من حيث ذاته ووجوده، يعني: وجوده الإمكاني.

والثالثة: من حيث ماهيته وحقيقته، يعني: ماهيته الإمكانية.

فتحصّل فيه ثلاثة معان وجهات: وجوب، ووجود، وماهية. وبعبارة أُخرى: نور، وظلّ، وظلمة.

فمن حيث تعقّله أو تعلّقه بمبدئه صدر منه العقل الثاني ونال فيض الوجود، ومن حيث تعقّله لوجود ذاته خلق نفس الفلك الأعلى، ومن حيث تعقّله لماهيته وحدّه وإمكانه ـ وهذه الثلاثة عبارة عن معنىً واحد ـ خلق جسم الفلك الأعلى.

وهكذا الكلام في العقل الثاني، وتلك الجهات والحيثيات الثلاثة فيه أيضاً موجودة، فمن الجهة الأُولى صدر العقل الثالث، ومن الثانية خلقت النفس الفلكية للفلك الثاني، ومن الجهة الثالثة خلق جسم الفلك الثاني، وهكذا، فهلمّ جرّاً، إلى العقل العاشر، وهو آخر العقول، ويقال له: العقل الفعّال، وهو من جهة بعده عن مبدئه الأصلي وعلّته الأُولى ظهر فيه الضعف، ومن جهة أنّه لمّا لم يكن فيه صلاحية الفيض لم يصدر عنه عقل أيضاً، ولكن بوجوده الإمكاني أُفيضت هيولى العوالم العنصرية من فلك القمر، ما هو في ضمنه، وبوجوبه الغيري ووجوده أُفيضت النفوس والصور على تلك الهيولى. ولهذا قال بعض الحكماء: إنّه فوّض للعقل الفعّال ربوبية عالم العناصر، فصدر من كلّ واحد من تلك العقول عقل واحد وفلك واحد ونفس فلكية، حتّى تمّت العقول العشرة والأفلاك التسعة الحيّة، بمعنى: أنّ لها نفساً مدركة عالمة.

وبعض كلمات أرباب العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) دالّة على حياة الأفلاك بهذا المعنى، فمن تأمّل في دعاء رؤية الهلال من أدعية زبور آل محمّد ﷺ

ـ أعني: الصحيفة السجّادية[1] ـ ظهر له هذا المطلب غاية الظهور والوضوح.

وليعلم أنّ الحكماء شرحوا هذه القضايا، ونظموا هذه البيانات، ونضدوها كنضد الدرر، ولكن لم يذهبوا ـ معاذ الله ـ إلى أنّ العقل الأوّل خالق للعقل الثاني والفلك الأوّل، حتّى يقال في حقّهم: إنّهم يجعلون شريكاً للحقّ جلّ وعلا في الخلق والإيجاد، حاشاهم أن يقولوا هذا، ولم يتفوّه أحد منهم بهذه المقالة الفاسدة والكلمة الفاضحة، كيف وجميع طوائف الحكماء اتّفقوا على أنّه لا مؤثّر في الوجود إلّا الله، بل مرادهم أنّ كل عقل بالنسبة إلى الآخر واسطة للفيض ومعدّ للوجود له، بمعنى: أنّ الحقّ جلّ وعلا يفيض الوجود إلى العقل الأوّل ابتداءً، وإلى العقل الثاني والفلك الأوّل ثانياً وبالواسطة، كما أنّكم تقولون في محاوراتكم: إنّ من الأب والأمّ خلق الولد، والوالد علّة لوجود الولد، وليس المراد ـ والعياذ بالله ـ أنّ الوالد خالق للولد أو مفيض الوجود للولد، بل لا خالق ولا موجد إلّا الله تبارك وتعالى، ولكنّ الشخص الذي هو عبارة عن زيد بن عمرو وهند لا يكون موجوداً بهذه الخصوصيات إلّا بعد وجود عمرو وهند.

هكذا العقل الثاني وجود واحد في مرتبة خاصّة، لا يكون موجوداً بهذه المرتبة من الخصوصية إلّا بعد العقل الأوّل، فالعقل الأوّل له نحو إعداد لوجود العقل الثاني، كمعدّية وجود الآباء والأجداد في وجودي ووجودك.

وبناءً على مذهب المشّائين الذي ذكرنا خلاصته، العقول الكلّية عندهم إنّما تكون طولية، وليست هناك عقول عرضية كلّية، والعقول الكلّية الطولية عندهم محصورة في العشرة، وأمّا العقول الجزئية فهي غير متناهية.

وليس على هذا الحصر برهان، والبيان الذي ذكروه والتقريب الذي صدعوا به لا يفيد الحصر؛ فإنّ المرتبة النازلة حيثيات وجهات متضاعفة من جهة تعدّد الواسطة والوسائط.

---

(١) الصحيفة السجّادية: ١٤٨ ـ ١٤٩.

ولذا ينبغي الإفصاح بأنّ الحقّ في هذه المسألة هو مذهب الإشراقيّين من الحكماء، فإنّهم ذهبوا إلى: أنّ العقول الكلّية الطولية والعرضية ـ فضلاً عن العقول الجزئية ـ غير متناهية.

وهذا موضوع واسع الأطراف، ومسألة في غاية الإحكام والمتانة، وأقرب إلى الشرع المقدس، وألصق بكلمات أصحاب الوحي والتنزيل، وأليق بعظمة الحقّ سبحانه، وعدم تناهي قدرته، وهي أسماؤه التي ملأت أركان كلّ شيء، وفي دعاء مولانا الحجّة المنتظر ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ في أيّام شهر رجب، وأوّله: «اللهمّ، إنّي أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك» [1] إلى آخره، إشارات ورموز تحتها معادن وكنوز ودلالات لتلك المباني والمعاني. وشرح هذه المطالب والمذاهب وتنسيق تلك الحقائق والرقائق يحتاج إلى إفراد رسالة مستقلّة في التأليف والترصيف، ولا فسحة في المقام، ولا وسعة لتلك التحقيقات الطويلة الذيل:

شرح إين هجران وإين خون جگر   إين زمان بگذار تا وقت ديگر [2]

وله الحمد والمنّة أوّلاً وآخراً، وبه المستعان وعليه التكلان .

❊ ❊ ❊

«وهنا قاعدة أُخرى يطابقها البرهان ويساعدها الوجدان، وهي: أنّ بين كلّ علّة ومعلول لابدّ أن تكون سنخية ومناسبة، بمعنى: أن تكون بينهما جهة وحيثية، وبتلك الجهة والحيثية يصدر هذا المعلول من تلك العلّة، فإن لم يكن بينهما السنخية والاقتضاء الخاصّ يلزم أن يؤثّر كلّ شيء في كلّ شيء، ومعروف أنّه لولا السنخية

---

(١) مصباح المتهجّد: ٧٣٩.

(٢) هذا البيت للشاعر جلال الدين الرومي، تجده في مثنوي معنوي (فارسي): ٢٤.

ومعنىٰ البيت: شرح هذا الهجران وهذا الألم دعه في هذا الزمان إلىٰ وقت آخر.

مع العلم بأنّه قد ورد في المثنوي المعنوي لفظ: (خون) بدل: (درد)، و: (دگر) بدل: (ديگر).

بين العلّة والمعلول لزم تأثير كلّ شيء في كلّ شيء، فإن صحّت هاتان القاعدتان وأذعنّا بتصديقهما فنقول حينئذٍ: إن صدر شيئان متباينان من جميع الجهات والحيثيات من واحد بسيط من جميع الجهات والحيثيات بحيث لا يتعقّل فيه حيثية دون أُخرى وجهة دون جهة، يلزم إمّا بطلان القاعدة الأُولى أو الثانية؛ لأنّ هذين المعلولين المتباينين إن صدرا من حيثيتين متباينتين لزم التركيب في العلّة وانقلب الواجب ممكناً، وإن صدر المعلولان المتباينان من تلك العلّة البسيطة التي ليست فيها حيثيات متغايرة وجهات متعدّدة أصلاً وأبداً فلابدّ حينئذٍ من صدور إحدى الحيثيتين الذاتيتين، بمعنى: أنّ تمام ذات العلّة البسيطة تقتضي وتستدعي وجود ذلك المعلول، وحينئذ فإمّا أن لا يصدر منه معلول آخر، فيثبت المطلوب من أنّ الواحد لم يصدر عنه إلّا واحد، وإمّا أن يصدر عنه معلول آخر، فيلزم عدم السنخية والاقتضاء الخاصّ بين العلّة والمعلول، بمعنى: أنّه يلزم صدور المباين عن مباينه، وهذا مستحيل بضرورة العقل.

فملخّص البرهان على صحّة هذه القاعدة: أنّه إن صدر من واحد غير الواحد يلزم إمّا التركيب في ذات الواجب فيكون ممكناً، وإمّا عدم السنخية بين العلة والمعلول، وكلاهما باطلان بضرورة العقل، فصحّ أنّ الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد.

وهذا البرهان بهذا النحو من البيان والسهولة والاختصار لم أقف عليه في محلّ، والبراهين التي ذكرها القوم فيها تطويلات وتفصيلات لا يفهم منها شيء إلّا بعد ألف ليت ولعلّ!

ولابدّ وأن يعلم أنّي لا أستحسن أن يسئل منّي نظائر هذه الأسئلة؛ فإنّه مضافاً إلى أنّ هذه المعاني لا يتحمّلها خصوص أذهان العوام ولا ينتفع منها أغلب الأنام، أنّ أذهان أكثر الطلّاب والناشئة المنتمين للعلم أيضاً لا تتحمّلها ولا تسعها ولا يصلون إلى لباب نكات معانيها وأسرار دقائق مطاويها.

ويمكنني أن أدّعي أنّي لم أُراجع أمثال هذه المطالب والمسائل منذ خمس عشرة سنة، بل انحصر عملي واشتغالي بفقه آل محمّد صلى الله عليه وآله، فإن عرض لي صدفة أمثال هذه الأسئلة والبحوث والمطالب أفصح عنه وأكتب من بقايا تلك المكنونات المغروسة في الضمير، وما اختمر من تلك المطالب في الفكر، من دون تجديد مراجعة حتّى إلى المختصرات فضلاً عن المطوّلات، وأغلب المطالب الحكمية والبحوث القيّمة التي لها نفع في أُصول الدين وتبتني عليها العقائد الحقّة أوردناها بأحسن بيان وأوفى برهان في كتابنا «الدين والإسلام»[1]، فإن رجع إليه أهل الفضل وأُولي النجدة والكمال وجدوا في ذلك السفر الجليل فلسفة وثيقة وكنوزاً من العلوم الجمّة، وفيه ضالّتهم المنشودة، وما الثقة إلّا بالله، وما المستعان إلّا به»[2].

أسئلة قرآنيّة تفسيريّة موجّهة إلى الإمام كاشف الغطاء[3]:

السؤال الأوّل:

قوله تعالى في سورة الجمعة المباركة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[4]. بيّنوا لنا النكتة في تقديم التجارة على اللهو في صدر الآية وتأخيرها عنه في ذيلها.

الجواب:

النكتة في تقديم التجارة على اللهو وتأخيرها في التنزيل في آية الجمعة

---

(١) قد حقّقتُ ـ والحمد لله ـ هذا الكتاب القيّم بنشر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

(٢) الفردوس الأعلى: ٧٦ ـ ٧٨.

(٣) المصدر السابق: ٨٢ ـ ٨٩.

(٤) سورة الجمعة ٦٢: ١١.

واضحة وبديهة؛ فإنّ التجارة لمّا كانت عملاً عقلائياً، وهي أشرف من اللهو طبعاً، ناسب أن يكون الترقّي منها إلى اللهو في الجملة الأُولى، فكأنّه تعالى يقول: إذا رأوا تجارة، بل ما هو أخسّ من التجارة ـ وهو اللهو ـ تركوا الصلاة واشتغلوا باللهو. أمّا في الجملة الثانية فالمناسبة تقتضي العكس، فكأنّه تعالى يقول: ما عند الله خير من اللهو، بل خير من التجارة التي هي أشرف من اللهو. وهذه من نكات بلاغة القرآن المجيد.

وفي الآية سؤال آخر، وهو: ما وجه إفراد الضمير في قوله تعالى: ﴿انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾، مع أنّ المقام يقتضي أن يقال: انفضّوا إليهما؟

ويخطر على بالي أنّ المفسّرين يجعلونه من باب الحذف والتقدير: وإذا رأوا تجارة انفضّوا إليها، أو لهواً انفضوا إليه[1]، ومثله في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[2]، وحقّها أن يقال: ولا ينفقونهما. والوجه المتقدّم في هذه الآية مقبول في الجملة، يعني: حذف من الأوّل؛ لدلالة الثاني عليه.

أمّا في آية الجمعة فغير مستحسن كما لا يخفى بعد أدنى تأمّل، والذي أراه في الآيتين وأمثالهما عدم الحاجة إلى التقدير، بل المراد بالضمير: المذكورات، ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾، أي: إلى المذكورات، وهكذا في الثانية، ولعلّ نظائره في القرآن الكريم وغيره غير عزيز.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

---

(١) راجع: مجمع البيان ١٠: ١٥، الكشّاف ٤: ٥٣٧، تفسير الفخر الرازي ٣٠: ١٢.

(٢) سورة التوبة ٩: ٣٤.

مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾[١]، لم يعبّر سبحانه في الجملتين المتعاطفتين بنسق واحد، لم يقل جلّ وعلا: «فريقاً تقتلون وفريقاً تأسرون»، ولا بالعكس، فما النكتة في ذلك؟

الجواب:

ولعلّ السرّ في التغيير هو المحافظة على الروي، فإنّ آيات سورة الأحزاب من أوّلها إلى آخرها رويها الألف، مضافاً إلى احتمال الإشارة إلى أنّ الأسر كالقتل لا فرق ولا فاصل بينهما، فاتّصالهما في الألفاظ يشير إلى اتّصالهما في المعنى.

السؤال الثالث:

السماوات التي نطق بها القرآن الكريم، ما حقيقتها في الديانة المقدّسة؟ وتطبيقها مع الأفلاك التي تقول بها الهيئة القديمة، وكذا تطبيقها مع الهيئة الجديدة لا تطمئن به النفس، وأيضاً أيّ دليل دلّ صريحاً من الكتاب والسنّة على كون العرش والكرسي شيئاً جسمانياً؟ المرجو من لطفكم العميم أن تكشفوا لنا الغطاء عن هذه المعضلة.

الجواب:

ظاهر القرآن العزيز أنّ السماوات أجسام وأجرام مبدأها دخّان: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[٢]، ولعلّه كناية عن الغاز أو الأثير أو ما أشبه ذلك من العناصر اللطيفة الشفّافة السائلة، ثمّ تماسكت وجمدت، كما تشير إليه بعض خطب

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٢٦.

(٢) سورة فصّلت ٤١: ١١.

أمير المؤمنين عليه السلام في «النهج»[1] وغيره.

وهذا قريب إلى ما تصوّره الهيئة القديمة من الأفلاك السبعة بل التسعة من فلك الأفلاك إلى فلك القمر، وأنّ كل واحد منهما جسم أثيري مستدير لا يقبل الخرق والالتئام، والكوكب، يعني: زحل والمشتري والمريخ وأخواتها، كلّ واحد منها مركوز في ثخن فلكه، وفرضوا لبعضها حوائل وموائل وجوزهرات، إلى تمام ما هو مبسوط في الهيئة القديمة من الحدسيات ونحوها، ممّا اضطرّهم إلى فرضه حركات تلك الكواكب السبعة، ولا سيّما الخمسة المتحيّرة منها ذوات الرجوع والإقامة والاستقامة.

نعم، ما هو الظاهر من الشرع في السماوات والكواكب لا ينطبق على الهيئة الحديثة، بل هي قديمة أيضاً. فإنّها مبنية على الفضاء غير المتناهي، وكلّ كوكب يتحرّك في ذلك الفضاء في مدار مخصوص، ويرتسم من حركته فلك أيّ دائرة لا ينفكّ سيره عليها، وفرضوا شموساً، ولكلّ شمس نظام من أقمار وكواكب وأراضي تدور حول شمسها، أحدها بل أصغرها نظامنا الشمسي. وليس في إنكارهم للسماوات بالمعنى الظاهر من الشرع دعوى اليقين بعدمها، بل بمعنى: أنّ علمهم وبحثهم لم يوصلهم إليها. وهي ـ أي: هذه الطريقة ـ أسلم وأبسط من الأُولى، والاعتبار والآثار تدلّ عليها، ولم يحتاجوا إلّا إلى فرض الأثير المائي لذلك الفضاء لنقل النور من كوكب إلى آخر، وقد اكتشفوا بآلاتهم الرصدية سيارات أُخرى كثيرة غير السبعة المشهورة، ممّا لا مجال لذكرها في هذا المقام.

وأمّا العرش والكرسي فليس في الشرع كتاباً وسنّة ما يدلّ صريحاً على جسمانيتهما، سوى بعض إشارات طفيفة، مثل قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٩ و١٨٢ و٢١١.

وَالْأَرْضَ﴾[١]، وقوله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٢]، وهي مصروفة عن هذا الظاهر قطعاً.

وأمّا السنّة فالأخبار ـ كما في السماء والعالم من «البحار»[٣] وغيره ـ مختلفة أشدّ الاختلاف، وفيها ما يشعر بأنّهما جسمان، وأكثرها صريح في عدم الجسمية، وأنّهما من مقولة العلم والقدرة والملك وصفات الذات المقدّسة.

وبالجملة: فإمعان النظر في الأخبار وكلمات العلماء والمفسّرين لا يزيد إلّا الحيرة والارتباك، والذي أراه في هذا الموضوع الدقيق والسرّ العميق والبحث المغلّف بسرائر الغيب وحجب الخفاء أنّ المراد بالكرسي هو: الفضاء المحيط بعالم الأجسام كلّها من السماوات والأرضين والكواكب والأفلاك والشموس، فإنّ هذه العوالم الجسمانية بالقطع والضرورة لها فضاء يحويها ويحيط بها، سواء كان ذاك الفضاء متناهياً، بناءً على تناهي الأبعاء، أو غير متناه، أي: مجهول النهاية، بناءً على صحّة عدم تناهي معلولات العلّة غير المتناهية. وهذا الفضاء المحيط بعوالم الأجسام هو الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[٤]، وهو المعبّر عنه أيضاً بلسان الشرع بـ «عالم الملك»، تبارك الذي بيده الملك.

ثمّ تحمل هذا الفضاء وكلّ ما فيه القوّة المدبّرة المتصرّفة فيه، وليست هي من الأجسام، بل نسبتها إلى الأجسام نسبة الروح إلى الجسم، وهذه هي «العرش» الذي يحيط بالكرسي، ويحمله ويدبّره ويصرّفه ويتصرّف فيه.

وتقوم تلك القوة بثمانية أركان، كلّ واحد متكفّل بجهة من التدبير، فتحمل

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٥٥.

(٢) سورة طه ٢٠: ٥.

(٣) بحار الأنوار ٥٥: ١ ـ ٣٩.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٥٥.

ذلك العرش المحيط بالكرسي وما فيه، وهي حملة العرش: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[١]. ولعلّ هذه الثمانية هي الصفات الثمانية: العلم، والقدرة والحياة، والوجود، والإرادة، والسمع، والبصر، والإدراك، فهي بالنظر إلى نسبتها إلى تدبير الأجسام والسماء والأرض وما فيهما «العرش الأولى»، وبالنظر إلى نسبتها إلى الذات المقدّسة وأنّها صفات تلك الذات «العرش الأعلى»، والملائكة الكروبيّين، والعرش الأعلى والأدنى هو عالم الملكوت.

ثمّ فوق القوّة المدبّرة للأجسام عالم العقول والمجرّدات والملائكة الروحانيّين، وهذا هو عالم الجبروت.

ثمّ يحيط بهذا العالم ويدبّره ويتّصل به عالم الأسماء والصفات والإشراقات والتجلّيات، وهو عالم اللاهوت.

فانتظمت العوالم الأربعة هكذا: عالم اللاهوت، ثمّ عالم الجبروت، ثمّ عالم الملكوت وهو العرش، ثمّ عالم الملك وهو الكرسي، أعني: الأجسام والجسمانيات.

أمّا أهل الهيئة القديمة من علماء المسلمين فقد جعلوا فلك الثوابت هو الكرسي، والفلك التاسع الأطلس هو العرش.

ومهما كان الواقع، فإنّ كلّ هذه العوالم أشعّة تلك الذات المقدّسة الأحدية، ومضافة إليها إضافة إشراقية لا مقولية، وسارية تلك الحقيقة سريان العلّة في المعلول:

جمالك في كلّ الحقائق سائر   وليس له إلّا جلالك ساتر

إلى آخر الأبيات.

وهذا البيان في توجيه العرش والكرسي وتطبيقه على العوالم الكونية من متفرّداتنا، ولنا هنا مباحث دقيقة وأسرار عميقة لا يتّسع لها الوقت ولا المجال، ولله

---

(١) سورة الحاقّة ٦٩: ١٧.

الحمد والمنّة على كلّ حال.

والحقّ أنّ الإمام كاشف الغطاء يعدّ في حدّ ذاته دائرة معارف كبرىٰ في جملة الفنون الإنسانية ؛ لاستحضاره كثيراً من العلوم نتيجة مخزونه الثقافي الثرّ. وعبقريته في هذا المجال مترامية الأطراف. وقد اخترنا نموذجاً منها للاستذكار العلمي لديه دون إعداد أو تحضير. ولا تخطيط أوّلي.

لقد زار النجف الأشرف قبل ستّة وسبعين عاماً تقريباً. وبالضبط في ليلة ٢١ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ المصادف لعام ١٩٣٠ م وفد مصري رفيع المستوىٰ برئاسة الأُستاذ الدكتور أحمد أمين[1] صاحب «فجر الإسلام»، و«ضحىٰ الإسلام»، و «ظهر الإسلام»، وسواها من المؤلّفات.

وبعد زيارة ضريح أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ، قرّر الوفد زيارة الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء. فاجتمع به الوفد في داره، وزار المجتمعون مكتبته العامرة وتمتّعوا كثيراً بنفائسها. وأعجبوا كثيراً بجهود والده الشيخ علي في استنساخ مخطوطات العالم الثمينة بيده وبخطّه الجميل الأخّاذ.

دارت بين الوفد والإمام كاشف الغطاء أحاديث ومناظرات وعتاب واستغراب. فتوجهوا إليه بالأسئلة في مواضيع شتّىٰ فأجاب.

---

(١) أحمد أمين بن إبراهيم الطبّاخ: أديب مؤرّخ. ولد في القاهرة سنة ١٨٧٨م، وقرأ مدّة قصيرة في الأزهر، وتخرّج بمدرسة القضاء الشرعي، ودرّس بها إلى سنة ١٩٢١م، وتولّى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ثمّ عيّن مدرّساً بكلّية الآداب بالجامعة المصرية، وانتخب عميداً لها سنة ١٩٣٩م، وعيّن مديراً للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٧م، واستمرّ إلى وفاته سنة ١٩٥٤م. منحته جامعة القاهرة عام ١٩٤٨م لقب دكتور فخري. من مؤلّفاته: فيض الخاطر، فجر الإسلام، ضحى الإسلام، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، حياتي، مبادئ الفلسفة. (الأعلام للزركلي ١: ١٠١، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٣٠٧ـ ٣٠٨).

قال الإمام كاشف الغطاء: «من العسير أن يلمّ بأحوال النجف وأوضاعها ـ وهي تلك المدينة العلمية المهمّة ـ شخص لا يلبث فيها أكثر من سواد ليلة واحدة، فإنّي قد دخلت مصركم قبل عشرين سنة، ومكثت فيها مدّة ثلاثة أشهر متجوّلاً في بلدانها باحثاً ومنقّباً، ثمّ فارقتها وأنا لا أعرف من أوضاعها شيئاً، اللهمّ إلّا قليلاً، ضمّنته أبياتاً، أتذكّر منها:

تبزغ شمس العلىٰ ولكن ... من أُفقها ذلك البزوغ
ومثلما تنبغ البرايا ... كذا لبلدانها نبوغ
أكثر شيء يروج فيها ... اللهو والزهو والنزوغ»

فضحكوا من كلمة (النزوغ)، وقال الأُستاذ أحمد أمين مخاطباً الشيخ: «قلتم هذا قبل عشرين سنة»؟

قال: «نعم، وقبل أن ينبغ طه حسين[1]، وينزغ سلامة موسىٰ[2] ويبزغ «فجر الإسلام»، وقد ضمّنته ـ مخاطباً أحمد أمين ـ من التلفيقات عن مذهب الشيعة ما لا يحسن بالباحث المؤرّخ اتّباعه».

---

(١) ستأتي ترجمته في طيّات الكتاب.

(٢) سلامة موسى القبطي المصري: كاتب مضطرب الاتّجاه والتفكير. ولد في قرية كفر العفي بقرب الزقازيق سنة ١٨٨٧م، وتعلّم بالزقازيق وباريس ولندن، ودعا إلى الفرعونيّة، وشارك في تأسيس حزب اشتراكي، لم يلبث أن حلّه الإنجليز، واعتقلوه وسجنوه مدّة. جحد الديانات في شبابه، وعاد إلى الكنيسة في سنّ الأربعين، وأصدر مجلّة «المستقبل» قبل الحرب الكونية الأُولى، وتعطّلت بسببها. عمل في التدريس، ثمّ رأس تحرير مجلّة «الهلال» حتّى عام ١٩٢٧م، وقام بحملة على الصحافة اللبنانيّة بمصر، فنشرت دار الهلال رسائل بخطّه تثبت أنّه كان عيناً عليها لحكومة صدقي. كان كثير التجنّي على كتب التراث العربي، يناصر بدعة الكتابة بالحرف اللاتيني. من مؤلّفاته ومترجماته: حرّية الفكر وأبطالها في التاريخ، نظرية التطوّر وأصل الإنسان، غاندي والحركة الهندية، فنّ الحياة، التثقيف الذاتي. توفّي في إحدى مستشفيات القاهرة سنة ١٩٥٨م. (الأعلام للزركلي ٣: ١٠٧ ـ ١٠٨).

أحمد أمين: «ولكن ذلك ذنب الشيعة أنفسهم؛ إذ لم يتصدّوا إلىٰ نشر حقيقة مذهبهم في الكتب والصحف ليطّلع العالم عليه».

الشيخ: «هذا كسابقه، فإنّ كتب الشيعة مطبوعة ومبذولة أكثر من كتب أيّ مذهب آخر، وبينها ما هو مطبوع في مصر، وما هو مطبوع في سوريا، عدا ما هو مطبوع في الهند وفارس والعراق وغيرها، هذا فضلاً عمّا يلزم للمؤرّخ من طلب الأشياء من مصادرها».

أحمد أمين: «حسناً، سنجتهد في أن نتدارك ما فات في الجزء الثاني».

ثمّ قال أحمد أمين: «هل يسمح لنا العلّامة في بيان العلوم التي تقرأونها»؟

الشيخ: «هي علوم: النحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والمنطق، والحكمة، والكلام، وأُصول الفقه، والفقه، وغيرها».

أحمد أمين: «ما هي كيفية التدريس عندكم»؟

الشيخ: «التدريس عندنا علىٰ قسمين:

١ ـ سطحي، وهو: أن يفتح التلميذ كتاباً من كتب العلوم المتقدّمة بين يدي أُستاذه، فيقرأ له هذا عبارة الكتاب ويفهّمها التلميذ، وقد يعلّق عليها ويورد ويعترض ويشكل ويحلّ وغير ذلك ممّا يتعلّق بها.

٢ ـ خارج، وذلك: أن يحضر عدّة تلاميذ بين يدي الأُستاذ، فيلقي عليهم الأُستاذ محاضرة تخصّ العلم الذي اجتمعوا ليدرسوه، ويكون هذا غالباً في علوم الفقه والأُصول والحكمة والكلام، مع ملاحظة أنّ التلميذ بكلا القسمين يكون ذا حريّة في إبداء آرائه واعتراضاته وغيرها».

أحمد أمين: «إنّ البعثة تودّ أن تسمع بحثكم، فهل أنتم فاعلون؟»

وقد أجاب الشيخ طلب البعثة بالقبول، فرقىٰ المنبر وقد اجتمع حوله من حضر الجلسة من تلاميذه. ونظراً لأنّ الشيخ علىٰ غير سابقة عهد وعلى غير تهيئة

وتمهيد لنوع العلم الذي سيبحث فيه، لهذا تركوا له الحرّية في اختيار العلم، وهنا أبتدأ سماحته مرتجلاً، فقال:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم

وله الحمد

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، تشتمل هذه الآية علىٰ عقدين: عقد سلب، وعقد إيجاب.

أمّا عقد السلب ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ﴾، فهو من الأساليب القرآنية التي اخترعها وارتجلها في الاستعمالات العربية، ولم تكن معروفة من ذي قبل، وقد تكرّرت هذه الجملة في الكتاب الكريم.

وهي تارةً تتعلّق بالأفعال، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾[3]، وقوله: ﴿لَا تَقْرَبُواْ الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾[4]، ويكون المراد منها حينئذٍ علىٰ سبيل الاستعارة بالكناية: المبالغة في التحذير عن ارتكاب ذلك الفعل، الزنىٰ والصلاة مع السكر، أو غير ذلك.. وشبّه اسم المعنىٰ باسم العين، فحذّر من قربه، فكيف بملاصقته أو الدخول فيه؟!

وأُخرى تتعلّق بالأعيان، مثل قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[5]. وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾[6]، ومن هذا القبيل آية العنوان

---

(١) سورة الأنعام ٦: ١٥٢، وسورة الإسراء ١٧: ٣٤.

(٢) سورة الأنعام ٦: ١٥١.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ٣٢.

(٤) سورة النساء ٤: ٤٣.

(٥) سورة البقرة ٢: ٣٥، سورة الأعراف [illegible] ١٩.

(٦) سورة التوبة ٩: ٢٨.

التي هي من براعة الصنعة وإبداع البيان بمكان. وحيث إنّ النهي لا يتعلّق بالأعيان رأساً، بل لا بدّ من توسيط فعل مقدّر في البين يناسب تلك العين. فإذا قيل: حرّمت أُمّهاتكم عليكم. يعني: العقد عليهنّ. وإذا قيل: حرّمت الخمر، يعني: شربها. وإذا قيل: حرّم الميسر والقمار، يعني: اللعب بهما. وهكذا يقدّر في كلّ مكان ما يناسبه. بل أظهر ما يتعلّق به الأفعال التي تطلب من تلك العين وممّا هي معدّة له. فلا يراد من قول: حرّمت الخمر، حرمة كلّ الأفعال التي يمكن أن تتعلّق بها، فيحرم لمسها أو النظر إليها أو التداوي بها وهكذا.. كلا! بل ليس المراد إلّا حرمة شربها. وعليه فيكون المراد والمعنىٰ بالآية التي في العنوان: لا تتصرّفوا في مال اليتيم التصرّفات المطلوبة عند العقلاء من المال بالاتّجار به في بيع أو شراء أو صلح أو رهن أو غير ذلك.

والغرض أيضاً بهذا النحو من البيان شدّة التحذير والنهي عن التصرّف في مال اليتيم، وأنّ قربه لا يجوز، فكيف الوقوع فيه؟! وليس المراد النهي بوجه عامّ عن القرب لمال اليتيم بحيث يكون المعنىٰ والمقصود النهي عن المعاملة بمال اليتيم بوجه مطلق من رفع أو وضع أو فعل أو ترك إلّا بالتي هي أحسن.

أمّا حيث لا تريدون التصرّف فلا شيء عليكم وإن كان التصرّف أحسن، بخلافه علىٰ الوجه الثاني، فإنّ مفاده لزوم التصرّف بالأحسن بوجه يعمّ الفعل والترك والصرف والإبقاء، وهذه الجملة ـ أعني: عقد السلب ـ تؤيّد الحكم الضروري من حرمة التصرّف بمال الغير مطلقاً صغيراً أو كبيراً بغير إذنه، وليس هو المقصود أصالة بالبيان بالضرورة، وإنّما المقصود عقد الإيجاب، وهو إعطاء الرخصة بالتصرّف في مال اليتيم إذا كان في التصرّف مصلحة، فيكون مخصّصاً لما دلّ علىٰ عموم حرمة التصرّف في مال الغير. إنّما الكلام في مقدار تلك الرخصة وحدودها حسبما يستفاد من الآية، فإنّ محور البحث والنظر يدور من هذه الجهة

علىٰ تشخيص المراد من لفظ (الأحسن)، وهل هو من أفعل التفضيل، نظير: الصلاة خير من النوم، أو صفة مشبّهة، نظير: النوم خير من الله؟ وعلىٰ الأوّل، فهل المراد الأحسن بقول مطلق، أي: مالاً أحسن منه، أو الأحسن نسبياً، أي: الأحسن من تركه وإن كان غيره أحسن منه؟ وعلىٰ الثاني، فهل المراد منه ما اشتمل علىٰ مصلحة، أو يكفي خلوّه عن المفسدة، وذلك بناءً علىٰ أن كلّ ما ليس بحرام فهو حسن؟».

ثمّ لمّا انتهىٰ الكلام إلىٰ هذا المقام طلب بعض الحضور تغيير الموضوع ونقل البحث إلىٰ مسألة من المسائل الاعتقادية وأساسيات أُصول الدين، فأوصل سماحته الكلام اقتضاباً من غير رويّة ولا تمهّل، ونقل البحث إلىٰ مسألة الحاجة إلىٰ الأنبياء وضرورة البعثة، فقال:

«إنّ النظر في عامّة أحوال البشر يعطي أن أعرق صفاته وألصقها فيه وأقدمها عهداً به هي الخلال الثلاث التي لا يجد عنها محيصاً ولا منها مناصاً مهما كان، ألا وهي الجهل والعجز والحاجة، وهذه الصفات هي منبع شقائه وأصل بلائه، وكلّما توغّل الإنسان في العلم والمعرفة تطامن للاعتراف بما توصل إليه من العلم بعظيم جهله، وأنّ نسبة معلوماته إلىٰ مجهولاته نسبة القطرة إلىٰ المحيط، وكان أكبر علمه جهله البسيط.

وقد سئل أفلاطون[1] حين أشرف علىٰ الرحلة الأبدية عن الدنيا، فقال: «ما

---

(١) أفلاطون بن أرسطون: أعظم فلاسفة العصور القديمة. ولد في أجينا سنة ٤٢٧ ق.م، أبوه أرسطون ينحدر من أُسرة عريقة، وكذلك أُمّه باركيتيوني التي كانت أُخت خرميدس وابنة أخي كريتياس اللذين كانا يمثّلان الحزب الأرستقراطي الأُوليغاركي واللذين قتلا عند نهاية الحرب الأهلية سنة ٤٠٣ ق.م، فسقطت معهما الحكومة لتحلّ محلّها الحكومة الديمقراطية التي أعدمت سقراط فيما بعد سنة ٣٤٧ ق.م. بتهمة إفساد عقول الشباب. وأمام الواقع ←

أقول في دار جئتها مضطرّاً، وها أنا أخرج منها مكرهاً، وقد عشت فيها متحيّراً، ولم أستفد فيها من علمي سوىٰ أنّي لا أعلم»، وقال سولون[١] الحكيم: «ليس من فضيلة العلم سوىٰ علمي بأنّي لا أعلم».

ومن استقصىٰ كلمات حكماء اليونان وغيرهم وجد لكلّ واحد منهم مثل هذه الكلمات، والتشبّع بهذه الروح السارية إلىٰ متضلّع في الفضيلة متشبّع بروحها من علماء الإسلام وحكمائهم، حتىٰ قال الشافعي رضي الله عنه[٢]:

وإذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي

والرازي[٣] يقول:

← السياسي الدموي الذي شهده أفلاطون رأى أن يقيم حكومة عادلة من خلال الفلسفة. وقد ترك بعد موته جامعة هدفها الرئيسي تربية وتخريج فلاسفة سياسيّين قادرين على بثّ مبادئ العدالة في مختلف أصقاع البلاد اليونانية. له (٢٨) محاورة، منها: هيبياس الكبير، أيون، خرميدس، ليسيس، الدفاع، المأدبة، الجمهورية، السياسي، القوانين. (نزهة الأرواح (فارسي): ١٦٣ ـ ١٨٤، موسوعة أعلام الفلسفة ١: ٩٧ ـ ١٠٦، موسوعة الفلسفة ١: ١٥٤ ـ ١٩٠).

(١) سولون: مشرّع قوانين أثيني. ولد نحو سنة ٤٠ ق.م، وهو أحد حكماء اليونان السبعة، وقد سنّ قوانين إصلاحية اجتماعية وسياسية، مهّدت الطريق لظهور ديمقراطية كليستنس. توفّي سنة ٥٥٨ ق.م. (المنجد في الأعلام: ٣١٦).

(٢) أبو عبدالله محمّد بن إدريس بن العبّاس الشافعي القرشي: عالم مشهور. ولد بغزّة ـ وقيل: بعسقلان، أو اليمن ـ سنة ١٥٠ هـ، ونشأ في مكّة، ورحل إلى المدينة فلازم مالك بن أنس. أستعمله والي اليمن في أعمال كثيرة، وزار بغداد مرّتين وحدّث بها، ثمّ خرج إلى مصر واستقرّ بها إلى حين وفاته سنة ٢٠٤ هـ. سمع من: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبدالعزيز الماجشون، ومحمّد بن الحسن الشيباني، وغيرهم. وروى عنه: ابن حنبل، وسليمان بن داود الهاشمي، وأبو ثور، وإسحاق بن راهويه، وآخرون. كان فقيها كبيراً أديباً، وكان يكره علم الكلام. من مؤلّفاته: الرسالة، الأمالي، مجمع الكافي، عيون المسائل، البحر المحيط. (الثقات لابن حبّان ٩: ٣٠ ـ ٣١، الأنساب للسمعاني ٣: ٣٧٨ ـ ٣٨١، طبقات الشافعية لابن هداية الله: ١ ـ ٢).

(٣) فخر الدين أبو عبدالله محمّد بن عمر الرازي المعروف بالفخر وابن خطيب الري وشيخ

نهايةُ إدراكِ العقولِ عقالُ وغايةُ سعي العالمينَ ضلالُ
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقالوا

حتّىٰ أنّ علماء الغرب وكبار المخترعين الذين حوّروا الدنيا إلىٰ هذا الشكل العجيب يعترفون بعدم وصولهم إلىٰ حقائق الأشياء، فهم وإن اخترعوا الكهرباء لا يعرفون حقيقتها، هذا فضلاً عن حقيقة الروح والنفس والحياة.

وهذا مجال لا يأتي عليه الحصر، فالإنسان عريق بالجهل لصيق بالعجز والحاجة، ولا شقاء ولا بلية إلّا وهي منبعثة إليه من ذلك، وعقول البشر بالضرورة غير كافية لرأب هذا الصدع وثأي هذا الثلم وسدّ هذا العوز، فالعناية الأزلية التي أوجدت هذه الخليقة لو تركتها على هذه الصفة تكون قد أساءت إليها بإيجادها وما أحسنت الصنيع بنعمة الوجود عليها، ولكان الأحرىٰ لو تركتها في طوامر العدم وأطمار الفناء، ويكون ذلك نقضاً للحكمة وإفساداً للنعمة.

إذاً فلابدّ من إيجاد رجال كاملين في أنفسهم مكمّلين لغيرهم، يكونون كحلقة الاتّصال بين الخالق والخلق، وهمزة الوصل بين العبد والربّ، فإنّ السعادة منه وإليه، وأُولئك هم السفراء والأنبياء الذين بهم تتمّ الحجّة وتستبين المحجّة، وحينئذٍ تكون سعادة كلّ إنسان وشقاؤه باختياره، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[1].

← الإسلام: فقيه متكلّم فيلسوف مفسّر. ولد بالري سنة ٥٤٣ هـ، ودرس علوم اللغة والفقه والتفسير والكلام، وعمل في التدريس، فكثر مريدوه وتبعوه في تنقّلاته، ونال حظوة أمير خوارزم شاه، واحتفى به شهاب الدين الغوري سلطان غزنة. انقطع أواخر أيّامه للوعظ والتفسير مبتعداً عن المجادلات الكلامية، حتّى وفاته عام ٦٠٥ هـ. له من المصنّفات: مفاتيح الغيب، المباحث المشرقية، المحصول، لباب الإشارات، وغيرها. (طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١: ٣٩٦ ـ ٣٩٨، لسان الميزان ٤: ٤٢٦ ـ ٤٢٩، موسوعة أعلام الفلسفة ١: ٤٧٢ ـ ٤٧٤).

(١) سورة البلد ٩٠: ١٠.

وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[1]، وتكون حينئذٍ لله علىٰ الناس الحجّة البالغة.

نعم، وكلّ هذا موقوف علىٰ إثبات الصانع الحكيم المنزّه عن العبث والظلم، فضلاً عن الجهل والعجز».

وهناك أدلىٰ الشيخ بالحجّة، وأملىٰ أُصول البرهنة علىٰ وجود الإله الحقّ بعدّة قواعد، لا يساعدنا ضيق المجال لسردها وعدّها تفصيلاً، ولكن نكتفي بالإشارة إليها وعلىٰ وجه الإجمال:

١ ـ إنّ ما بالعرض لا بدّ وأن ينتهي إلىٰ ما بالذات.

٢ ـ إنّ معطي الشيء لا يكون فاقده.

٣ ـ إنّ الصدفة في النواميس الدائمة الكلّية والأشياء المتكرّرة مستحيلة.

٤ ـ إمكان الأشرف.

٥ ـ اللطف.

وأمثال ذلك من أُمّهات قواعد الحكمة وأُصول الفلسفة الحقّة.

ثمّ أرتأى في هذا المقام أن يختم البحث لضيق الوقت، وهكذا كان، وعندما نزل الشيخ من المنبر دارت بينه وبين أحمد أمين الأحاديث الآتية:

أحمد أمين: «هل الاجتهاد عند الشيعة مطلق أو مقيّد»؟

يريد بذلك: هل هو اجتهاد في الكتاب والسنّة رأساً، كما اجتهد الأئمّة الأربعة في الأدلّة الأربعة الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، ومنه القياس عندهم، أو هو اجتهاد في فتاوىٰ الأئمّة المعروفين، كاجتهاد العلماء الذين جاؤوا بعدهم في كلماتهم وعلىٰ الأُصول المقرّرة عندهم، فيكون المجتهد مقيّداً بطريقة ذلك الإمام من حنفي أو شافعي أو غيرهما؟

---

(١) سورة الإنسان ٧٦: ٣.

وهذا جواب الشيخ: «الاجتهاد عندنا مطلق، يستنبط كلّ مجتهد الأحكام الشرعيّة من نفس الكتاب والسنّة غير مقيّد بكلام مجتهد آخر مهما كان، ولكن علىٰ أُصول وقواعد مقرّرة عند الجميع، وهي القواعد التي يتكفّل بها علم أُصول الفقه. وهذه القواعد بعضها متّفق عليه عند الجميع، وبعضها أيضاً موضع نظر واختلاف، فتكون اجتهادية أيضاً، ولكلّ مجتهد فيها رأيه الخاصّ الذي يبرهن ويبني عليه طريقة الاستنباط».

أحمد أمين: «ما هي الأدلّة التي يبتني عليها الاجتهاد عندكم»؟

الشيخ: «هي الكتاب والسنّة، ونعني بها: الأخبار الواردة عن المعصومين».

أحمد أمين: «هل هناك شيء يعارضها ويتقدّم عليها»؟

الشيخ: «كلّا، لا يعارضها شيء، ولا نرفع اليد عن الخبر الصحيح المعتبر إلّا إذا كان مصادماً لضرورة العقل الفطري، كما لو ورد خبر بجواز شهادة الإنسان لأخيه المؤمن في دعوىٰ يدّعيها علىٰ الغير مع عدم علم الشاهد بتلك الدعوىٰ وإن كان عالماً بأنّ ذلك المدّعي لا يدّعي باطلاً، فإنّ مثل ذلك الخبر لا نعمل به مهما كان».

أحمد أمين: «هل يوجد تعارض في أخبار الأئمّة»؟

الشيخ: «نعم».

أحمد أمين: «كيف يتناقض كلامهم مع أنّكم تشترطون فيهم العصمة»؟

الشيخ: «لا تناقض في الجوهر، وإنّما التناقض في الأخبار الواردة عنهم أو في ظواهر كلماتهم، أمّا في الحقيقة لا تعارض ولا تناقض، وإنّما هو إختلاف في ظاهر الكلام، كالاختلاف الذي يوجد في ظاهر الكتاب الشريف، وهو القرآن العزيز، وهذا غير عزيز، قال تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[1]

---

(١) سورة الرحمٰن ٥٥: ٣٩.

وقال عزّ شأنّه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[1] ولكلّ وجهة وخاصّة.

وعلىٰ الجملة: فحال السنّة والأخبار كحال الكتاب الكريم، فيه النصّ والظاهر، والمجمل والمبيّن، والمطلق والمقيّد، والعامّ والخاصّ، والحكم الواقعي والحكم الظاهري، والأحكام الموقّتة التي تقتضيها الأوقات والظروف والأحوال والحوادث الزمنية، ويقابلها الأحكام المؤبّدة التي لا تتغيّر بتغيّر الأحوال وتبدّل الزمان.

ووظيفة المجتهد الفقيه البالغ تلك المرتبة السامية والملكة الراسخة هي تمييز بعضها عن بعض، والجمع بين متعارضاتها، وردّ بعضها إلىٰ بعض، واستخراج العلل والأسباب التي أوجبت ذلك التعارض، واستنباط الحكم الصحيح حسب القواعد من مجموعها، أمّا التعارض والتناقض الواقعي حسب الحقيقة والجوهر فهو مستحيل عندنا بعد البناء علىٰ عصمة الأئمّة».

أحمد أمين: «ما الدليل علىٰ عصمة الأئمّة»؟

الشيخ: «حكم العقل الضروري».

فهشّ واستبشر، وكان طلب من الشيخ البيان والإيضاح، فقال: «إنّه بسيط جدّاً. وأنا سائلك: ما الحكمة والغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب»؟

أحمد أمين: «الهداية، والإرشاد، والتهذيب».

الشيخ: «إذن فهل يحصل الإرشاد من شخص يقول: لا تكذب، وهو يكذب، ولا تشرب الخمر، وهو يشرب الخمر، ولا تزنِ، وهو يرتكب الزنىٰ؟! وهل يحصل الغرض وتتمّ الفائدة من الهداية من شخص يجوز عليه الغلط والغفلة والنسيان والاشتباه؟! ولا شكّ في أنّ الجواب بالسلب، وإذا كان إرسال الرسل وبعث الأنبياء واجباً بالحكمة حسب العناية الأزلية، فالعصمة أشدّ لزوماً وأقوىٰ وجوباً، وإلّا بطل

(١) سورة الصافّات ٣٧: ٢٤.

الغرض وماتت الفائدة وانتقضت الحكمة».

أحمد أمين: «ما الدليل علىٰ انفتاح باب الاجتهاد عندكم»؟

الشيخ: «وما الدليل علىٰ انسداده؟ وأيّ آية أو خبر تدلّ علىٰ الحجر علىٰ العقول والضغط علىٰ الأفكار، وسلب هذه الحرّية الفكرية التي منحها الله لعباده، وكانت من أفضل نعمه علىٰ خلقه، غاية ما هناك أنّ الله سبحانه رأفة بالعباد، ورفعاً لمشقّة الاجتهاد، ورعاية لحفظ نظام الهيئة الاجتماعية، ووجوب قيام كلّ طائفة بشأن من الشؤون الضرورية، فتتوزّع الأعمال وتتبادل المنافع، لذلك كلّه رفع وجوب الاجتهاد عن كلّ فرد من المكلّفين وأطلق لهم السراح في ذلك، فجعل وجوبه كفائياً، وأجاز رجوع العامّة إلىٰ المجتهدين وتقليدهم في أُمور الدين.

أمّا من أنفت نفسه وسمت همّته عن حطّة التقليد وخطّة الاتّباع، وأراد أن يأخذ الحكم من دليله علىٰ قواعد الفنّ والصناعة؛ فأيّ دليل على منعه وحجر ذلك عليه؟! وهل تجد عاقلاً في الدنيا يمنع عن العلم ويأمر بالجهل؟! وإنّ مذهباً يكون هذا الحكم من دعائمه وقواعده أحرىٰ بأنّ يسمّى: مذهب الجهالة والتضليل، ومن آراء العصور المظلمة وبقايا أديان الجاهلية والاستبداد! أمّا دين الإسلام فهو أرفع وأنصع من ذلك، ولو لم يكن دليل علىٰ شرف مذهب الشيعة وصحّة قواعده وأُصوله إلّا هذا لكفىٰ».

انتهىٰ كلام الشيخ مع أحمد أمين، ولو أردنا أن نأتي له بأمثال هذه المناظرات والمحاورات لاحتجنا إلىٰ مجلّدات ضخمة علىٰ التأكيد، فإنّه كان ﵀ مدرسة ممتدّة الجوانب مستطيلة الأركان راسخة القواعد، قد ضمّ بين صدره مجموعة من العلوم، فأفرغها بقوالب تخلب السمع وتستولي علىٰ الأفئدة[١].

(١) شعراء الغري ٨: ١٠٤ ـ ١١٢.

أدبه

كان الفقيد واحداً من أُولئك الأفذاذ الذين جمعوا بين العلم والأدب، فلم يكن تفوّقه وانشغاله بالأوّل منهما مانعاً له من تفوّقه ونبوغه في الثاني. فراح ينظم القصائد الواحدة تلو الأُخرى، وكانت له فيها رؤية حاضرة وبديهة باهرة ويد طولى، وقد تصل إحداها إلى أكثر من ثلاث مائة بيت، كلّها بتمام القوّة والانسجام والرقّة والترصيع بأنواع البديع.

ولكنّه بعد العشرين من عمره الشريف رفض تعاطي النظم بالكلّية، إلّا ما يتعلّق بمدائح ومراثي النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمةعليهم السلام.

ومجموع شعره ينوف علىٰ سبعة آلاف بيت[1]، بالإضافة إلى بعض الموشّحات التي برع فيها ونظم الكثير منها.

وهاك هذا النموذج من شعره في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

دع الدنيا فما دار الفناءِ ... بأهل للمودّة والصفاءِ
متى تصفو وتصفيك الليالي ... وقد كوّنت من طين وماءِ
تروقك في مسرّتها صباحاً ... وتطرق بالمساءة في المساءِ
تناهى كلّ ذي أمل فهلّا ... لعينك ـ يا شباب ـ من انتهاءِ
وفازت في سعادتها نفوس ... وليتك لو قصرت عن الشقاءِ

إلى أن يقول:

غدا غرضاً تمرقه سهام العدى ... عن قوس بغي واعتداءِ
تقطر قلبه ظمأ وتروي ... به عسالة الأسل الظماءِ
فوا لهفي خضيب الشيب يمسي ... علىٰ ظمأ غريقاً بالدماءِ
ويا لهفي عليك أبا علي ... عن الأهلين والأوطان نائي

(١) هذا ما قاله الشيخ جواد الشبيبي، علىٰ ما حكاه عنه الخاقاني في شعراء الغري ٨: ١٢٥ و ١٢٧.

ويا لهفي عليك وأنت ملقى ... على الغبراء ثلاثاً بالعراءِ

ويا لهفي لجسمك والعوادي ... تجول عليه مسلوب الرداءِ

وله ـ عندما زار الباكستان ووقف على قبر الشاعر الفيلسوف إقبال اللاهوري[1] عام ١٣٧١ هـ ـ قوله:

يا عارفاً جلّ قدراً في معارفه ... حيّاك مني إكبار وإجلال

إن كان جسمك في هذا الضريح ثوى ... فالروح منك لها في الخلد إقبال

تحيّة لك من خلٍّ أتاك على ... بعد المزار بقول مثل ما قالوا

(لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق إن لم يسعد الحال)[2]

وهاك نموذجاً من موشّحات الشيخ كاشف الغطاء:

يا لها من روضة قد أزهرت ... بأزاهير الربيع الأبهج

قالت السحب لها مذ بكّرت ... يا رياض ابتشري وابتهجي

وكؤوس الخمر لمّا ظهرت ... أضمرت في مضمرات المهج

وبها حاملها لما دنا ... خلته يحمل في الكفّ لهيب

شع بالكأس سناءً وسنا ... فانثنى يهتزّ كالغصن الرطيب

❊ ❊ ❊

هبّ يسقي ونجوم السحر ... بعضها غابت وبعض بازغة

---

(١) محمّد إقبال اللاهوري: فيلسوف هندي معروف. ولد بالبنجاب سنة ١٨٧٣ م، وقيل: سنة ١٨٧٦ م. درس في كمبردج ببريطانيا الفلسفة، وتخصّص بالحقوق. وفي سنة ١٩٠٧ م سافر إلى ألمانيا حيث نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة، وعاد إلى لاهور وعلّم الفلسفة لبعض الوقت، ثمّ نذر نفسه لممارسة مهنة المحاماة. سافر لحضور المؤتمرات السياسيّة إلى فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وفلسطين. من مؤلّفاته: أسرار الأنا، صوت جرس القوافل، أغاني فارسيّة، المسافر. توفّي في سنة ١٩٣٨ م. (موسوعة المورد ٥: ٢٠٣، موسوعة أعلام الفلسفة ١: ١٠٩).

(٢) هذا البيت تضمين لبيت أبي الطيب المتنبّي، راجع ديوانه ٢: ٢٥٠.

خمرة ترمي لنا بالشرر   وهي مرّت بلهانا سايغة
حسبوا مذ لم تبن بالنظر   أن ترووا بكؤوس فارغة
وبها أذهب عنّا الحزنا   بعد أن عامت به منّا القلوب
رفعتنا لأقاليم الفنا   بعد أن كنّا لها دهراً نجوب

❊ ❊ ❊

بنت كرم زوّجت بابن سحاب   وعليه المزج دُرّاً نثرا
فتبدّت بنقاب من حباب   بعد ما في الدنّ قضت عصرا
بلجين برزت تبراً مذاب   وشهاب في شهاب ظهرا
فهما يا صاح لي أقصى المنى   وكذا أقصى منى كلّ كئيب
بهما القلب غدا مفتتنا   وبأحوى من ظبا القاع ربيب

❊ ❊ ❊

ناعس الأجفان ساجي المقل   حرج الخلخال جوّال الوشاح
أسبل الفرع كليل أليل   فوق وضاح جبين كالصباح
إن مشى اهتزّ اهتزاز الأسل   بقوام فيه بدر التمّ لاح
أو رنا تحسبه ريماً رنا   بلحاظ ريشها يصمي القلوب
فضح البدر سناءً وسنا   بمحيّا كلف الشمس الغروب

❊ ❊ ❊

واعذابي بثناياه العذاب   وانحولي فيه من خصر نحيل
ريقه والثغر خمر وحباب   وهما برء من الداء الدخيل
ما دعى داعي الهوى إلّا أجاب   لي قلب في الهوى أضحى قتيل
لابساً للحبّ أبراد العنا   ولأبراد العزا أضحى سليب
إن تباعدت دنا منه الفنا   أو تقاربت فواش ورقيب

❊ ❊ ❊

وإذا هبّت صبا الريح صبا   لك قلبي أيّها الساكن فيه
بي ظبي وبألحاظ الظبا   منك ولي مفلتاً من قانصيه

وبنار الحبّ قلبي قلبا حيث لا تطفي سوى نهلة فيه
سكن مذ بفؤادي سكنا حرّك الوجد عليه والعطب
ولهيب فيه قد شبّ العنا وعليه خفت من ذاك اللهب

❊ ❊ ❊

أيّها النازل في وادي الغضا وبقلبي شبه من وجنتيه
بمريض اللحظ قلبي أمرضا وشفاه بالذي في شفتيه
أفهل أنت على ما قد مضى من وثيق العهد أم لست عليه
ما تذكّرت ليالي المنحنى فيك إلّا أوشك القلب يذوب
سلبت من مقلتي الوسنا وانقضت حالفة ألّا تؤوب

❊ ❊ ❊

بك يا كعبة إخوان الصفا طاف قلبي بالهوى واعتمرا
وسعى لمّا بدا نور الصفا محلّقاً للصبر لمّا قصرا
وأتى للحسن بيتاً مشرفاً فرأى قلبك فيه الحجرا
فاغتدى فيه يراعي ألسننا ولمّا يفعله الحبّ منيب
والمنى أعشب في وادي منى بوصال لمحبّ من حبيب

❊ ❊ ❊

في مقام بالحسن قويم من صروف الدهر كنّا آمنين
بين أنهار وجنّات نعم وأباريق وكاس من معين
إن هوت للسكر من كفّ النديم أخذتها قاصرات الطرف عين
فيه غيث اللهو أُنساً هتنا فعلى روض الهنا فيه خضيب
وبه قد أشرقت سود الدنا واكتست برداً من الزهر قشيب

❊ ❊ ❊

فهو كاليوم الذي شمس الضحى فيه زفّت لاعتناق القمر
وبأفلاك سعود سبحا أبداً كلتاهما في ميزر
وهما كانا قديماً شبحا للمعالي قبل بدء الصور

فــــــــهما الآن بــــبرج قـــرنا مســــتطيل وعــن الفكــر غــروب
وهـــــو مـــنها قــد تــدلّى ودنــا مـــثلما التــفّ قـضيب بــقضيب

❊ ❊ ❊

يـــا خــليلي إلى الكــرخ اذهــبا بـي فــفي وادي طــواهــا أربـي
فــوق وجــنا خـلقت ريـح الصبا خــلفها دانــي الخــطا وهـو كـبي
وإذا مــا اللــيل أرخـــى الحــجبا رفــعت بـالخفّ مـرخـى الحـجب
قــدحت زنــد الحــصى فــيه لنـا فأظــاءت ظـلمة الحـزن المـجوب
وطـــــوبناهم إلى رحب الفــــنا مــنشرات مــن بــطاح وســهوب

❊ ❊ ❊

وبمثل هذا النموذج من الموشّحات وغيرها يلمس القارئ قوّة الأسـر فـي النظم، وصحّة الأداء في التعبير، ومراعاة الجناس والطباق في جرس الألفاظ، ورقّة الأفكار تارةً وفخامتها تارةً أُخرى، فالشعر هذا قد نظم قبل ثمانين عاماً، وهو وليد بيئته، إن لم يكن قد تجاوزها في التصوير، وهي حقبة كافية للنظر في الأبعاد الأدبية لحياة النجف الأشرف آنذاك فكراً وثقافة، ولعقلية الشيخ كاشف الغطاء أدباً جميلاً متوازناً[1].

هذا من حيث الشعر.

أمّا النثر فحدِّث ولا حرج، حيث كان ﷺ ذا بيان ساحر جـذّاب وأُسـلوب مشرق وهّاج، يرسل الكلام في تعبير قوي ولسـان ذلق وفـصاحة نـادرة، حـتّى لتنقضي الساعات الطويلة علىٰ السامع وهو لا يحسبها سوى دقائق قصيرة، وطالما كان يرقى المنابر في شتّى المناسبات، فيملك القلوب بسحر بيانه، ويستولي علىٰ العقول بحلاوة منطقه. وكان يصدح بخطاباته الرشيقة في أماكن شتّىٰ، كـالنجف، وبغداد، والبصرة، والحلّة، والديوانية، والنـاصرية، ودمشـق، وبـيروت، وصـيدا، وحيفا، وصور، وجنين، والقـدس، وهـمدان، وشـيراز، وخـرّم شـهر، وآبّـادان، وغيرها.

فمن جملة كلامه: «ليس الشرف إلّا أن يكدح الإنسان في معركة الحياة حتّى

---

(١) انظر أساطين المرجعيّة العليا: ٢٣٣ ـ ٢٣٦.

يكتسب امتلاك مال أو ملكة كمال أيّاً ما كان، علماً أو صناعةً، خطابةً أو شجاعةً، أو غير ذلك من مادّيات الشرف وطلائعه، لا ما هو الشرف نفسه، ثمّ يخدم المرء بمساعيه تلك ومكتسباته أُمّته وملّته خدمةً تعود بالهناء والراحة عليهم، أو دفع شيء من الشرور عنهم.

الشرف: حفظ الاستقلال، وتنشيط الأفكار، وتنمية غرس المعارف، والذبّ والمحاماة عن نواميس الدين وأُصول السعادة. والشريف من يخدم أُمّته خدمةً تخلّد ذكره وتوجب عليهم في شريعة التكافؤ شكره، كلّ يؤدي جهده وينفق ممّا عنده.

بيد أنّي لا أنزع إلى أنّ خلود الذكر وتأبّد الثناء أو التأبين يكون بمجرّده سعادةً للإنسان وشرفاً له ما لم أردّه إلى غاية وأقف به على معنى محصّل وأخرج به عن هذا الفراغ وأنتشله من لقلقة اللفظ وفرقعة اللسان، أتغلغل فيه حتّى أصل به إلى حقائق في خارج عالم الخيال ووراء متّسع الأذهان.

الشرف، حسن الذكر، الذكر الجميل، أمثال ذلك، ألفاظٌ تسيل على أسلات كلّ لسان وتردّد في فم كلّ إنسان، صغيرةً في فضاء الفم كبيرةً في عالم الوجود»[١].

ومن جملة أقواله:

* «لولا سبق الوجود على العدم لما وجد شيء».
* «يستطيع الإنسان أن يصير ملكاً، ولا يستطيع الملك أن يصير إنساناً».
* «القوّة في الحقّ، وليس الحقّ في القوّة».
* «الحقّ أعمىٰ، حتّى تأتي القوّة فتقوده».
* «خلق الله الأكل للإنسان، وما خلق الإنسان للأكل».
* «النعم إذا شُكرت كرّت، وإذا كُفرت فرّت».

---

(١) الدين والإسلام ١: ١١٢ ـ ١١٣.

الفصل الخامس :

مواقفه السياسيّة والإصلاحيّة

تمهيد

لم يشغل الشيخ ﷺ التأليف في الدين الذي اتّجه إليه بكلّه عن حفظ ثغور المسلمين وكرامتهم، بل راح يسعى لحفظها أيضاً.

ففي عام ١٩١٦ م ذهب مع السيّد اليزدي ﷺ ورعيل من العلماء إلى الكوت للوقوف ضدّ القوّات البريطانيّة المحتلّة.

ولا عجب في ذلك وهو المصلح المؤمن بأنّ من أهمّ وظائف الرجل الديني وواجباته الأُولى معالجة الشؤون السياسيّة والتدخّل فيها بوعي وتدبير وفهمها حقّ الفهم.

وكان يرى بأنّ المعني بمفهوم السياسة هو الوعظ والإرشاد، والنهي عن الفساد، والنصيحة للحاكمين، بل لعامّة البلاد، والتحذير من الوقوع في حبائل الاستعمار والاستعباد.

ويقول في انشغاله بالسياسة: «أنا غارق فيها إلى هامي، وهي من واجباتي، وأراني مسؤولاً عنها أمام الله والوجدان».

وبعد أن تأسّس الحكم الديموقراطي وتركّز، كان شعوره يماشي حركة الإصلاح السياسي، ويحرص على إنمائها، ويساند الجيل الذي تيقّظ لمسايرة النهضة الحديثة في فتح المدارس وبثّ العلوم وتنوير الأذهان.

وكان هو الذي أخمد فتنة عبد الرزّاق الحصّان[1] التي انبعثت من كتابه:

(١) عبد الرزّاق بن رشيد بن حميد الحصّان البغدادي الكرخي: مؤرّخ للقوميّة العربيّة، أثارت ←

«العروبة في الميزان»، والذي خلاصته: أنّ شيعة العراق هم من الأجانب والأقوام الساسانيّين، فمن ثمّ يجب طردهم من العراق! وقد قام لها الجنوب وعشائره عام ١٩٣٥ م. وقامت المظاهرات التي استمرّت. فكان إخمادها علىٰ يده حفظاً للمصلحة العامّة. وبعدها قام الملك فيصل[١] بإرسال رسالة تشكّر للشيخ قبل سفره إلى لندن.

ومثلها إخماده لثورة عشائر الفرات علىٰ أثر استقالة جميل المدفعي وتشكيل وزارة ياسين الهاشمي[٢]. عندما اجتمع عنده زعماء الديوانيّة والرميثة والناصرية

← بعض كتبه نقداً شديداً في بغداد، وهو كتاب العروبة في الميزان الذي قامت بسببه تظاهرات احتجاج، فسجن مؤلّفه أربعة أشهر، رحل إلى الكويت وإلى السعودية، وتوفّى غريباً في فندق في الكويت. (الأعلام للزركلي ٣: ٣٥٢).

(١) أبو غازي فيصل بن الحسين بن علي الهاشمي: ملك العراق وسوريا. ولد بالطائف سنة ١٣٠٠ هـ، ورحل مع أبيه حين أُبعد إلى الآستانة سنة ١٣٠٨ هـ، وعاد معه سنة ١٣٢٧ هـ، واختير نائباً عن مدينة جدّة في مجلس النوّاب العثماني. أقسم يمين الإخلاص لجمعية العربية الفتاة السرّية في دمشق سنة ١٩١٦ م، وتولّىٰ قيادة الجيش العربي المحارب إلى جانب القوّات البريطانية في فلسطين، ودخل سوريا سنة ١٩١٨ م بعد جلاء الترك عنها، ونودي ملكاً على سوريا سنة ١٩٢٠ م، ثمّ تقرّر ترشيحه ملكاً على العراق من قبل تشرشل سنة ١٩٢١ م، فانصرف للإصلاح الداخلي، وأنشأ مجلساً للأُمّة. قصد جنيف للاستجمام، فتوفّي فيها بالسكتة القلبية سنة ١٨٨٣ هـ، ونقل جثمانه إلى بغداد، فدفن فيها. (الأعلام للزركلي ٥: ١٦٦، موسوعة السياسة ٤: ٦٨٠).

(٢) ياسين حلمي بن السيّد سلمان الهاشمي: زعيم العراق السياسي في عصره. ولد ببغداد سنة ١٨٨٢ م، وتعلّم بها، ثمّ بالأستانة وبرلين، وتخرّج برتبة ضابط أركان حرب سنة ١٩٠٥ م، وخاض الحرب البلقانيّة، ودخل جمعيّة العهد، واتّصل بالشريف فيصل بن الحسين سنة ١٩١٦ م، ثمّ دخل في جمعيّة العربيّة الفتاة، ونقل إلى رومانيا، وظهرت مواهبه العسكريّة في ميدان غاليسيا دفاعاً عن النمسا ضدّ الروس، وأُعيد إلى سوريا. انتخب عضواً في المجلس التأسيسي ببغداد، وتقلّد رئاسة الوزراء مرّتين. قام ببعض الأعمال الإصلاحيّة إلى ←

وسوق الشيوخ، وعلىٰ رأسهم الحاجّ عبد الواحد سكر والسيّد محسن أبو طبيخ؛ لإبرام ميثاق يتضمّن تخفيض الضرائب والعناية بعمران البلاد ونبذ الطائفيّة بإنصاف الشيعة في الوظائف. فلمّا رأى توسّع رقعة الثورة وأنّها تعود علىٰ الشعب والحكومة بالخسارة الفادحة طلب منهم الخلود إلى السكينة. فامتثلوا أمره، وكان ذلك بطلب من صالح جبر الذي أرسلته الحكومة عندما كان متصرّفاً للواء كربلاء.

وكذلك موقفه من المظاهرات التي حدثت بالنجف في عهد وزارة نور الدين محمود عام ١٩٥٢ م، والتي أوجبت احتلال النجف من قبل الجيش. فكان منشوره ونداؤه البلسم الشافي للفريقين المتخاصمين.

وقد بعث برسالة إلى محمّد علي جناح[١] رئيس الوزراء الباكستاني طالباً منه ألّا يعقد مع أمريكا عهداً عسكرياً.

وفي سنة ١٣٧٣ هـ سافر الدكتور فيليب حتّي[٢] أُستاذ التاريخ في جامعة برنستون الأمريكية إلى النجف، ودعا الشيخ للمشاركة في مؤتمر الثقافة الإسلاميّة والعالم المعاصر الذي قرّر عقده في مكتبة جامعة واشنطن في تلك السنة. ولكن لم يلبّ الشيخ دعوته.

ولمّا زاره السفير البريطاني (سرجون تروتبيك) بمكتبه في النجف الأشرف

← أن قامت ثورة بكر صدقي في عهد وزارته الثانية سنة ١٩٣٦ م، فرحل إلى بيروت، فتوفّي فيها، ودفن في دمشق سنة ١٩٣٧ م. (الأعلام للزركلي ٨: ١٢٨ ـ ١٢٩، موسوعة السياسة ٧: ٣٨٧ ـ ٣٨٨).

(١) محمّد علي جناح: سياسي وأديب باكستاني. ولد سنة ١٨٧٦ م، وهو رئيس الحلف الإسلامي، ومؤسّس دولة الباكستان، وأوّل رئيس لها سنة ١٩٤٧ م. توفّي عام ١٩٤٨ م. (المنجد في الأعلام: ٢٠٤، موسوعة السياسة ٢: ٩٧ ـ ٩٨).

(٢) الدكتور فيليب حتّي: مؤرّخ لبناني مشهور. ولد سنة ١٨٨٦ م، وعلّم في جامعات أمريكا. من آثاره: تاريخ العرب، تاريخ سوريا، تاريخ لبنان. توفّي سنة ١٩٧٨ م. (المنجد في الأعلام: ٢١٣).

سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) صارحه ـ ولمدّة ساعتين ـ بالأعمال المنكرة التي قام بها البريطانيّون في شرق الأرض وغربها، وجابهه بدور الإنجليز في ضياع فلسطين، ومعاونتهم للصهاينة علىٰ فتح معاقل تلك الأرض المقدّسة واستعمار أرضها واستعباد أهلها، وأخيراً تشريدهم في كلّ صقع وربع.

ثمّ اجتمع به السفير الأمريكي في العراق (برتون بري)، فلم تكن صراحته بأقلّ من صراحته مع السفير البريطاني، وقد عنّفه كثيراً علىٰ مساهمة الولايات المتّحدة الأميركيّة في تثبيت أقدام الصهاينة بأرض فلسطين، وما نجم عن جرّاء ذلك من الأعمال الوحشيّة المنكرة.

وكان يقول للسفير في هذا الخصوص: «إنّ قلوبنا دامية منكم معاشر الأمريكيّين ؛ لأنّكم طعنتمونا بالصميم طعنة نجلاء، لا يمكن السكوت عنها والصبر عليها».

ثمّ يقول: «إنّ القلوب كلّها ضدّكم، وتقطر دماً من فضاعة ضربتكم التي قصمتم بها ظهر العرب» !

وكان يعني بذلك مأساة فلسطين وضياعها من أيدي العرب والمسلمين.

وأخيراً توّج حياته الكريمة الحافلة بجلائل الأعمال والمواقف السياسيّة الإصلاحيّة برفضه حضور مؤتمر بحمدون الذي عقد في بحمدون لبنان بتأريخ الثاني والعشرين من نيسان عام ١٩٥٤ م، والذي روّجت له محافل الاستعمار الأمريكي، حيث وجّهت دعوة له من قبل (كارلند إيفانز هوبنكز) نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكيّة، فكان ردّه علىٰ دعوة الحضور حاسماً بليغاً جداً.

وما اكتفى ﷺ بذلك، بل شفعه بإصدار كتابه الذي أسماه: «المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون».

وقد جاء الكتاب آية في الجرأة والغيرة علىٰ المصلحة العامّة والسعي لخدمة البلاد وتنوير أبنائها بما يحوطهم من أخطار الاستعمار وما ينتابهم من شرور أذنابه.

وسوف أُفصّل البحث عمّا ذكرته سلفاً إن شاء الله تعالى.

جهاد الشيخ كاشف الغطاء

صحب الإمام كاشف الغطاء الحياة السياسية في العراق منذ استجابته لنداء القائد المجاهد محمّد سعيد الحبّوبي[١] الذي اتّجه لمحاربة الإنجليز في الشعيبة، وتبعه محوران آخران، اتّجه أحدهما للأهوار والأهواز والحويزة، والثاني اتّجه نحو الكوت والمدائن. وهو الذي التحق بقيادته كاشف الغطاء حينما أُوفده أُستاذه المرجع الأعلى السيّد محمّد كاظم اليزدي مع ولده السيّد محمّد الطباطبائي اليزدي ملتحقاً بركب: شيخ الشريعة الأصفهاني (قائد ثورة العشرين بعد وفاة الشيخ محمّد تقي الشيرازي)[٢]، والسيّد علي الداماد[٣]، والسيّد مصطفى الكاشاني، وسواهم من

---

(١) ستأتي ترجمته في طيّات الكتاب.

(٢) علي بن محمّد بن علي الرضوي الحسيني التبريزي المعروف بالداماد: أحد كبار فقهاء الإمامية. ولد في تبريز عام ١٢٧٥ هـ، ورحل إلى النجف وحضر أبحاث: السيد حسين الكوهكمري، وحبيب الله الرشتي، ومحمّد حسن المامقاني، وصاهره على ابنته، فعُرف بالداماد، أي: الصهر. سمت مكانته في الأوساط العلمية. وعُرف بغزارة العلم وسعة الاطّلاع. ورجع إليه في التقليد والإفتاء بعض أهالي تبريز. من مؤلّفاته: مصباح الظلام، الأنوار الإلهية في الدراية والرجال، تقريرات أُصول الفقه. شارك في جبهات القرنة ضدّ الاحتلال البريطاني، وتوفّي عام ١٣٣٦ هـ. (أعيان الشيعة ٨: ٣١١، معجم المؤلّفين ٧: ٢١٧ ـ ٢١٨، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٤٣٥ ـ ٤٣٧).

(٣) مصطفى بن حسين بن محمّد علي الحسيني الكاشاني: فقيه إمامي، وشاعر، ومجاهد معروف. ولد في كاشان حدود سنة ١٢٦٠ هـ، ودرس في كاشان وأصفهان والنجف، ثمّ درّس جمعاً من الفضلاء، وقرض الشعر، وصنّف عدّة مؤلّفات، منها: الاستصحاب، رسالة في البحتري، حاشية الشرائع، حاشية الإرشاد. توفّي سنة ١٣٣٦ هـ في الكاظمية. (أعيان الشيعة ١٠: ١٢٧ ـ ١٢٨، أدب الطفّ ٩: ١٨ ـ ٢٠، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٠٣٠).

المجاهدين، ونزلوا في بغداد ضيوفاً عند الحاجّ داود أبي التمّن، ثمّ يمّموا شطر المدائن وكوت الإمارة، كما سترى فيما بعد.

وبعد النكبة الكبرى بفشل المجابهة، وانسحاب السيّد الحبّوبي إلى الناصرية، وخيانة جملة من زعماء العشائر، وموت السيّد الحبّوبي حزناً وأسفاً، عاد إلى النجف الأشرف مكبّاً على التحصيل، شأنه ـ بعد ذلك ـ شأن الإمام الحكيم قدس سره[1] الذي كان قد صحب الحبّوبي مؤتمناً على بيت المال.

ولم يشارك كاشف الغطاء في ثورة النجف على الإنجليز في ١٩١٨/٥/١٩م باعتبارها لحقت قبيل أوانها دون العدّة الكافية، بل ويعتبرها من الحركات الطائشة، وكان يصدر في هذا عن رأي أُستاذه المرجع الأعلى السيّد محمّد كاظم اليزدي. وكانت ثورة العشرين قد قامت في ٣٠/ حزيران/ ١٩٢٠م (شوّال / ١٣٣٨هـ)، وتوفّي قائدها الشيخ محمّد تقي الشيرازي الحائري في ٣/ ذي الحجّة/١٣٣٨هـ، أي: بعد الثورة بثلاثة شهور، ولم يشارك فيها الإمام كاشف الغطاء والإمام السيّد محسن الحكيم؛ لاعتبارات سياسية ذكيّة، فهي بعد لم تنضج فكرتها، وكلّ منهما غير واثق بنتائجها، ويعلمان مدى قوّة الإنجليز، وأنّها ستنتهي بحكم ـ على فرض نجاحها ـ ظاهره الوطنية المغلّفة، وواقعه الاستعمار الإنجليزي.

وكاشف الغطاء بخاصّة مطّلع على دسائس الإنجليز، وإيصالهم (أبي الخيّال)[2] إلى جيوب بعض الزعماء من رؤساء القبائل بتوسّط الخائنين، بل رأس الخونة في الكويت والمحمّرة، خصوصاً بعض رؤساء العمارة المتّصلين بهم صلة الجوار والصداقة.

---

(١) محسن بن مهدي بن صالح الحكيم الطباطبائي: أحد فقهاء الإمامية الأعلام، وكبير مراجع التقليد والفتيا في وقته. له مواقف سياسية مشهودة على الساحة العراقية، وكان ممّن قام بمشاريع ومآثر خالدة. من مصنّفاته: مستمسك العروة الوثقى، نهج الفقاهة، حقائق الأُصول، شرح تشريح الأفلاك، دليل الناسك، شرح التبصرة. توفّي في النجف عام ١٣٩٠هـ. (معارف الرجال ١: ١٢١ ـ ١٢٧، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٤٢٣ ـ ٤٢٤، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٣٦ ـ ٣٣٧).

(٢) تعبير كنائي عن الليرات الذهبية والباونات.

وهنا ينبغي أن نشير إلى أنّ كاشف الغطاء من الأبطال في حرب الإنجليز بجبهة الكوت، وفي معركة المدائن الكبرى ضدّ البريطانيّين، ومعه الأعلام والضبّاط من العراقيّين والأتراك، وفي طليعتهم الشيخ محمّد رضا الشبيبي[١]، والذي صوّر أبعاد المعركة وهزيمة الإنجليز بقصيدته التي مطلعها:

أعالمٌ بالذي وافت مدائِنَهُ كسرى وأيوانُهُ المعقودُ والسورُ

وكان قائد الحملة للجيش العثماني والمجاهدين العراقيّين الفريق محمّد فضّال باشا الداغستاني وقائد الجيش البريطاني (طاوسند).

وقد تلا دعاء النصر للمجاهدين الشيخ جواد ابن صاحب «الجواهر» لدى استقلالهم الباخرة التي أقلّتهم للجهاد.

يقول كاشف الغطاء في مذكّراته:

«صعدنا سطح الباخرة حيث العَلَم الحيدري هناك مركوز في صدرها، فتناوله القائد وقبّله، وتبرّك به، وهكذا سائر أركان الحرب، وتلا الشيخ جواد الجواهري دعاءً لنصر الإسلام، وخذلان أعدائهم، واستمداد المعونة والتوفيق من الله جلّ شأنه، وبروحانية النبيّ والوصيّ تقدّم حامل العلم حتّى خرج الجميع من الباخرة».

ولدى انتصار جيش المسلمين على الإنجليز في المعركة، قال الإمام كاشف

---

(١) محمّد رضا بن محمّد جواد بن محمّد الشبيبي الجزائري النجفي: عالم كبير، وأديب شاعر، من دعاة الحرّية والاستقلال. ولد في النجف عام ١٨٨٩م، وقرأ المقدّمات، ثمّ حضر الأبحاث العالية على السيّد حسين الحمّامي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ محمّد كاظم الخراساني. قرض الشعر وأجاد فيه، وشارك في بعض العلوم الحديثة، وكانت له مواقف وطنية جريئة. تولّى منصب وزير المعارف خمس مرّات، وكان رئيساً لمجلس الأعيان ومجلس النوّاب والمجمع العلمي العراقي، ومنحته القاهرة رتبة الدكتوراه الفخرية في الأدب والتاريخ. من مؤلّفاته: تراثنا الفلسفي، التربية في الإسلام، أدب المغاربة والأندلسيّين، تاريخ النجف. توفّي سنة ١٩٦٥م. (معارف الرجال ١: ٢٠٣، هكذا عرفتهم ٢: ١٠٩ ـ ١٤٢، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٦ ـ ٧).

الغطاء للفريق الداغستاني ما نصّه:

«فقلت له في غضون الحديث: إنّي أحمل تبليغاً إلى عامّة المسلمين في الممالك المحروسة بأمرين:

أحدهما: قوّة الجند الإسلامي، وعجيب تدابيرك في الفنون الحربية التي توجب الثقة بالفتح إن شاء الله.

والثاني: سعة أخلاقك وكرم طباعك التي تجذب كلّ قلب إلى الإخلاص لك والركون إلى الطاعة.

فقال: هذا من حسن التفاتك، وأرجو أن أكون كما تظنّ».

أمّا عدم مشاركة كاشف الغطاء في ثورة النجف، فهو يتحدّث عنها بمرارة وألم، ويعتبرها قد ساعدت على تسلّم الإنجليز لزمام المبادرة؛ لأنّها ـ من خلال نظره ـ حركة فاشلة دون قيادة حكيمة، بل قد استجعلها الحاجّ نجم البقّال، بطل الهجوم على الحاكم البريطاني (الكابتن مارشال).

وهو يصف ذلك اليوم بنفسه فيقول: «وفي ذلك اليوم حاصرت الجنود الإنجليزية النجف، وعملوا حولها الأسلاك الشائكة، ومنعوا عن الأهليّين حتّى دخول الماء، فحاربهم من وراء السور رؤساء الأطراف الأربعة[1]، ورؤوس هذه المقاومة كان الحاجّ سعد وأولاده، وكاظم صبي، وعباس علي رمّاحي، وجماعة آخرون.

أمّا السيّد مهدي السيّد سلمان رئيس الزقرت فكان قد اغترّ بهم ـ يعني الإنجليز ـ ويتظاهر بالحياد، ويراود السلطة سرّاً.

واستمرّ الحصار أربعين يوماً، وصار شرب أكثر أهالي النجف من ماء الآبار المالحة، وشحّت الأطعمة حتّى بلغت حقّة النجف عشرة روبيات، وبهذا المقياس

---

(١) العمارة، والحويش، والمشراق، والبرّاق.

سائر الضروريات من اللحوم والأدهان.

وبعد أُسبوعين تقريباً من بدء الحصار زحفت الجنود إلى قرب سور البلد لضعف الحامية ونفاذ ذخيرتها، ثمّ احتلّوا جبل الحويش المطلّ على النجف ونصبوا المدافع عليه، وأنذروا المحاربين بالتسليم أو الضرب، وانتظروا مدّة عشرين يوماً يحاذرون من ضرب النجف واتّساع لهيب الثورة وهياج العشائر، سيّما وفي النجف المرجع العامّ لكافّة الأقطار، وهو سيّدنا الأُستاذ السيّد محمّد كاظم اليزدي، وكانت البرقيات تنهال على قائد تلك الحملة من الهند وإيران والأفغان.

وكانت سياسة بريطانيا تحتّم عليهم مداراته وجلب مراضيه، فكانوا كلّ يوم صباحاً ومساءً يرسلون الرسل إليه بشتّى الوسائل، أن يخرج معزّزاً إلى شريعة الكوفة، إلى أن تنتهي القضيّة، والتمسوا منّا ذلك أيضاً فأبينا، وقلنا: نحن مع أبناء وطننا، إن عاشوا عشنا معهم، وإن هلكوا هلكنا معهم، وكان الإنجليز يلتمسون أن يقبل ما يرسلون من الماء والأطعمة واللحوم وغيرها، فيأبى أشدّ الإباء. وبعد أن ضاق الخناق، واشتدّ بلاء الغلاء، وشحّت الأقوات على الأهليّين، تدخّل السيّد مهدي السيّد سلمان في القضيّة، وفتح باب البلد من ناحية جبل الحويش، وبقيَ الحصار مستمرّاً، إلّا من هذا الباب يدخل منه الماء وبعض ضروريات العيش، وأصرّ الإنجليز على أن يسلّم أهالي البلد المحاربين وقاتلي (مرشال)، وكانوا قد لاذوا بالفرار والتخفّي في سراديب البلد ومخابيها، حيث لم يجدوا وسيلة إلى الفرار إلى خارج البلد لشدّة الحصار، فرّ السيّد مهدي مع جماعة من الزقرت والشمرت الذين لم يشتركوا في تلك الأعمال الطائشة، وصاروا مع جماعة من العسكر البريطاني، يفتّشون البيوت ويقبضون على واحد بعد واحد، حتّى لم يفلت منهم أحداً، وبلغ عدد المقبوضين أكثر من مائة وخمسين، وساقوهم إلى الديوان العرفي الذي عقدوه في الجسر، وكلّ أعضائه من قوّاد الإنجليز، فحكموا على بضعة عشر نفر بالشنق،

وعلى جماعة بالتسفير إلى هنجام وسمربور. وانتهى الحصار، ولكن صاروا يفتّشون كلّ من يخرج من النجف سيّما من المعمّمين خوفاً أن يكن معه كتب الدعوات لتحريض العشائر على الثورة والانتقام للنجفيّين من الدولة المحتلّة. فكان ممّن وجدوا معه شيئاً من هذا القبيل الشيخ أحمد[1] أحد أولاد المرحوم الأُستاذ محمّد كاظم الخراساني، فأخذوه إلى الجسر وحاكموه في جلسة أو جلستين، وأوشكوا أن يحكموا عليه بالإعدام. فتوسّطنا إلى قائد الحملة بالفور، وبلّغناه أيضاً شفاعة السيّد فيه، فلم يجد بُدّاً من إطلاقه، ولولا ذلك لكان من المشنوقين».

هذا، وقد اجتاحت العراق موجات من الغضب السياسي أدّت إلى إعلان الأحكام العرفية، وتعطيل الدستور في كثير من الأبعاد، وكان أوسع هذه الموجات اضطراباً لدى تشكيل مصطفى العمري لوزارته، فقد اختلّ الأمن، واحتدمت المظاهرات الصاخبة، وطالب الشعب بحسّ وطني إسقاط وزارته وإجراء الانتخابات الحرّة، وكان ذلك في تشرين الثاني سنة ١٩٥٢ ميلادي، وسقطت الوزراة، وقامت أُخرى برئاسة اللواء نور الدين محمود رئيس أركان الجيش العراقي، فزاد ذلك في الطين بلّة كما يقولون. وعمّت المظاهرات الفرات الأوسط، وتركّزت في بغداد وكربلاء والنجف، حتّى تأزّم الوضع في النجف واحتلّ احتلالاً عسكرياً، وكانت اللحظات حاسمةً تنذر بالخطر، حذر الاشتباك الدموي بين

(١) أحمد بن محمّد كاظم بن حسين الخراساني الكفائي: من علماء الإمامية. ولد في النجف عام ١٣٠٠ هـ، وأخذ المقدّمات عن بعض المدرّسين، وحضر الأبحاث العالية على: السيّد أبي الحسن الأصفهاني، والشيخ محمّد كاظم الخراساني، والشيخ محمّد بن محمّد كاظم الخراساني. بلغ مرتبة الاجتهاد، وشرع في التدريس، وألّف حاشية الكفاية. كانت له مشاركة في ثورة العشرين، فأُبعد إلى إيران سنة ١٣٤١ هـ، فسكن مشهد وتصدّى للتدريس وإمامة الجماعة، حتّى وافاه الأجل عام ١٣٩١ هـ. (معجم رجال الفكر والأدب ١: ٤٠ ـ ٤١، تراجم الرجال ١: ٨٨ ـ ٨٩، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ١٠٠ ـ ١٠١).

الجيش والشعب، وقيل حينها: إنّ الجيش أُمر بتنفيذ الهجوم المسلّح على الأهالي، إلّا أنّ أحد قوّاده في النجف امتنع عن التنفيذ، وهو المقدّم عبدالوهّاب الشـوّاف[١] (قائد حركة الموصل ضدّ عبدالكريم قاسم عام ١٩٥٩م)، وأبى أن تضرب مـدينة النجف الأشرف برصاصة واحدة، والأحكام العرفية قائمة على قدم وساق، بـينما أراد غيره من الضبّاط اقتحام النجف وإطلاق الرصاص على المتظاهرين عشوائياً.

فاستغاث الناس بالإمام كاشف الغطاء لتدارك الحال، وكانت الأسواق مغلقة طيلة عشرة أيّام، وامتنع أغلب رجال الدين من التدريس، واتّصل الإمام الحكيم قدس سره بالمسؤولين بغية تفادي الخطر، وأصدر الإمام كاشف الغطاء بياناً منع فيه الطيش، وانتهاك الحرمات، وحرمة اشتباك الأهالي مع الجيش في معركة خاسرة، ضحاياها أبناء الشعب العراقي، وأُذيع البيان على المنابر والمنائر، وهو يـطلب الإخـلاد إلى السكينة، وممارسة الأعمال الاعـتيادية، والعـود إلى الوعـي السـياسي بـالمطالبة السلمية للحقوق، وإنهاء حالة الاضطراب.

وكان لهذا البيان أثره حينما طبع ووزّع على الناس، حقنت فيه الدماء وسدّت الثغرات بين الجيش والشعب، بعد أن كان شرّها مستطيراً. وقد أيّده في هذا النحو المراجع العظام والعلماء الأعلام؛ لأنّ انتهاك حرمة النجف تعدّ انتهاكاً للإسلام، شاء الحاكمون ذلك أم أبوا[٢].

---

(١) عبدالوهاب الشوّاف: ضابط عراقي، أحد أعضاء هيئة الضبّاط الأحرار في الجيش العراقي الذين خطّطوا لثورة ١٩٥٨م، وأطاحوا بالحكم الهاشمي في العراق، وأعلنوا الجمهورية، كان برتبة عقيد، وقد أعلن الثورة ضدّ نظام عبدالكريم قاسم، فباءت جهوده بالفشل، وقتل على أثرها عام ١٩٥٩م. (موسوعة السياسة ٣: ٨٦١ ـ ٨٦٤).

(٢) انظر أساطين المرجعيّة العليا: ٢١٨ ـ ٢٢٦.

المؤتمر الإسلامي في الباكستان

أُقيم مؤتمر إسلامي في الباكستان، وقد دُعي الإمام كاشف الغطاء لحضوره، فسافر إليه في ١٩٥٢/٢/١٧م (١٣٧١ هـ)، وحينما حضره رشّح لزعامة العالم الإسلامي روحياً، وقلّد قلادة رئاسة المؤتمر، وأئتمّ به المؤتمرون والحاضرون في صلاة الجماعة، وأُشير إليه فيه بأنّه أبرز علماء العالم في منتصف القرن العشرين.

أُقيمت حفلة الافتتاح، فألقى فيها الشيخ خطبة خالدة امتدّت ثلاث ساعات مرتجلاً، تحدّث من خلالها عن مشكلات العرب والمسلمين ـ والعروبة والإسلام عند الإمام كاشف الغطاء شبه مترادفين حينما لم تكن هنالك أيدلوجيات سياسية للتفريق بينهما في ضوء الفلسفات المعاصرة ـ ودعا إلى وحدة الصفّ ووحدة الهدف، والخطبة منشورة بكرّاس مستقلّ ضبطها أحد الحاضرين.

وحينما عاد الشيخ إلى النجف احتفلت به مدينة النجف الأشرف عشرة أيّام في قاعة مدرسته العلمية، وقد حضرتُ هذه المراسم، وفي كلّ يوم تلقى كلمات وقصائد ترحيبية وسياسية واجتماعية من قبل أبرز شعراء النجف، وكانت قصيدة الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي تَتِئُّ[1] من أروع الشعر وأفضله، وحينما بدأ بإلقاء قصيدته نهض الشيخ من مقعده، ووقف على ضعفه وتداعي هيكله متّكأً على عصاه يستعيد ويستحسن، وقاعة المدرسة المكشوفة الواسعة تغصّ بفطاحل العلماء، وشخصيات العراق، وكوكبة من المثقّفين وأُدباء العصر، وحينما وصل الفرطوسي

---

(١) عبدالمنعم بن حسين بن حسن الفرطوسي النجفي: فقيه وأديب وشاعر. ولد في ميسان عام ١٩١٧م، وجاء إلى النجف وحضر أبحاث: السيّد أبي القاسم الخوئي، والشيخ محمّد علي الكاظمي الخراساني. سطع نجمه في الأوساط العلمية والأدبية، وطارت شهرته فملأت المحافل. من مؤلّفاته: ملحمة أهل البيت، شرح كفاية الأُصول، نظم رواية الفضيلة للمنفلوطي، وغيرها. توفّي عام ١٩٨٣م. (شعراء الغري ٦: ٣ ـ ٨٥، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٩٣٧ ـ ٩٣٨، معجم الشعراء للجبوري ٣: ٣٢٤ ـ ٣٢٥).

بقصيدته إلى قوله:

تـــتلهّف الدنـــيا عـــليك كأنّــما   هي قلب يعقوب وشخصُكَ يوسفُ

قال الإمام كاشف الغطاء مخبراً أو منشِئاً: «أنت المتنبّي».

فأجابه الفرطوسي فوراً: «سيّدي، المتنبّي يمدح سيف الدولة، وأنا أمدح سيف الإسلام»[1].

موقفه من مؤتمر بحمدون

تحاول أمريكا بكلّ الوسائل والسبل التغرير بعلماء المسلمين وتسخيرهم في خدمة أُطروحاتها الاستعمارية. إنّ القوى الاستكبارية لا تراهن على احتلال الدول الأُخرى وغزوها فحسب، بل قد تتوسّل بأساليب الخداع والتزوير في بسط هيمنتها على الأركان الرئيسية للحكومات الإسلامية. إنّ الاستعمار كان ولم يزل عبر استعراضاته الثقافية ومناوراته الفكرية في الأديان السماوية في صدد إيجاد روح المساومة بين المسلمين وتثبيط عزائم علمائهم عن الوقوف بوجه الظلم والاستبداد.

وصورة تلك الحال كانت واضحة في المؤتمر الذي دعت له جمعية أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتّحدة الأمريكية للانعقاد بتاريخ ٢٢/ نيسان/ عام (١٩٥٤م) في لبنان وبالتحديد في مدينة بحمدون، وحينها تلقّى الشيخ كاشف الغطاء دعوة رسمية موجّهة من قبل (كارلند إيفانز هوبنكز) نائب رئيس تلك الجمعية لحضور هذا المؤتمر الذي ينحصر على حدّ زعمهم بعلماء المسلمين والمسيحيّين، ولم يحط أحد علماً بما وراء هذا المؤتمر من خلفيات ودوافع تقف وراء ما كان يرمي إليه من البحث في القيم الأخلاقية للإسلام والمسيحية.

ونصّ البرقية التي بعثها نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط إلى

---

(١) لاحظ أساطين المرجعيّة العليا: ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

الإمام كاشف الغطاء وردت بالنحو التالي:

«فضيلة الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء المحترم (النجف ـ العراق).

سيدي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا شكّ أنّكم تشاركونني الرأي في أنّ الإسلام والمسيحية لهما أهداف واحدة في كثير من النواحي، كما أنّ لهاتين الديانتين أعداءً مشتركة، من بينها المغريات الدنيوية والأغرض الماديّة ثمّ الشيوعية، وأعتقد أيضاً أنّكم تشاركونني في رأيي أنّه مادام لهاتين الديانتين العظيمتين أهداف مشتركة وخصوم مشتركة يترتّب إذاً وضع أُسس للتعاون بينهما. وبعد التباحث مع بعض الشخصيات من المسلمين والمسيحيّين وجدت أنّ أفضل الطرق لمعالجة هذا الأمر هو عقد اجتماع تمهيدي يضمّ رجال الدين من كلا الطرفين، في هذا الاجتماع يدلي كلّ فرد من المجتمعين برأيه ويقرّ النقاط التي يمكن الوصول إلى اتّفاق بشأنها؛ إذ أنّ هذا الاجتماع هو عبارة عن تبادل في الرأي. بناءً على ذلك عرضت الاقتراح على مجلس إدارة جمعيتي الذي رحّب بدوره بالفكرة ورجا التوفيق لهذه الخطوة المباركة، كما أبدى استعداده لمؤازرة المشروع. لذا فقد كلّفني مجلس الإدارة المذكورة أن اتّخذ الإجراءات اللازمة لعقد هذا المؤتمر، وها أنذا أُوجّه الدعوة إلى (٢٥) من الشخصيات المسيحية و(٢٥) من الشخصيات المسلمة؛ كيما يجتمع في فندق «إمبسادور» الكائن في (بحمدون) لبنان، وذلك لحضور المؤتمر الذي سيعقد في ٢٢/نيسان/ سنة ١٩٥٤، ويستمر ستّة أيّام (من ٢٢ إلى ٢٧). هذا وقد حرصت على أن يجري هذا المؤتمر في أحد المصايف المنعزلة في جوٍّ هادئ بعيد عن ضوضاء الصحافة، وستكون أبحاث المؤتمر محصورة في النواحي الروحية والقيم المثلى التي وردت في تعاليم الدين مبيّنة عقم الفلسفة المادّية الفانية، وسيتناول البرنامج المواضيع الآتية:

١ ـ مراجعة القيم الروحية في كلتا الديانتين.

٢ ـ النواحي الروحية في الدين، وقدر الإنسان وكرامته، وأهمية هذه القيم: (أ) بالنسبة إلى الفرد. (ب) بالنسبة إلى العائلة. (ج) بالنسبة إلى المجتمع.

٣ ـ الأعمال الحيوية المستمدّة من الدين: (أ) في الإسلام، الزكاة وإمكانية انتشارها. (ب) في المسيحية، أعمال البرّ والعدالة الاجتماعية.

٤ ـ خطر الشيوعية على المجتمع في عصرنا الحاضر، وما هو جواب الإسلام والمسيحية عليها؟

٥ ـ التطبيق العملي: (أ) ما هي الطرق الكفيلة في الإسلام والمسيحية لنقل هذه القيم الروحية إلى الجيل الحديث؟ وما هي الوسائل التي يمكن للطرفين أن يتعاونا بموجبه لتحقيق هذا الهدف؟

وبهذه المناسبة يسرّني أن أذكر أنّ الكثير من الشخصيات المسيحية والإسلامية البارزة من جميع أنحاء العالم قد قبلوا دعوتنا، راجياً تشريفنا بقبول دعوتنا هذه التي أُوجّهها إليكم للاشتراك معنا في أبحاث المؤتمر»[١].

لقد كانت أمريكا تريد من وراء ذلك وتحت غطاء محاربة الشيوعية أن تستقطب علماء المسلمين والمسيحيّين نحوها، وتصرف أنظارهم عن جرائمهم العالمية، وعمّا تقوم به إسرائيل من قتل حماعي وحشي بحقّ الفلسطينيّين. فبالرغم من كون هذه الجمعية أمريكية، إلّا أنّها عقدت المؤتمر في لبنان، وذلك من أجل تحريض الشرق الأوسط على المساومة والمسالمة مع إسرائيل، ولم تنطلِ هذه الأهداف عن الإمام كاشف الغطاء، فقد استطاع بنظره الثاقب وذكائه الخارق أن يميط اللثام عنها للملأ العالمي العامّ في رسالة مطوّلة بعثها إلى رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط، بعد أن أعلن عن امتناعه من الحضور والمشاركة، وذلك

---

(١) الدعوة الموجّهة إلى سماحة الإمام من نيويورك هي بتاريخ ١٥/ آذار/ عام ١٩٥٤م.

قبل انعقاد المؤتمر بشهر واحد، وقد قام بنشر هذه الرسالة تزامناً مع انعقاده.

إنّ اطّلاعه العميق بأوضاع العالم السياسية عامّة والعالم الإسلامي خاصّة وما تقوم به أمريكا من مخطّطات سياسية للسيطرة على العالم بما في ذلك نواياها في عقد هذا المؤتمر ومحاولة التغطية على الجرائم الصهيونية في فلسطين، لهو أدلّ دليل على كونه محيطاً بسلسلة الوقائع والأحداث السياسية العالمية يومياً، وكونه سياسياً محنّكاً ومجاهداً فعّالاً ونشطاً.

وهذا بعض ما اشتمل عليه النصّ الذي أورده كاشف الغطاء على برقية (هوبنكز). فمن جملة ما قاله في هذا المجال:

«ويتلخّص جميع ما ذكرتم من النواحي التي تريدون البحث عنها والنظر فيها في أمرين:

١ ـ القيم الروحية والمثل العليا في الإسلام والمسيحية.

٢ ـ خطر الشيوعية على المجتمع، وطلب علاجها من الإسلام والمسيحية.

فنقول: يلزم قبل كلّ شيء أن تعرفوا جيّداً أنّ لسان العمل أبلغ وأشدّ أثراً من لسان القول، وأنّ أُلوف المؤتمرات والمذكّرات وكلّ الاجتماعات والمجتمعات ليس لها أيّ أثر إذا لم تكن الدولة المؤسّسة لتلك المؤتمرات والمذاكرات هي في نفسها منسجمة وملتزمة بالقيم المثلى والنواحي الروحية، ولا يندفع خطر الشيوعية إلّا بتحقيق حرّية الشعوب والعدالة الاجتماعية، وقلع جذور الظلم والعدوان، وقمع رذيلة الحرص والشره على حقّ الغير والتجاوز عليه، فهل أنتم يا معاشر الأمريكان، ويا حكومة الولايات المتّحدة، ويا دولة الإنجليز، هل أنتم واجدون تلك الصفات؟! وهل عندكم شيء من القيم الروحية والمثل العليا؟! وهل أبقيتم للقيم الروحية قيمة؟! وقديماً قال الحكماء: إنّ فاقد الشيء لا يكون معطياً[١].

(١) لاحظ الحكمة المتعالية ٦: ١٣٣.

أليست أعمالكم الفظيعة وضربتكم القاسية للعرب والمسلمين في فلسطين قد سوّدت وجه الدهر وألبست الأعصار جلابيب الخزي؟!

كان الشرق بأجمعه يعاني كابوسين من الاستعمار إنجليزي وفرنسي، وجاءت اليد الصهيونية اللئيمة لتهاجم قرى العرب العزلاء وتقتل رجالها وأطفالها ونساءها الأبرياء.

ألستم أنتم لا تزالون تمدّونهم بالمال والسلاح، وتدفعونهم إلى هذه الجرائم دفعاً؟! وإلّا فاليهود أقصر باعاً وأضعف قلباً من أن يجرأوا على العرب هذه الجرأة!

ألستم أنتم أخرجتم تسع مائة ألف نسمة من العرب، أخرجتموهم من أوطانهم وبلادهم وشرّدتموهم بالصحاري والقفار، يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء؟! وقد كانوا في أوطانهم أعزّاء شرفاء، يكاد يتفجّع لحالهم الصخر الأصمّ ويبكي لحالهم الأعمى والأصمّ، وأنتم لا تزالون تغرون اليهود بالعدوان عليهم، فهل فعل (نيرون)[1] كأفعالكم هذه؟!

والعجب كلّ العجب أنّكم في نفس الوقت تطلبون من المسلمين والعرب الانضمام إلى جهتكم والتحالف معكم وإبرام المعاهدات لكم! فإنّكم تضربون العرب بأرجلكم ورجالكم، تصفعونهم على عيونهم بيد وتمسحون رؤوسهم باليد الأُخرى! وجئتونا اليوم تريدون عقد المؤتمرات للمثل العليا، وتناشدون إقامة المذاكرات للقيم الروحية!

أليست هذه الإضرابات والاضطرابات التي يراق فيها دماء أهل الوطن

---

(١) نيرون: إمبراطور روماني. ولد سنة ٣٧م، واستلم السلطة عام ٥٤م، وتميّز عصره بالطغيان والوحشية. كان مضطرب الشخصية، فخيّل إليه أنّه فنّان وممثّل مسرحي كبير. قتل أُمّه عام ٥٩م وزوجته أوكتافيا عام ٦٢م، وأحرق روما عام ٦٤م، واتّهم المسيحيّين بذلك فاضطهدهم. انتحر عام ٦٨م بعد أن ثار عليه القادة العسكريّون في أفريقيا وإسبانيا وفرنسا. (موسوعة المورد ٧: ١١٦).

الواحد والملّة الواحدة في طهران وسوريا ومصر ولبنان، أليست كلّها من أصابعكم الخفية التي تلعب ليلاً ونهاراً من وراء الستار؟!

ألستم أنتم الذين تصبّون البلاء والمحن، وتريقون دماء الأبرياء في الشرق والغرب؟! فتونس ومراكش والجزائر تصطلي في المغرب بناركم، وكوريا والهند الصينية وكينيا تضطرم في الشرق بأواركم.

كلّ هذا حرصاً على المال وتهالكاً على المادّة التي تقول عنها في كتابك: إنّ أبحاث المؤتمر ستكون محصورة في النواحي الروحية والقيم المثلى التي وردت في تعاليم الدين مبيّنة عقم الفلسفة المادّية الفانية!

وهل الدين عندكم غير المادّة؟! وهل أعددتم القنابل الذرّية وأخواتها المهلكة للعالم إلّا للاستيلاء والغلبة واستعباد العالم وتفانياً على المادّة؟! وهل هذا الإصرار على الاستعمار وسلب الأحرار حرّياتهم المقدّسة إلّا عبودية للمادّة؟! وهل يسيل لعابكم إلّا لهذه المادّة السائلة؟! وهل تطلبون السيادة إلّا على هذه المادّة السوداء؟!

وبالضرورة أنّ أمريكا تريد السيطرة لا على الروس فقط، بل على العالم كلّه.. تريد عقد مؤتمر في لبنان للبحث في علاج لدفع خطر الشيوعية! ولكن إذا كانت هذه سيرتكم مع الأُمم عموماً ومع العرب والمسلمين خصوصاً. فلعلّ كثير من الناس يقول: ألف سلام على الشيوعية! على شدّة نفورنا منها وبعدنا عنها ومكافحتنا المريرة لمبادئها الهدّامة ومحاربتنا لها بكلّ قوانا. ولكن لو أمعنّا النظر وضربنا الرقم القياسي على طاولة الحساب ووضعنا أعمال الجهتين في كفّتين، هانت علينا الشيوعية وثلجت صدورنا منها، فإنّ الشيوعية ما استعمرت من العرب دولة، ولا غصبت منّا بلاداً، ولا ابتزّت منّا مالاً وعتاداً. وهذه الحرب الباردة التي تدسّها الشيوعية في كلّ بلاد حتّى في النجف إنّما هي منكم ومن أجلكم، ولا تقصد إلّا الإنجليزي المتقمّص بثوب الإسلام والعرب، ولو تخليتم عنّا ولم تستميلوا إليكم

ضعفاء الإيمان من رجالنا لما كان للشيوعية أيّ شأن معنا، وكنّا في مأمن من شرّها، فلا تكون لنا ولا علينا.

نعم، وحقّاً أنّ الطعنة الدامية التي طعنتم العرب والمسلمين فيها بتهويد فلسطين وإجلاء العرب عنها كانت قرّة عين للشيوعية وشماتة بكم وبالدول العربية المسخّرة لكم، والتي صارت مطايا تحتكم، تبلغون بها إلى مقاصدكم من استعباد الشعوب وامتلاء الجيوب باختلاس أموالهم واقتصاص دمائهم!

نعم، أنتم ذبحتم فلسطين، ولكن بيد الدول العربية، ذبحتموها بيد الدول المسلمة ليكون ذبحاً شرعياً، ذبحاً بيد المسلم (ذبح على القبلة)! حتّى تكون ذبيحة يحلّ أكلها لكم وللصهاينة؛ لأنّكم أُناس أهل ورع ودين، تريدون المثل العليا، فلا تأكلون إلّا الحلال الطيّب، ذبيحة المسلم للمسلم هي الحلال الطيّب!

وما كفاكم ذلك، يالله وللعجب! كلّ يوم عدوان جديد من الصهاينة صنائعكم على العرب، وفي عين الوقت تبذلون مساعيكم كي تزجّون العرب في معاهدة الدفاع المشترك وأمثال هذا من الأحابيل والأشراك التي تصطادون بها الطيور الضعيفة المقصوصة الأجنحة.

وفيما يرتبط بالمساعدات الدولارية المبهرجة فإنّها كالسراب، إذا جاءه العطشان لم يجده شيئاً! تدفع أمريكا دولاراً واحداً لتأخذ عوضه عشرة بل مئة!

أمّا اليوم فقد عمّ الوعي حتّى لرجل الشارع بل حتّى للنساء والأطفال واللهجة عامّة. إنّما أيّ فائدة استفدنا من مساعدة الدول العربية في الحرب الأُولى والثانية سوى أنّنا ضحّينا بأموالنا ونفوسنا، بل تضرّرنا وخسرنا بعد الحرب العالمية الأُولى، وتفرّقت الأقطار العربية بعد أن كانت متّحدة. نعم، تفرّقت كغنائم للمستعمرين، واستوطن اليهود أرض فلسطين، وبعد الحرب العالمية الثانية ضاعت منّا فلسطين والإسكندرونة نهائياً.

أمّا من يقول: إنّ إنجلترا وفرنسا والدول الأُوربية الداخلة في الحلف الأطلسي[1] قبلت المساعدات العسكرية ولم تفقد استقلالها. فالجواب: أنّ هذه الدول بالحقيقة فقدت استقلالها الكامل في أُمورها الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وتبعت أمريكا في سبيل مصالحها الاستعمارية والاقتصادية المتبادلة. أمّا نحن فلا تربطنا بأمريكا أيّ مصلحة. هم يريدون الفقر والجهل والتأخّر في شتّى النواحي، ونحن نريد الاتّحاد والإخاء.

وقد يرى البعض أن لا حول لنا ولا قوّة للصمود على الحياد ضدّ رغبة الدول الاستعمارية. وهذا رأي فاشل، فإنّ الذلّ والخضوع والهوان لم يكن في يومٍ ما سبيلاً ينال به الشعب حقّه، والشعب الضعيف المتأخّر باتّحاد أبنائه وإخائهم وإخلاصهم وتفانيهم في العمل بنظام وحكمة يصبح قوياً عظيماً، وما ضاع حقّ له طالب.

وفي نفس الوقت الذي أُحذّر فيه الحكّام العرب وساستهم من عقم طريقة الخضوع والاستسلام للدول الاستعمارية، أنصح الشباب والجمهور في الحذر من الانحراف مع تيّار الشيوعية؛ لأنّ ذلك يعقّد الوضع الدولي ويخلّ بالسلام، حيث قد تتّخذ الدول الغربية من ذلك ذريعة لمقاومتنا بالقوّة والاعتداء علينا وإن كان ذلك حاصلاً فعلاً بالمعنى... حتّى نزلت إلى ميدان الاستعمار الدنيا الجديدة، فجاءت بلون من الاستعمار جديد: الدفاع المشترك، المساعدات العسكرية، النقطة الرابعة، المساعدات الفنّية، الحلف العسكري، وكلّها خداع وصراع واختلاسات وأطماع،

---

(١) منظّمة معاهدة شمالي الأطلسي (الناتو): حلف عسكري سياسي غربي رئيسي تتزعّمه أمريكا، أُنشِئَ بموجب معاهدة عرفت بهذا الاسم عام ١٩٤٩م بمدينة واشنطن. ويتكوّن الحلف من: أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، وكندا، وإيطاليا، وبلجيكا، وهولندا، والبرتغال، ولكسمبورغ، وإيسلندا، والنروج، والدانمارك، وألمانيا، وتركيا، واليونان. تحوّل الحلف عام١٩٥٢م إلى منظّمة دولية إقليمية مقرّها باريس، ومقرّه الآن في بروكسل. (موسوعة السياسة ٦: ٣٥٧).

خداع مغلّف وطمع مزيّف!

ولو أنّ أمريكا تريد المساعدات الحقيقية والمعونة الجدّية للدول الضعيفة المتأخّرة لظهر أثر ذلك حتّى الآن.

لو كان عند الأمريكان شيء من المثل العليا والقيم الروحية لحموا الهنود الحمر السكّان الأصليّين للبلاد، ولكن الهنود الحمر العزّل المساكين لاقوا من الفاتحين المغامرين ألوان العذاب والموت والتشريد والتقتيل!

ولو كان عند حكومة أمريكا الحاضرة ذرّة من العدل والإنصاف لأحسنوا معاملة الزنوج الذين استعبدوهم منذ مئتين من السنين، ولم يكفّوا أسرهم وعبوديتهم حتّى الآن، وقد بلغ عددهم خمسة عشر مليون نسمة.

نعم، الزنوج متساوون مع البيض في دستور الاتّحاد الأمريكي، ولكن بسبب القوانين والأنظمة التي تشرّعها الولايات لتضرّ بالزنوج صراحة أو إشارة، وبسبب العرف والتقاليد والتعصّب العرقي السائد، وتغاضي الحكومة والمسؤولين عن المحافظة على حقوق الزنوج من البيض المتعصّبين، فإنّ الزنوج محرمون بالعمل وبالواقع من كلّ شيء، وليس لهم أبسط الحقوق، فلا يصوّت في الانتخابات إلّا عدد قليل، والزنجي إن قُتل يذهب دمه هدراً، ويحرم التزاوج بين البيض والسود، ولا يملك الفلّاح الزنجي أرضاً يزرعها، والعامل الزنجي يأخذ أجراً أقلّ من نصف أُجرة العامل الأبيض، ولا يدرس الزنوج في مدارس البيض، ولا يسكنون مع البيض في المنزل واحد.

وفي الحقيقة أنّ الحرب الأهلية التي نشأت بين أهل ولايات الشمال وولايات الجنوب لتحرير العبيد في أيّام أبراهام لنكولن[1] لم تنفع الزنوج شيئاً، بل

(١) أبراهام لنكولن: الرئيس السادس عشر للولايات المتّحدة الأميركية. ولد سنة ١٨٠٩م في ←

أدّت إلى اشتراك أهل الشمال في الغنيمة، وهي أتعاب الزنوج البؤساء.

وكان اللوردات والملّاكون الكبار من الإنجليز يعاملون سابقاً سكّان إيرلندا بصورة مشابهة، ممّا أدّى إلى نضال إيرلندا المتواصل، إلى أن استقلّت وتحرّرت من حكمهم وظلمهم.

إذن هل يروق لك ـ أيّها العربي الغيور ـ ذلك الوضع التعيس والعيش الخسيس، وأن ينتهي بك الأمر إلى مثل ذلك الحال؟! فإنّ الدولة التي تضطهد أبناء وطنها، من الأولى أن لا تتورّع عن اضطهاد أبناء الأقطار الأجنبية البعيدة عنها.

ويكشف اضطهاد الزنوج في أمريكا كذب مزاعم حكومة أمريكا في الدفاع عن حرّية الشعوب وفي السعي لتقدّم الشعوب ورفاهها وسعادتها..

ثمّ كيف وأنّى يتورّط العراق بالدخول في حلف تركيا وباكستان في الوقت الذي تدعو فيه الحكومة العراقية الدول العربية إلى الوحدة العربية أو الاتّحاد العربي؟!

كيف نحالف تركيا وهي صديقة إسرائيل في الوقت الحاضر، وأوّل دولة اعترفت بها، ولا تزال تؤيّدها وتروّج بضاعتها وتجارتها؟! وحكومة تركيا الآن عدوّة العرب والإسلام وصديقة اليهود، وقد باعت تركيا شرف استقلالها بالدولار، وصارت آلة لأمريكا تصرّفها كيف تشاء! ثمّ إنّ دخول العرب في حلف تركيا سهم

← ولاية كنتاكي، ثمّ انتقل إلى ولاية أنديانا عام ١٨١٦م، ثمّ ولاية إلينوي عام ١٨٣٠م. وفي عام ١٨٤٧م أصبح عضواً في مجلس النوّاب الأمريكي، واتّخذ موقف المعارضة من الحرب الأمريكية ـ المكسيكية. وفي عام ١٨٥٦م انضمّ إلى الحزب الجمهوري الجديد، وانتخب عام ١٨٦١م رئيساً للجمهورية، وفي عهده نشبت الحرب الأهلية الأمريكية. أعلن قانون تحرير العبيد عام ١٨٦٣م، واغتيل عام ١٨٦٥م على يد جون ولكس بوث بعد بضعة أسابيع فقط من تجديد رئاسته، ودفن في بلدة سبرنغفيلد في ولاية أنديانا. (موسوعة السياسة ٥: ٤٩١).

في قلب العروبة، نعم، هو سهم ذو ثلاث شعب: ١ ـ إنّه إماتة لقضية فلسطين. ٢ ـ تمزيق لوحدة العرب. ٣ ـ نقمة الشعوب العربية وثورتها ولعنة الأجيال..

تبذل أمريكا الأسلحة الفتّاكة لإسرائيل نقداً لا وعداً، تدفعها بلا قيد ولا شرط ولو تقاتل به العرب، بل على أن تقابل به العرب. أمّا العرب فتبذل لهم الأسلحة الرمزية العاطلة وعداً لا نقداً وبشرط أن لا تقاتل بها إسرائيل! ما أدري إذا لم تقاتل إسرائيل فمن تقاتل، وأيّ عدوّ أمرّ وأدهى من إسرائيل؟!

نعم، تقول أمريكا بلسان الحال الذي هو أبلغ من لسان المقال: أعطيكم السلاح على أن يقاتل بعضكم بعضاً حتّى تهلكوا جميعاً، كما هو الحال اليوم في إيران ومصر وسوريا وغيرها وخاصّة الدول العربية وشعوبها ذات (الجامعة العربية)[1] التي فرّقت العرب ومزّقتهم شرّ تمزيق وخانتهم وطعنتهم بالصميم، وانكشف أنّ رئيسها وسبعة من أعضائها جواسيس للأجانب، بل عمّال للإنجليز، مستأجرون على ضرب العرب وتمزيقهم، وقد أخذوا الأُلوف بل مئات الأُلوف أُجرة على هذه الخيانة! ياللعار والشنار وسوء الدمار وخراب الدار!

واليوم جاءتنا من (نيويورك) وجمعية أصدقاء الشرق الأوسط رسالة ودعوة، تناشدنا الحضور في مؤتمر تبحث فيه عن القيم الروحية والمثل العليا!

يا هؤلاء العتاة المردة ويا شياطين الأبالسة، انهضوا من عثرتكم، واستقيلوا من خطيئتكم، واخرجوا من ضلالكم، وردّوا الحق الذي اغتصبتموه إلى أهله، ردّوا فلسطين إلى أصحابها الشرعيّين، وردّوا أهلها المشرّدين إليها، ثمّ اعقدوا المؤتمرات للبحث عن المثل العليا والقيم الروحية!

أمّا يد تسبّح ويد تذبح عين تدمع وكفّ تصرع، فهذه مهزلة من المهازل، إذا

---

(١) لمعرفة ما يتعلّق بجامعة الدول العربية وتاريخها وأهدافها راجع موسوعة السياسة ٢: ١٩ ـ ٢٠.

جازت في عرف الكياسة ولغة السياسة فلا تجوز في لغة العقل والمنطق...

وقسماً بكلّ المقدسات، لو أنّ الدول العربية بقي في ظروفها وشل من الغيرة وثمالة من الحمية والشرف والنخوة الإسلامية لقاطعوا كلّ أمريكي وإنجليزي، ولأخذوا بسياسة السلب والمقاطعة التي أخذ بها زعيم الهند (غاندي)[1] ونجح، ولحرّموا على أنفسهم كلّ مقاطعة أجنبية من بضائع أُولئك الظالمين، ولأخذوا التدابير للاستغناء عن صنائعهم ومنسوجاتهم، فإنّ لباس الصوف الخشن مع العزّ والكرامة أنعم وأكرم وأغلى وأشرف من لباس الحرير والاستبرق مع المذلّة والمهانة! ولكن إذا أراد الله أن يهلك قوماً بسوء أعمالهم حبّب إليهم عيش النعيم، فاستبدلوا الشرف بالترف، وتوصّلوا إلى الذلّة بالذلّة، وفقدوا حسّ الشعور بكرامة النفس وعلو الهمّة، وهان عليهم الطعنات الجارحة والضربات الفاضحة!

قلنا للسفير الإنجليزي في محاورتنا معه التي نشرت في العالم الماضي: إنّ العراق منذ احتلالكم له حتّى الآن يسير من سيّئ إلى أسوأ في جميع نواحيه الاقتصادية والعمرانية وغيرهما، فقال ما معناه: كلّا! بل تحسّنت الأُمور، وتقدّم العمران، وكان قصر الملك في بغداد يحيط به الماء كلّ سنة عند الفيضان وقد صار آمناً من ذلك! فقلت: ليس المهمّ قصر الملك، بل المهمّ كوخ الفلّاح الذي يشيّد منه

---

(١) موهندس كرمشاند غاندي الملقّب بالمهاتما، أي: القدّيس، أو النفس العظيمة: زعيم وطني هندي، ومصلح اجتماعي، ورائد فلسفة اللاعنف في الحياة السياسية. ولد في مدينة بور بندر في الهند سنة ١٨٦٩م من عائلة برجوازية، وتزوّج في سنّ الثانية عشرة ورزق بأربعة أطفال، وفي سنة ١٨٨٨م سافر إلى بريطانيا ليتابع دراسته القانونية، وقد أقسم ـ قبيل سفره ـ على عدم تناول اللحوم والكحول وعدم معاشرة النساء، ثمّ عاد إلى الهند عام ١٨٩١م وبدأ بممارسة مهنة المحاماة، ثمّ سافر إلى جنوب أفريقيا بعد تلقّيه عرضاً بالعمل، ومن هنا بدأت مسيرته السياسية والنضالية ضدّ كلّ أشكال الاستعمار والثقافة المنحلّة، إلى أنّ اغتيل برصاص أحد المتعصّبين الهندوس (ناتورام غودس) نتيجة لقبوله قرار تقسيم القارّة الهندية، وذلك في عام ١٩٤٨م. (موسوعة السياسة ٤: ٣١٥ ـ ٣٢١).

قصر الملك، بل وقصر الكريمات مقرّ فخامتكم في الكرخ، كوخ الفلّاح الذي يغرق منه كلّ سنة الأُلوف ومئات الألوف من الفلّاحين المساكين، يهيمون على وجههم، ومن يسلم من موت الغرق من عيالهم وأطفالهم يصبح بلا مأوى، ويستولي التيّار على كلّ ما يملكون من مقوّمات الحياة، وهكذا دواليك، والناس منكم في شرّ وأيّ شرّ! فأين العمران والتعمير يا فخامة الرئيس؟! وهل هذا إلّا التدمير؟!

وليعلم الناظر من كلماتي هذه أنّ القلم قد طغى عليّ، واندفع بإلقاء هذه الفقرات والجمرات على غير قصد منّي إليها، وما كان قصدي في جواب الكتاب المشتمل على دعوتي للحضور في المؤتمر الذي نوّه عنه صاحب المكتوب إلّا لبيان أمرين مهمّين يرتبطان بصميم أهداف الدعوة، بعد أن أرسلت إليه الجواب المختصر في الاعتذار عن الحضور، وعدته بأنّ ما سبقت الإشارة إليه في كتابي هذا من أنّ اللازم ضرورة فيمن يدعو إلى المثل والقيم الروحية أن تكون متمكّنة منه ويكون متمكّناً منها، وأنّها من أخصّ صفاته وأرسخ كلماته، وهذه الركيزة من أهمّ ركائز الإسلام ودعائمه، فالقرآن المجيد يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[١]، ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٢].

وبهذا يرتبط (الأمر الثاني) ارتباطاً وثيقاً، وهو: أنّ من يتطلّب المثل العليا حقيقة ويلتمس العثور على ما يجمع القيم الروحية تماماً وواقعاً لا يجدها مهما كدّ وكدح وشرّق وغرّب، لا يجدها إلّا في الإسلام، ولا يجد الديمقراطية الصحيحة والاشتراكية العادلة إلّا في حياة محمّد ﷺ وعند خلفاء محمّد..

يشترك الإسلام والمسيحية في أهداف معيّنة كثيرة، يتّفقان في الدعوة إلى الاعتقاد بالخالق القادر الحكيم الأزلي الذي لا مبدأ له، والاعتقاد بالمعاد والدينونة

(١) سورة البقرة ٢: ٤٤.

(٢) سورة الصفّ ٦١: ٣.

والجزاء، وأنّ المحسن يجزى بإحسانه والمسيء يعاقب بإسائته..

المسيحية تدعو إلى التساهل والتسامح والتحمّل، ولكن مع الخضوع والذلّ والاستسلام..

مثلاً: الإنجيل يقول: «من ضربك على خدّك الأيمن فأعطه خدّك الأيسر، ومن سلبك ردائك فأعطه إزارك»[١].

أمّا الإسلام فهو أيضاً يدعو إلى التسامح والصبر والتحمّل، ولكن مع العزّة والكرامة وشرف النفس وعلو الهمّة..

الإنجيل يشرّع ويحبّذ الرهبانية التي هي كبت للغريزة الطبيعية، أمّا القرآن فيقول محافظةً على ذلك: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾[٢]...

هجم اليهود بالنار والحديد والقنابل على العرب والمسلمين في قرية «قبية» العزلاء، فنسفوا البيوت وردموها على من فيها من النساء والأطفال والرجال.. كلّ يوم تقع هذه البلية العاتية والضربة القاسية من اليهود على القرى العربية منذ خمس سنوات إلى يومنا هذا، فهل سمعت طيلة هذه المدّة مع هذه الهجمات الفضيعة من اليهود على قرى الأُردن، هل سمعت أنّ الشعوب أو الدول العربية المحيطة بإسرائيل من كلّ جهاتها، هل سمعت أنّهم قتلوا كلباً يهودياً أو هرّة يهودية، فضلاً عن إنسان أو صورة إنسان؟!

نعم، السلاح الوحيد عندهم والملجأ للأُردن وغير الأُردن الاحتجاج إلى الدول الغربية الكبرى والشكوى، وأقصى ما عند هؤلاء الدول الاستنكار الفارغ والعتاب الفاتر!

وتشتكي الدول العربية المنهوكة المهتوكة إلى مجلس الأمن والدول الكبرى

---

(١) راجع: إنجيل لوقا: ٣٨ ـ ٣٩، بين الإسلام والمسيحية: ٢٨٦.

(٢) سورة النساء ٤: ٣.

(شكوى الجريح إلى العقبان والرخم)!

أتدري ما يكون من شكوى الجريح إلى العقبان والنسور وأمثالها من سباع الطير؟! إنّها تنزل إلى الجريح، فتقطّع لحمه، وتمتصّ دمه، وتهشّم عظمه، وتأكله في ساعة طعاماً سائغاً!

وكما بعث الله في العهود الغابرة خمسة أنبياء هم أنبياء الخير والرحمة، كذلك ابتعث أبالسة الجبت والطاغوت في هذه العصور خمسة، هم أنبياء الشقاء والشرّ على البشر: (روزفلت[1]، وترومان[2]، وإيزنهاور[3]،

---

(١) فرنكلين هايد بارك سبرينغ روزفلت: رجل دولة أمريكي، ورئيس الولايات المتّحدة الأمريكية عام ١٩٣٢. تولّى هذا المنصب للمرّة الثالثة، وانتخب للمرّة الرابعة، إلّا أنّه مات قبل أن يكملها سنة ١٩٤٥م بسبب الإرهاق الشديد. كانت سياسته انفتاحية، وعمل على إنشاء منظّمة الأُمم المتّحدة التي عقدت دورتها الأُولى عام ١٩٤٥م. (موسوعة السياسة ٢: ٨٤٣).

(٢) هاري ترومان: الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المتّحدة الأمريكية. ولد في ميسوري عام ١٨٨٤م، وأصبح نائباً لهذه الولاية في مجلس الشيوخ عام ١٩٣٤م، واختاره روزفلت لمنصب نيابة الرئاسة عام ١٩٤٤م، وخلفه لدى مماته في العالم التالي دون أن يكون له كبير خبرة في اتّخاذ القرارات القومية والدولية. أيّد فكرة إنشاء الأُمم المتّحدة، وقرّر استخدام القنبلة الذرّية ضدّ اليابان عام ١٩٤٥م، وقاوم الشيوعية عبر مبدئه المسمّى باسمه، وأقحم بلاده في النزاع الكوري، وتقاعد عام ١٩٥٢م، بعد أن كان أوّل من اعترف بإسرائيل كدولة. توفّي عام ١٩٧٢م. (المصدر السابق ١: ٧٢٤).

(٣) دوايت دافيد إيزنهاور: عسكري ورجل دولة أمريكي، الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتّحدة. ولد في دينسون عام ١٨٩٠م، ونشأ في كنساس، ووصل إلى رتبة جنرال في غضون الحرب العالمية الثانية، وكان هو المسؤول عن عملية احتلال أفريقيا الشمالية عام ١٩٤٣م واحتلال مقاطعة نورماندي في شمال فرنسا عام ١٩٤٤م، وفي عام ١٩٥٢م انتخب رئيساً للجمهورية، واستطاع أن يتوصّل إلى حلّ لحرب كوريا، ولكنّه واصل سياسة احتواء الاتّحاد السوفيتي، وجدّد انتخابه لفترة رئاسية ثانية. توفّي سنة ١٩٦٩م. (المصدر السابق ١: ٤٣٧).

وتشرشل[1]، وإيدن[2]! هؤلاء جراثيم البلاء وخراطيم الشقاء!

الوسائل المتّبعة للإصلاح الاجتماعي وتحقيق العدل وتمزيق الظلم ومقاومة الشرّ والفساد تكاد تنحصر في ثلاثة أنواع:

١ ـ وسائل الدعوة والإرشاد بالخطب، والمقالات، والمؤلّفات، والنشرات.

٢ ـ وسائل المقاومة السلمية والسلبية، كالمظاهرات، والإضرابات، والمقاطعة الاقتصادية، وعدم التعاون مع الظالمين، وعدم الاشتراك في أعمالهم وحكومتهم.

٣ ـ الحرب، والثورة، والقتال.

والإسلام يتدرّج في هذه الأساليب الثلاثة: (الأوّل): الموعظة الحسنة والدعوة السلمية، فإن لم تنجح في دفع الظالمين ودرء فسادهم واستبدادهم

---

(١) ونستون ليونارد سبنسر تشرشل: سياسي ورجل دولة بريطاني مخضرم. ولد عام ١٨٧٤م، وبدأ حياته العملية في الخدمة العسكرية في الهند وكوبا والسودان عام ١٨٩٥م، فعمل كمراسل حربي. وعلى أثر عودته ـ بعد أن أسر ـ انتخب نائباً عن حزب المحافظين في البرلمان، ثمّ عيّن وزيراً للتجارة، وتقلّب في عدّة مناصب وزارية أخرى، إلى أن عيّن رئيساً للوزارة أثناء الحرب العالمية الثانية، وتقاعد من البرلمان عام ١٩٦٤م. كان صهيونياً متطرّفاً، لعب دوراً خطيراً في دعم مشروع إقامة الدولة اليهودية. توفّي عام ١٩٦٥م تاركاً جملة من المؤلّفات، منها: تاريخ الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية، مذكّرات الحرب العالمية الثانية. (المصدر السابق ١: ٧٤١ ـ ٧٤٢).

(٢) أنطوني روبرت إيدن: سياسي ورجل دولة بريطاني استعماري، كان يعمل كضابط أركان حرب في الحرب العالمية الأولى. ولد سنة ١٨٩٧م، وبدأ حياته السياسية سنة ١٩٢٣م، وعيّن وزيراً للخارجية سنة ١٩٣٥م، وواجه أزمة احتلال هتلر لبريطانيا، وعيّنه تشرشل ـ بعد أن استقال ـ وزيراً لخارجيته (١٩٤٠م ـ ١٩٤٥م)، وكان له دور كبير في تشجيع إنشاء جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٣م، وعيّن للمرّة الثالثة وزيراً للخارجية من سنة ١٩٥١م إلى سنة ١٩٥٥م، وحين استقال تشرشل أصبح رئيساً للوزراء. اشترك في العدوان الثلاثي على مصر، وبفشل هذا العدوان انسحب من الحياة السياسية تماماً. توفّي سنة ١٩٧٧م. (المصدر السابق ١: ٤٢١).

(فالثاني): المقاطعة السلمية أو السلبية وعدم التعاون والمشاركة معهم. فإن لم تنجع وتنفع (فالثالث): الثورة المسلّحة. فإنّ الله لا يرضى بالظلم أبداً. والراضي بل الساكت شريك الظالم. الإسلام عقيدة. وقد غلط وركب الشطا من قال: إنّ الإسلام ينشر دعوته بالسيف والقتال. والقرآن المجيد ينادي بذلك في عدّة آيات. منها: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾[1]. ومن مثل الإسلام وأهدافه السامية أنّه يقول: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾[2]. الإسلام يقابل الإساءة بالإحسان، وأنتم تقابلون الإحسان بالإساءة والعدل بالظلم، وكلّ فضيلة بضدّها.

فهل عندكم ـ يا دول الديمقراطية ـ مثل هذه المثل والقيم الروحية؟! وهل تجدونها في غير الإسلام؟! وهل توافقوني إذا اختتمت رسالتي بما افتتحتها به: «المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون»؟!

إنّ الإسلام والمسيحية اتّفقا على الدعوة إلى السلام وكراهة الحرب والتحذير منها، وليس معنى الالتزام بدعوة السلام ومناصرتها أنّنا أخذنا بجميع مبادئ تلك الأُمّة التي تدعو إليه. فنحن نوافقهم على دعوة السلام ولا نوافقهم على سائر مبادئهم الهدّامة. ولكنّا نقول: حبّذا السلام. وحيّا الله من يدعو إلى السلام. ولعنة الله على الحرب وكلّ داع إليها!

نعم. الإسلام لم يسوّغ الحرب والقتال إلّا في موارد مخصوصة وبشروط معيّنة، أهمّها:

[الأوّل] : من يقف حجر عثرة في سبيل دعوة الحقّ والتوحيد. وهو الجهاد في سبيل الله بشروطه المعلومة.

الثاني: محاربة أهل الظلم والبغي والفساد في الأرض.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٥٦.

(٢) سورة الرعد ١٣: ٢٢.

الثالث: الدفاع عن النفس والعرض، وردّ الهجوم على البلاد الإسلامية.

لعلّ في مثل هذه الأيّام قد اجتمع المؤتمرون في بحمدون وحضر معهم من لبّى دعوتهم واستجاب لهم برمشة عين، أرشد الله فئة رفضت تلك الدعوة المسمومة، وحتّى الآن لم نعرف شيئاً من مقرّراتهم!

ولكن الذي أُريد أن أتساءل عنه: أنّهم هل ذكروا أو تذكّروا هجوم الصهيونيّين قبل بضع سنين على دير ياسين، فقتلوا الرجال والأطفال، وبقروا حتّى بطون الحوامل؟! وهل ذكروا قتل اليهود رجال (نحالين) من غير جناية وبلا أيّ سبب؟!

وما قتل أُولئك العرب المساكين من المسلمين إلّا بأسلحة أمريكية! وما شجّعوا على هذه الوحشية إلّا بقوى أمريكية!

زهقت تلك النفوس الزكية، وجبلت الأرض بدمائهم تحت سمع وبصر تلك العدالة، عدالة العالم الحرّ!

وكلّ يوم تدفعون اليهود لشنّ الغارة بأسلحتكم الجهنمية عليهم كي يلجأوا إلى قبول الصلح الذي قرّرته محكمة عدالتكم، الصلح المجّاني بلا قيد ولا شرط ولا عوض! تقولون لأولياء المقتول: اصطلح من القاتل مجّاناً وقبّل يده، وإلّا لا يزال يصفعك بها!

وآهاً منكم يا بني سكسون! أقسم حقّاً لو جمع كلّ ظلم من طواغيت البشر وجبابرتهم من ملايين السنين لما ساوى ظلمكم للعرب وللإسلام سنة واحدة!

أنتم يا أبناء العمّ سام[1] ويا بني سكسون[2]، تزعمون أنّكم أتباع عيسى عليه السلام!

---

(١) العمّ سام (Uncle Sam): رمز ولقب شعبيّان للولايات المتّحدة الأمريكية، أصل التسمية ترجع إلى أوائل العقد الثاني من القرن التاسع عشر، حيث كان يعيش في أمريكا تاجر اسمه ←

إنّ الأخلاق والفضيلة والمثل العليا والنواحي الروحية قد بلغت من التردّي والسقوط في هذا العصر إلى أبعد حدودها!..

مثلاً: إنّ أُصول الفضائل في العهدين القديم والجديد والوصايا العشر وخطبة المسيح على الجبل، وأهمّ ما فيها: «لا تقتل، لا تسرق، لا تزنِ، لا تكـذب»[٣] إلى آخرها، **فهل تجد شيئاً من هذه الفضائل عند اليهود أو النصارى؟!**

أمّا أمريكا فقد نسفت مدينة من كبريات مدن اليابان[٤] بكلّ من فيها من السكّان والذُرّية بفضل القنبلة الذَرّية، ما أدري بلحظة واحدة أو أكثر! كما لا أدري ذنب أُولئك المساكين من البشر حتّى يهلكوا جميعاً على صعيد واحد وبنفخة واحدة! وأمريكا تدين بدين النصرانية وتبشّر به، وتوراتهم وإنجيلهم يصرخ في كلّ فرد منهم: «لا تقتل، لا تقتل»، والإسلام يشدّد في أمر القتل ويحرّمه أشّد حرمة، كما يحرم الظلم والعدوان، ويوصي بالشفقة والرحمة والعطف، حتّى على الحيوان أوصى بالشفقة والرحمة، حتّى على الكلب، فقال: «إذا رأيت الكلب يلهث من العطش

← صموئيل ويلسون المعروف تحبّباً بالعمّ سام ويلسون، وكان يزوّد القوّات الأميركية خلال حرب عام ١٨١٢م بلحم البقر، وكان يدمغ براميل هذا اللحم بحرفي .U.S إشارة إلى أنّها ملك الدولة، وإذ كان هذا الرمز يمثّل أيضاً الحرفين الأوّلين من كلمتي العمّ سام، فسرعان ما أصبح هذا اللقب مرادفاً للولايات المتّحدة الأميركية. ويُمثّل العمّ سام في الصحافة وغيرها على صورة رجل ذي شعر طويل أشيب وسترة منجّمة وبنطال مخطّط وقبّعة عالية ذات سيور ونجوم كتلك التي تشتمل عليها الراية الأميركية. (موسوعة المورد ١٠: ٥٣).

(٢) السكسون: شعب جرماني كان يقيم بادئ الأمر في منطقة شلزويغ الحالية وعلى سواحل بحر البلطيق، حتّى إذا كان القرن الخامس للميلاد انتشر بسرعة في ألمانيا الشمالية وسواحل فرنسا، وفتح مع الأنجليز والجوت إنجلترا، ومن ثمّ امتزج بهم ليتألّف من هذا المزيج الشعب الأنجلو سكسوني. (موسوعة المورد ٨: ٢١٩).

(٣) إنجيل لوقا: ٣٨ ـ ٣٩.

(٤) وهي مدينة «هيروشيما» اليابانية.

فاسقه الماء، لكلّ كبد حرّى أجراً[١]»[٢].

هذا، وقد تمّ طبع هذه الرسالة ونشرها تحت عنوان: «المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون»، وكان سماحة الإمام قد أرسل ـ حين انعقاد المؤتمر في بحمدون ـ أحد أصدقائه من فضلاء النجف مع بعض النسخ من الكتاب إلى بحمدون لبنان ليوزّعها على أعضاء المؤتمر وبعض الشخصيات اللبنانية، وبعد أن قام بواجبه أرسل الكتاب التالي إلى سماحته، والتي ورد في بعض المقاطع منها ما يلي:

«... وفي مساء ١٩٥٤/٤/٢٣ كنت في طريقي إلى بيروت، حيث دخلتها بتاريخ ١٩٥٤/٤/٢٤ في تمام الساعة الواحدة والنصف ظهراً، وبعد ساعة من وصولي تيسّر لي الاجتماع ببعض قادة الحركة الفكرية في لبنان على اختلاف مذاهبهم الدينية وميولهم السياسية، وقد وفّقت في عرض وجهة نظر سماحتكم قبل توزيع الكرّاس... وفي مساء ذلك اليوم كانت عدّة نسخ منه بين يدي اثني عشر عضواً، وفي بيروت تناقلته الأيدي بعد أن وضعت تحت تصرّفها عدّة نسخ، أُهدي القسم الأكبر منها إلى قادة الحركة الفكرية والسياسية لرؤوساء الأحزاب والشخصيات اللبنانية والعلماء الأعلام ورجال الدين، وبعد مضي ثلاثة أيّام على وصولي النبطية ذهبت إلى بيروت بغية الوقوف على مدى الأثر الذي تركه هذا الكرّاس الذي ظهرت نتائجه وفعّاليته بين أعضاء المؤتمر أنفسهم، حيث انسحب عضوان بارزان من المشتركين فيه، وهما: سعيد رمضان رئيس الأُخوان المسلمين في القدس، والشيخ مصطفى السباعي الذي عقد مؤتمراً صحفياً في المجلس النيابي

---

(١) ورد الحديث بألفاظ متقاربة وبالخصوص ذيله في: مسند أحمد ٢: ٢٢٢ ـ ٢٢٣، صحيح البخاري ٢: ٨٣٣، سنن ابن ماجة ٢: ١٢١٥، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١٨٦ و٨: ١٤، الجامع لأحكام القرآن ٧: ٢١٦، مشكاة المصابيح ١: ٥٢٥، مجمع الزوائد ٣: ١٣١، كنز العمّال ٦: ٣٦١ و٤١٩ و٤٢٥.

(٢) للمزيد من الاطّلاع على هذه الرسالة يراجع كتاب: «المثل العليا في الإسلام».

اللبناني، تحدّث فيه عن هذا المؤتمر وغاياته وأهدافه الذي كشف عنها الستار بقوله: «كانت غاية المؤتمر إنشاء جبهة لمكافحة معسكر معاد للدول الغربية ممّا اضطرّنا إلى السعي بقوّة للحيلولة دون توجيه المؤتمر إلى مقاومة أيّ معسكر وخاصّة المعسكر الشرقي».

هذا ما كان من أمر المؤتمر ونهايته الفاشلة. أمّا من جهة كتابكم ورسالتكم الموفّقة، فقد تناولته الصحف في كثير من العرض والتعليق والتأييد وبعناوين بارزة ومقتطفات مناسبة، حيث علّقت «الهدف» على ما تضمّنه الكتاب، واستعرضت الأثر الذي تركه تحت عنوان: «الإمام كاشف الغطاء يكشف الغطاء عن مؤتمر بحمدون المسيحي ـ الإسلامي» داخل إطار خاصّ يلفت النظر، وفي اليوم الثاني اقتطفت منه عدّة فقرات مناسبة، كما تناولته جريدة «التلغراف» في عرض جيّد وبأُسلوب قوي، وقد أخذ هذا العرض ما لا يقلّ عن نصف الصفحة بستّة أعمدة، ختمته بقول أحد رجال الدين الذين لا يؤمنون بمثل هذه المؤتمرات: «آل كاشف الغطاء كشف غطاءهم»، وتناولته أيضاً صحيفتي «بيروت المساء» و«الصرخة»»[1].

رسالة إلى محمّد علي جناح

وهي عبارة عن احتجاج سماحة الإمام كاشف الغطاء إلى رئيس حكومة الباكستان على قبول المساعدات العسكرية الأمريكية.

«بسم الله الرحمٰن الرحيم

فخامة رئيس وزراء الباكستان الأُستاذ محمّد علي (دام عزّه):

بعد السلام عليكم والدعاء لكم بالخير والسلامة والتوفيق والكرامة، نبدي لمقامكم أنّ الدولة الباكستانية المحترمة هي دولة إسلامية، وباسم الإسلام نشأت

(١) المثل العليا في الإسلام: ١١٦ ـ ١١٩.

وتكوّنت، فهي أحقّ الدول الإسلاميّة بأن ترعى وتراعي الشؤون الإسلامية والشعائر الدينية، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[١]. ولا شكّ ولا إشكال أنّ دولة أمريكا قد حادت الله ورسوله، وحادت عن جادّة العدل والإنصاف بالظلم والاعتساف على خصوص العرب وعموم المسلمين، وغصبت منهم فلسطين وأعطتها لليهود، ولا تزال تمدّهم وتساعدهم بالسلاح والعتاد والأموال، فلا يليق ولا يناسب من مثل دولتكم المسلمة أن ترتبط بدولة أمريكا بمعاهدات، وخصوصاً معاهدات عسكرية، فإنّ هؤلاء القوم رؤوس الاستعمار الموجب للبوار والدمار وإدخال الخزي والعار، فنحن نعيذكم بالله من مخالفة جمهور المسلمين، والله يحفظكم ويرعاكم.

٢٠ / ج١ / ١٣٧٣ محمّد حسين آل كاشف الغطاء»[٢].

الوقوف بوجه السفير البريطاني

في هلال شهر آيار سنة ١٩٥٣م قدم إلى العراق الدكتور فيليب حتّي المؤرّخ العربي والأُستاذ في جامعة برنستون موفداً من الجامعة، وسلّم إلى سماحة الإمام كاشف الغطاء رسالة من الدكتور (بيارد ضود) يدعوه إلى حضور مؤتمر الثقافة الإسلامية وعلاقتها بالعالم المعاصر، والذي يعقد من ٨ ـ ١٧ / أيلول / ١٩٥٣م في جامعة برنستون وفي مكتبة الكونغرس في واشنطن في ١٧ ـ ١٩ أيلول من السنة نفسها.

فاعتذر من الأُستاذ حتّي عن الحضور، كما اعتذر عن الحضور في هذا المؤتمر.

(١) سورة المجادلة ٥٨: ٢٢.

(٢) المثل العليا في الإسلام: ١٠٠.

يقول شاهد عيان: حضرت صدفةً مدرسة الإمام المصلح آية الله محمّد الحسين كاشف الغطاء قبل الزوال يوم الأربعاء ٢٧/ محرّم الحرام / ١٣٧٣هـ. فرأيت عند الحاضرين حالة انتظار واستعداد لمجيء وفد محترم إلى المكتبة العامّة في مدرسة الإمام، وصرت أتطلّع إلى باب المدرسة لأرى متى يصل الوفد، وإذا به قد أقبل يقدمهم السفير البريطاني (السير جون تروتبيك) في بغداد، وسعادة متصرّف اللواء عبّاس البلداوي، وقائم مقام النجف مهدي هاشم، ورجال الشرطة ومديرها في كربلاء سعادة علي غالب، وترجمان السفير المذكور، وسكرتيره الخاصّ.

فلمّا جلس السفير ومن معه في المكتبة طلب الاجتماع بسماحة الإمام، وكان الإمام في داره، ونظراً لرغبة جماعة من المدرّسين في مدرسته وجملة من التلاميذ وإلحاحهم على قبول مقابلته اجتمع معه في غرفة المطالعة أمام مكتبته العامّة، وكانت حاشدة بهيئة المدرّسين وعدّة من أفاضل أهل العلم وغيرهم من وجهاء النجف، وحيث إنّ الجلسة كانت فريدة من نوعها فقد استغرقت أكثر من ساعتين، وتطرّق سماحته إلى شتّى المواضيع الخطيرة والنواحي المفيدة، وكشف النقاب فيها عن الوجه الاستعماري الغاشم، واستهلّ كلامه بنبذة قصيرة من خطبة الإمام علي عليه السلام في «نهج البلاغة»: «وما أخذ الله على العلماء ألّا يقارّوا على كِظة الظالم ولا سغب مظلوم»[1]. ثمّ ابتدأ سماحته مخاطباً السفير الإنجليزي بالقول: «أنت شخصية محترمة، وتمثّل دولة معظّمة، وأنا وإن كنت لا أعتدّ بنفسي، ولكنّي أُمثّل أكبر أُمّة فيها الملايين من المسلمين، لا في العراق وحسب، بل في جميع الأقطار العربية وغيرها، كإيران والأفغان والهند وباكستان، وحتّى في التبت والصين، كلّ أُولئك يأخذون برأيي ويأتمرون بأمري، واجتماع هكذا شخصيتين نادر الحصول جدّاً، قد يتّفق في عشرات من السنين وقد لا يتّفق، أمّا وقد حصل في هذه

---

(١) نهج البلاغة: ٣٠.

الساعة فلا ينبغي أن ينقضي هذا الاجتماع بغير فائدة عامّة ومنفعة لكلا الأُمّتين، ولا نصل إلى هذه الغاية ونصيب الهدف الأسمى إلّا بالصراحة وترك المجاملات وما تسمّونه (الدبلوماسيات)، يلزمنا بيان الحقيقة الساخرة والنصائح الفارغة من الغشّ والمداهنة، مهما كانت حلوة أو مرّة» فقال السفير: «أنا مستعدّ لذلك، وأشكركم عليه». فقال صاحب السماحة: «نحن معاشر العرب بل والمسلمين عموماً وإن كانت قلوبنا دامية منكم وقد طعنتمونا الطعنة النجلاء في الصميم ـ وما أكثر طعناتكم لنا ـ ولا كهذه الطعنة طعنة فلسطين! ولكن قد ابتلينا نحن وأنتم بالعدوّ المشترك العنيد، وليس هو عدوّنا وعدوّكم فحسب، بل عدوّ الإنسانية، عدوّ كلّ فضيلة، عدوّ الحرّية التي هي من أفضل نعم الله تعالى، عدّو الحرّية الشخصية والاجتماعية الذي يجعل الإنسان آلة ميكانيكية لا إرادة له ولا اختيار، عدوّ كلّ فضيلة وكرامة، هذا العدوّ الألدّ الذي يريد القضاء عليكم أوّلاً وعلينا ثانياً، بل يريد قلع جذور الفضائل والكرامات والأُسر والعائلات، وقد نما واتّسع وامتدّت خراطيمه وجراثيمه إلى كلّ قارّة، بل إلى كلّ قطر، بل لكلّ بلد، ولوّثت كلّ أُسرة تلك المبادئ التي تسمّونها: المبادئ الهدّامة، وأُسميّها: المبادئ السامّة التي تسمّم جوهر الإنسانية وتزهق بها روح الفضيلة، يلزمنا أن نتعاون معاً على كفاحها ونبيدها قبل أن تبيدنا، ونهلكها قبل أن تهلكنا، ويلزمنا قبل كلّ شيء أن نبحث عن السبب في انتشارها هذا الانتشار الهائل وقد استشرى شرّها، حتّى هجم على النجف الأشرف البلد المقدّس الإسلامي الذي نشأت منذ وضع حجرها الأوّل على تقوية الدين ونشر الأخلاق الفاضلة وغرس عناصر الفضيلة في تربتها الطاهرة، بل هي كلّية إسلامية تشدّ الرحال إليها من جميع الآفاق منذ أكثر من ألف سنة لتحصيل العلوم الدينية، وينكفأ عنها أفاضل العلماء إلى أوطانهم بعد حمل الشهادة من مراجعها العظام. تصوّر جيّداً وانظر كيف توغّلت هذه الدعاية السوداء من غير منطق ولا حجّة ولا مال ولا جاه

ولا توظيف، حتّى أصبح لها في النجف ـ وهي تلك البلدة الإسلامية المقدّسة الدينية المحضة ـ أوكار واسعة، فيها تشكيلات وأنظمة، يقوم بها شباب نشيط متحمّس.

ونزيدك إيضاحاً أنّ المساعي التي تبذلها بريطانيا للاستيلاء على العراق واستغلال خيراته وبركاته ليس أوّلها في بدء الحرب العالمية الأُولى، بل قبل ذلك بمائة سنة أو أكثر أيّام حكومة الأتراك، فقد نشأنا قبل سبعين سنة والسلطان يومئذٍ عبدالحميد[1] و(الياليوز خانة) وذيولها من أعوانها العراقيّين الذين استعبدتهم (الروپيات) ينشرون أكبر دعاية لبريطانيا في العراق، واجتهدت في تحبيب الإنجليز، وتشبّعت الأذهان، حتّى إنّ رجل الشارع صار يعتقد أنّ الإنجليز إذا حكموا العراق يجعلوها جنّة من جنّات الفردوس! ولمّا اشتعلت نار الحرب الأُولى وهجم الإنجليز ببواخرهم من الفاو على البصرة كانت وجوه العراقيّين وظواهر الأتراك وقلوبهم مع الإنجليز، وفي الحقيقة إنّما فتح العراق للإنجليز هم أهالي العراق وعشائره لا مناورة الإنجليز وبواخره، وخطب كبّار قوّادهم بادئ بدء قائلين للملأ العراقي: إنّنا دخلنا محرّرين لا فاتحين، ومعمّرين لا مستعمرين! فانتظرنا وصبرنا حتّى نفذ الصبر، فلم يجد العراقيّون إلّا الانتقال من سيّئ إلى أسوأ، أمّا العمران فالصحاري تلك الصحاري والقفار تلك القفار!

أرأيت ـ يا معالي السفير ـ الأراضي الواسعة التي قطعتها بسيارتك بين كربلاء والنجف، أرأيتها كيف وهي أرض طيّبة صالحة للزرع والغرس والعمران، ولكنّها اليوم شاحبة قفراء لا ماء ولا كلأ، وشطّ الفرات إلى جنبها يبعد عنها أقلّ من ميلين؟! فلو أنّكم وجّهتم نظركم حينذاك لتعميرها بنصب المضخّات لها أو شقّ الجداول فيها

---

(١) عبدالحميد بن عبدالمجيد بن محمود: سلطان عثماني. تولّى مقاليد الأُمور سنة ١٨٧٦م، وقامت في زمنه الحروب الكثيرة، ثمّ عزل عن السلطة، وولّي مكانه السلطان رشاد باسم السلطان محمّد الخامس سنة ١٩٠٩م. (تاريخ الدولة العثمانية: ٥٨٧ و٧٠٨).

لدرّت بالخيرات والبركات والثروة الطائلة.

أمّا الناحية الأخلاقية وانتشار الفساد والتفكّك، وتفكّك عرى المقاييس في العفّة والكرامة، وتبدّلها بالدعارة والاستهتار، وخاصّة الشباب والناشئين الجدد، حتّى شاع البغاء وانتشر الفجور وشرب الخمور إلى حدّ لا يوصف...».

فقال السفير جواباً على هذا البيان الذي دعمه العيان والوجدان قائلاً: «أنتم قلتم لنا: تعالوا تعالوا، خلصونا من الأتراك، فجئناكم وبذلنا أموالنا وضحيّنا رجالنا، وهذه قبور جنود الإنجليز في بلادكم تشهد لنا، وأردنا أن نعمّر بلادكم ونثقّف بجميع قوانا أولادكم، فتابعتم الثورات علينا وطلبتم الاستقلال وقلتم: نريد نحن نحكم بلادنا ونترقّى ونتدرّب على الحكم بأنفسنا، فأعطيناكم ذلك، فإذا كان تقصير في التعمير فاللوم عليكم لا علينا، حيث أخذتم ذلك على عهدتكم ولم تتركوه على عهدتنا! ومع ذلك فالتقدّم ظاهر بمقدار محسوس، فقد كان الفيضان يستغرق ويغرق أكثر المباني والمزارع، حتّى كاد الماء يحيط بقصر الملك بعض السنوات، وأصبح في هذه السنوات في أمن من كلّ خطر»!

فتبسّم سماحة الإمام، وقال: «أنا أتكلّم معك على الحقائق ومن صميم الواقع، وكأنّك تتكلّم معي بنحو المغالطة واللفّ والدوران! نعم، أعطيتمونا الاستقلال، ولكن الاستقلال الكاذب المزيّف! (الحقيقة تلك الحقيقة) ما تغيّرت وما تبدّلت، وإنّما تغيّرت الأوضاع والألوان والصور والأشكال، والروح تلك الروح، الوزارات والبرلمانات ومجلس الشيوخ والنيابات أشباح تحرّكها تلك الأرواح، وبما يهبط عليها من الوحي والإشارة يعمل الجميع لحسابكم؛ لأنّ الجميع من صنائعكم!

أمّا قولك: إنّ قصر الملك كان يحيط به ماء الفيضان وأصبح آمناً من الخطر، فنحن لا يعنينا قصر الملك، وإنّما يعنينا كوخ الفلّاح الذي من كدّ يمينه وعرق جبينه وضرب مسحاته تشيّد قصر الملك، بل وقصر الكريمات أيضاً، الفلّاح يسكن بيوتاً

كالقبور، ومن جهوده وأتعابه تسكنون القصور! هذا هو الذي في كلّ عام يغمر الماء زرعه وضرعه وأكواخه ويصبح فقيراً كما كان أو أشدّ فقراً.

أمّا المال الذي بذلتموه للعراق إزاء النفط هذا العام ووعدتم بزيادته فيما بعد، فحقّاً إنّه مال جزيل! وما نسبة ما تعطون إلى ما تأخذون؟! نحن أيضاً نعلم بأنّ ما أعطيتموه باليمين استرجعتموه بالشمال! وليت لو كان هناك محاسب، فينظر نسبة المقدار الذي يصرف منه لصالح العراق إلى الذي يصرف لصالح الاستعمار من سكك الحديد والميناء والجسور والمباني العسكرية والثكنات وأشباه ذلك. وهل هي حصّة العراق إلّا كحصّة الثعلب والأرنب من فريسة الأسد؟!

الاستعمار أصبح عند الدول الغربية بل وعند أمريكا التي دخلت إلى مدرسة الاستعمار جديداً.. الاستعمار عند هؤلاء كاللصّ يدخل الدار، فيأخذ ما فيها من عفش وقشّ، وصاحب الدار ينظر وليس لديه قوّة المدافعة، وإذا صاح أو صرخ يخشى على حياته، وإذا تضرّع يقول اللصّ: إنّي آخذ هذا القشّ كي أُعمّر به دارك وأصونها من الخراب! فإنّ الرحمة لا وجود لها في قواميسكم ولا في نواميسكم، فضلاً عن نفوسكم، ولكن لكي لا يتسلّح بها عدوّكم الألدّ ويشنّع بها عليكم عند الأُمم، فإنّ هذه الأعمال الفظيعة قرّة عين له، فكيف نكافح الشيوعية وهذه أعمالكم؟!».

فقال السفير: «أمّا مكافحة الشيوعية فتحصل بنهضة علماء الدين والزعماء الروحانيّين، وتعلّم الشباب وإرشادهم وتحذيرهم من هذه المبادئ التي تقلّب الأوضاع العالمية، فاللازم توجيههم في مدارسكم ونواديكم توجيهاً صحيحاً وثقافة صالحة وتعليماً قويماً، لا تقويضاً وتهديماً».

فقال له الإمام: «.. فاعلم أنّي أنشأت هذه المدرسة، وجعلت فيها ستّة صفوف، ويبلغ عدد تلاميذها زهاء ثلاث مائة طالب من الشباب الوديع، ولها

أساتذة، لكلّ واحد منهم راتب شهري، ومدير إدارة، وإلى جنب المدرسة هذه المكتبة التي سوف تراها، تفتح كلّ يوم للمطالعين، ولها كاتب وخادم، وكان الشعب ورؤوساء العشائر صالحاً كريماً ومكرّماً ومساعداً للعلماء وأهل العلم، وكانت المدارس الدينية تعيش بتلك المنح والصلات الخيرية، وتستغني عن المنح الحكومية...».

ثمّ عطف سماحته الكلام على السفير الإنجليزي بعدما تحدّث السفير عن الخطر الشيوعي قائلاً له: «نعيد الحديث على ما بدأنا فيه من العدوّ المشترك، وكيف يكون التخلّص منه والقضاء عليه، فاعلم أنّ الشيوعية لا يجدي في قمعها ومقاومتها بالقوّة والشنق والإعدام، فضلاً عن السجون والتبعيد والتعقيب الشديد، بل هي كحشائش الأرض والزرع كلّما حصدته تنمو جذوره وتزداد مهما تكرّر الحصاد! الشيوعية مبدأ ونظام، وإن كان مبدأً فاسداً ونظاماً معوجّاً، لا يقضي عليه إلّا المبدأ الصحيح والنظام الصالح. أمّا مقابلته بمبدأ مثله ونظام فاشل من شكله فلا يقضي عليه ولا يقطع جذوره، وقد تفشّت وانتشرت أوكار الشيوعية في العراق، حتّى دخلت على بيوت أهل الدين والزعماء الروحانيّين! الشيوعية وليدة المهلكات الثلاث: (الجهل، والفقر، والمرض)، هذه الأمراض التي يعانيها الشعب العراقي، وهي التى دفعته إلى ذلك الشذوذ والانقلاب الأعمى. كافحوا هذه الأدواء وعالجوها تموت جرثومة ذلك الداء قهراً».

الوقوف بوجه السفير الأمريكي

ولم تمض أشهر قلائل حتّى وقع اللقاء بين السفير الأمريكي (برتون بري) وبين الشيخ كاشف الغطاء ودار الحديث بينهما حول المساعدات الأمريكية للصهاينة المجرمين. فقال السفير الأمريكي مبرّراً هذه الإمدادات: «هذه أُمّة ضعيفة

ظلمها (هتلر)[١] وشرّدها من أوطانها، فأصبحت بلا وطن ولا مأوى، ونحن عادتنا الشفقة والرحمة، ننصر المظلوم ونعطف على الضعيف!».

فقطع سماحته كلام السفير، وقد ارتعش من شدّة التأثير والغضب، وقال: «تعساً وبؤساً لهذه الرحمة! تنصرون المظلوم بما هو أفظع ظلماً وأشدّ هضماً، ترحمونهم بأن تظلمونا، وتسكّنونهم في بيوتنا وتشرّدونا! هلّا أسكنتموهم في بلاد أمريكا وأراضيها الواسعة؟! ثمّ إذا كان من شيمتكم الانتصار للمظلوم فقد أصبح العرب اليوم هم المظلومون، فلماذا لا تنتصرون لهم وترجعونهم إلى أوطانهم، وها هي فرنسا حليفتكم وحليفة الإنجليز تصبّ صواعق الحديد الجهنمية على أحرار العرب في تونس والجزائر ومراكش ظلماً وعدواناً، فلماذا لا تنتصرون لهم وتمنعون فرنسا من هذا الظلم الفظيع؟!».

وفي موضع آخر قال السفير الأمريكي: «نحن كلّ سنة ندفع ملايين الدولارات لمساعدة اللاجئين الفلسطينيّين وإعاشتهم!»، فقال سماحته: «ولا كرامة! ولا جزيتم خيراً! أرجعوهم إلى بلادهم وأوطانهم، وأخرجوا قرّة عيونكم اليهود منها، ولا تدفعوا دولاراً واحداً لأيّ لاجئ، ولتبق دولاراتكم لكم وفي بلادكم، وكلّ ما تدفعونه ـ مهما كان ـ لا يساوي قرية واحدة من قرى فلسطين التي غصبتموها منهم، فضلاً عن المدن والعواصم، مثل حيفا وعكّا وأمثالها!».

ولمّا بلغ سماحة الإمام إلى هذه الصراحة في المحاورة ظهر التأثّر على

---

(١) الفوهرر أدولف هتلر: زعيم ألماني ورئيس دولة مشهور. ولد عام ١٨٨٩م بقرية نمساوية من أب يعمل موظّفاً على الحدود، وشارك في الحرب العالمية الأُولى متطوّعاً في الجيش الألماني، ودخل حزب العمّال الألماني، وبدأ نجمه بالسطوع عام ١٩٢٨م، وشكّل وزارته الائتلافية عام ١٩٣٣م، واستولى على الحكم، وهاجم بولندا عام ١٩٣٩م، ممّا ادّى إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية، ففشل في هذه الحرب وانتحر على أثر ذلك عام ١٩٤٥م، وأُحرق جثمانه بناءً على وصيته. (موسوعة السياسة ٧: ٦٣ ـ ٦٥).

السفير الأمريكي والانكسار، وقال: «لا لا، ولا كلّ هذا يا شيخ!»، ثمّ انقدحت في ذهنه فكرة بعد أن أجال بنظره على تسلسل الكتب ومراتبها لعلمه بمحتويات الكتب الأُصولية والفقهية والحديثية لعلماء الشيعة وما فيها من المطالب والموضوعات التي لا صلة لها بالمصطلحات الأمريكية من قريب أو بعيد، لهذا السبب قال: «إنّي دخلت إلى مكتبتكم هذه فأعجبتني، فهل فيها من الكتب ما هو ضدّنا؟!»، فقال له الإمام: «وما هو شأن الكتب؟ وما هو مقدار تأثيرها؟ بل القلوب كلّها ضدّكم، وتقطر دماً من فضاعة ضربتكم التي قصمتم بها ظهر العرب!»، فاضطرب السفير ولم يحر جواباً[١].

الحوار الذي دار بين الشيخ كاشف الغطاء والسفير الإنجليزي والأمريكي تمّ إعداده وطبعه بعنوان: «محاورة الإمام مع السفيرين»، وخرج إلى الأسواق، وقد نال عناية خاصّة من قبل الناس، ممّا أدّى إلى طباعته للمرّة الرابعة على التوالي في السنة نفسها.

وفي موضع آخر يتحدّث عن محنة فلسطين بقوله:

«... امتحنت فلسطين بمحنة الصهيونية منذ أربعين سنة، ومازالت تتقدّم والعرب والإسلام تتأخّر، وقد اقتحمت معاركها الأُولى، ولم أزل منذ عشرين سنة أقرع المنابر وأقرع الأسماع بالخطب النارية، وأنشر المقالات الملتهبة في الصحف وغيرها، وأهيب بالمسلمين، وأدعوهم إلى الوحدة وجمع الكلمة، وأنّ الإسلام بني على دعامتين (كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة)، وأصرخ الصرخات الداوية أن يصلحوا الوضع بينهم لإنقاذ فلسطين الدامية، وكنت من زمن بعيد أبثّ شجواي في أبيات، منها:

نهضت فقيل فتى فلمّا ... خبرت القوم طاب لي القعود
وإنّي بعد مجهدةٍ وقومي ... كضاربة وقد برد الحديد

---

(١) محاورة الإمام مع السفيرين: ١٦ ـ ٢٠.

وحيد بينهم ولعلّ يوماً عصيباً فيه يفتقد الوحيد
لنا في الشرق أوطان ولكن تضيق بنا كما ضاقت لحود
نقيم بها على فقر وذلّ ونظماً لا يساغ لنا ورود
مواعيد السياسة بيّنات تكيد بها السياسة من تكيد
وعود كلّها كذب وزور فكم وإلى مَ تخدعنا الوعود
إذا ما الملك شيّد على خداعٍ فلا يبقى الخداع ولا المشيد
إذا لم تبتنِ ملكاً صحيحاً فلا تغني الجيوش ولا البنود

ومن هذه الشعلة ثلاثة أبيات ذكرتها في مقدّمة الجزء الأوّل من مؤلّفنا «الدين والإسلام»[١] الذي طبع في مطبعة العرفان قبل ٣٨، سنة وهي:

فلا طلعت عليّ الشمس يوماً إذا عن مجد قومي لا أذود
أموت وقد بلوت النفس جهداً كما تحمي عرينها الأُسود
كذلك فلتكن للعرب نفس وإلّا ما الحياة وما الوجود

نعم، كنّا نعتزّ بذكر العرب ونرتاح بالانتساب إليهم، ثمّ دارت رحى الزمان، فصرنا نخجل من ذكر العرب والعروبة وما يشتقّ منها، ونودّ لو كنّا من الخزر والبربر ولم نكن من هذه الأُمّة، وانطبق علينا تماماً قول القائل:

ورثنا المجد عن آباء صدق أسأنا في ديارهم الصنيعا
إذا الحسب الرفيع تواكلته بناة السوء أوشك أن يضيعا

فلسطين قلب البلاد العربية تحقيقاً، تحفّ بها كالهالة مصر وبلاد المغرب وسوريا ولبنان والعراق والأردن والحجاز وأقطار الجزيرة، فإذا هلك القلب فما حال بقية الأعضاء؟!

ولا شكّ أنّ الوضع إذا بقي على هذا فلنا فلسطينات أُخرى في زمن قريب (لا سمح الله).

---

(١) الدين والإسلام ١: ١١٦.

ألا يخطر على بالكم قول الشاعر الفردوسي العربي حيث يقول:

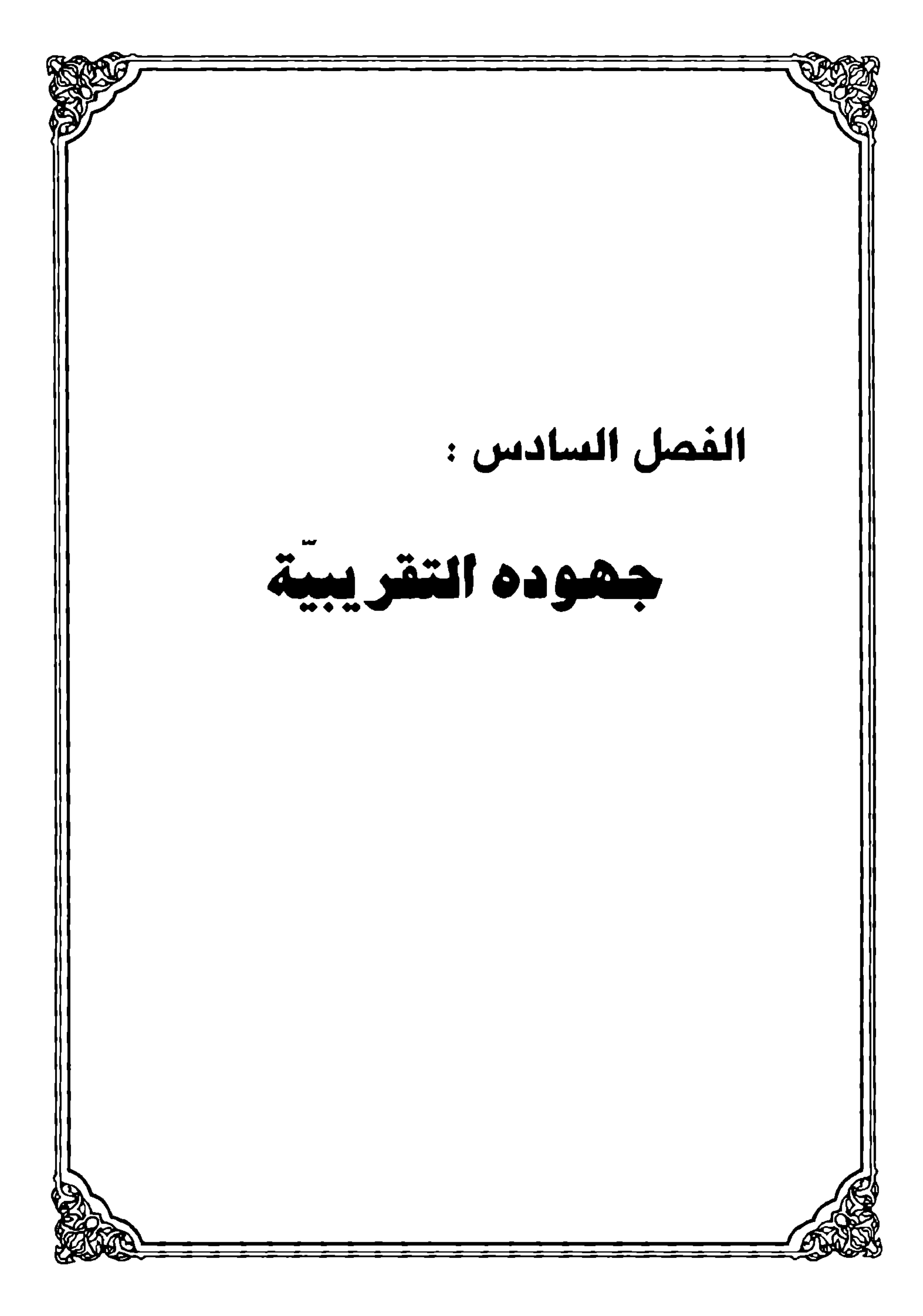
حثّوا رواحلكم يا أهل أندلس
ليس البقاء بها إلّا من الغلط
من جاور الشرّ لا يأمن عواقبه
كيف الحياة مع الحيّات في سفط
العقد يبترّ من أطرافه وأرى
عقد الجزيرة مبتوراً من الوسط

مصيبة المسلمين عظيمة، وأعظم منها أنّ المصائب من شأنها أن تنبّه الشعور، وتعطي لأهلها دروساً وعبرة، وتجمع الشمل وتوحّد الكلمة، أمّا مصيبتنا بفلسطين فما صنعت شيئاً من ذلك، وتلقّاها زعماء العرب وقادتها الذين ذبحت فلسطين على مذبح مطامعهم الدنية وجشعهم الخبيث. نعم، تلقّوها برحابة صدر وبرودة دم! وما كفاهم ذلك حتّى مكّنوا اليهود طائعين من البقية الباقية من أراضي فلسطين التي يسكنها الأُلوف من عرب المسلمين، وجعلوها عبيد اليهود، يعطون ﴿الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1]، وكانت أهالي فلسطين تأمل من ملوك العرب نصرهم، ويا ليتهم كفّوا شرّهم ولم يكونوا سماسرة للمستعمرين ومنفّذين لإرادتهم! وسوف يعلمون كيف تدور الدائرة عليهم: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[2]»[3].

(١) سورة التوبة ٩: ٢٩.

(٢) سورة الحجر ١٥: ٣.

(٣) جنّة المأوى: ١٢٩ ـ ١٣٣.



الفصل السادس :

جهوده التقريبيّة

دعا الشيخ ﷺ إلى المحافظة علىٰ حرّية المذاهب والأديان، حيث يقول: «إلى كلّ ذي حسٍّ وشعور يعلم أنّ المسلمين اليوم بأشدّ الحاجة إلى الاتّفاق والتآلف وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف وأن ينضمّ بعضهم لبعض كالبنيان المرصوص، ولا يدعوا مجالاً لأيّ شيء ممّا يثير الشحناء والبغضاء والتقاطع والعداء».

وقد بارك الشيخ وأثنى علىٰ كلّ خطوة تدعو إلى الاتّحاد والتقريب.

والشاهد علىٰ ذلك ما اقتطفناه من رسالته التي أرسلها إلى دار التقريب في مصر، حيث قال:

«فضيلة العالم الجليل الشيخ محمود شلتوت[1] أيّده الله: اطّلعت علىٰ كلمة لكم في بعض الصحف، كان فيها لله رضىً وللأُمّة صلاح، فحمدناه تعالى علىٰ أن جعل في هذه الأُمّة وفي هذا العصر من يجمع شمل الأُمّة ويوحّد الكلمة ويفهم حقيقة الدين ويزيد الإسلام لأهله بركةً وسلاماً. وما برحنا منذ خمسين عاماً نسعى

---

(١) الشيخ محمود شلتوت: فقيه مصري معروف. ولد سنة ١٣١٠ هـ بالبحيرة، وتخرّج بالأزهر، ونقل إلى القسم العالي للدراسات في القاهرة. كان داعية إصلاح نيّر الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد، وقد سعىٰ إلى إصلاح الأزهر، فعارضه بعضهم، وطرد هو ومناصروه، فعمل في المحاماة، وأُعيد للأزهر، فعيّن وكيلاً لكلّية الشريعة، ثمّ كان عضواً في لجنة كبار العلماء وفي مجمع اللغة العربية، ثمّ شيخاً للأزهر عام ١٩٥٨ م، إلى وفاته عام ١٩٦٣ م. له (٢٦) مؤلّفاً مطبوعاً، منها: التفسير، القرآن والمرأة، هذا هو الإسلام، فقه السنّة، الدعوة المحمّدية، الفتاوى، الإسلام والوجود الدولي. (الأعلام للزركلي ٧: ١٧٣، الأزهر في ألف عام ١: ٣٣٩ ـ ٣٤٧ و٢: ٣٨٨ ـ ٣٩٠ و٣: ١٧٤ ـ ١٧٥، ٤٤٣ ـ ٤٤٤، معجم المفسّرين لنويهض ٢: ٦٦٣).

جهدنا في التقريب بين المذاهب الإسلاميّة وندعو إلى وحدة أهل التوحيد».

والشاهد الآخر هو موقفه من مؤتمر القدس الذي ضمّ علماء المسلمين، حيث قال:

«... ودبّت في نفوس المسلمين تلك الروح الطاهرة، وصار يتقارب بعضهم مع بعض ويتعرّف فريق لفريق، وكان أوّل بزوغ لشمس تلك الحقيقة ونموّ لبذر تلك الفكرة ما حدث بين المسلمين قبل بضعة أعوام في المؤتمر الإسلامي العامّ في القدس الشريف من اجتماع ثلّة من كبار المسلمين وتداولهم في الشؤون الإسلاميّة».

وكذلك طلب الشيخ ﷺ من المفكّرين والعلماء والمثقّفين أن يبحثوا بحثاً علمياً موضوعياً بعيداً عن كلّ التراكمات وردود الفعل النفسيّة التي خلقتها الفرقة المذهبيّة، وكذلك طلب منهم أن يعملوا بكلّ جدٍّ وإخلاص علىٰ تهدئة الجوانب العاطفيّة المتأجّجة في المجال الشعبي التي تقف أمام الخلافات بحدّة، وأن يوضّحوا للأُمّة أنّ الخلافات ما هي إلّا اجتهادات اقتنع بها كلّ مجتهد من خلال اجتهاده، والمجتهد قد يخطئ وقد يصيب.

ومن أقواله وكلماته في الوحدة والتقريب:

* «إنّ الاتّفاق والاتّحاد ليس من مقولة الأقوال، ولا من عالم الوهم والخيال، ويستحيل أن توجد حقيقة الاتّفاق والوحدة في أُمّةٍ ما لم يقع التناصف والعدل بينها بإعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه، والمساواة في الأعمال والمنافع، وعدم استئثار فريق علىٰ آخر».

* «قد بني الإسلام علىٰ دعامتين: توحيد الكلمة، وكلمة التوحيد، توحيد الخالق، وتوحيد بين الخلائق»[١].

---

(١) معجم الاستشهادات: ٥٩٣.

* «تربط الأُمّة الإسلاميّة ثلاث أواصر: إله واحد، وكتاب واحد، وقبلة واحدة».

بل قد ترقّى كلامه ليشمل حتّى الوحدة بين المسلمين وغيرهم من الكتابيّين، حيث يقول:

«وحدة الإيمان تدعو إلى وحدة اللسان، ووحدة اللسان واللغة رابطة، والرابطة إخاء، وأُخوّة الأدب فوق أُخوّة النسب، وهي التي توحّد العناصر المختلفة والمذاهب المغايرة، فالنصراني واليهودي والمجوسي والصابئي الذين يخدمون لغتنا وثقافتنا ويسالموننا ويواسونا في السرّاء والضرّاء ولا يساعدون الأعداء علينا ويحامون أوطاننا، هم إخوان المسلمين، وداخلون في ذمّتهم، ويلزمهم حمايتهم، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم».

وقد التقىٰ الإمام كاشف الغطاء علماء مصر والشام والمغرب العربي وإيران والهند وباكستان والحجاز والخليج العربي، فأقام العلاقات الودّية والأخوية بين الجميع، وخفّف من النزعات اللاإنسانية، وعرّف الأُمّة بحقيقة الإسلام بعيداً عن المنحىٰ الطائفي والتعصّب العرقي أو المذهبي، وبذلك أوجد المناخ الائتلافي بين مختلف طبقات الشعوب العليا من الأفذاذ والأكابر، بل هو يصرّ ويلحف في المواصلة والمبادرة والمناجاة في القول والعمل والرسائل والكتب، ونماذج ذلك كثيرة جدّاً، نورد هنا نماذج منها علىٰ سبيل المثال:

رسالة الإمام كاشف الغطاء للشيخ الإبراهيمي:

كان الشيخ الإبراهيمي[1] كبير علماء الإسلام في الجزائر المناضلة، وقد

(١) محمّد البشير الإبراهيمي: مفكّر ومصلح جزائري. ولد في ولاية سطيف سنة ١٨٨٩م، ←

اجتمع به الإمام كاشف الغطاء عدّة مرّات في عدّة مؤتمرات، فأحبّ تجديد الصلة، فاستغلّ حلول عيد الفطر المبارك، فأرسل إليه بالرسالة الهادفة التالية، وذلك قبل وفاته بأكثر من سنة قليلاً، وفيما يأتي نصّ هذه الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد

أخي العزيز أخي في الله داعية الحقّ وناصر الحقيقة ورافع راية الإسلام العلّامة الأُستاذ الكبير محمّد البشير الإبراهيمي (دامت بركاته):

سلام الله الأسنىٰ وتحيّاته المباركة الحسنىٰ، يحملها أثير الإخلاص المثار من حصباء النجف إلىٰ الجزائر ذات البصائر[1] عبر البحار علىٰ بريد الأشواق من العراق في الشرق الأدنىٰ إلىٰ المغرب الأقصىٰ، إلىٰ إخواني حملة مشاعل الدين، ومصابيح الهدىٰ، وأعلام المسلمين من هيئة العلماء وغيرهم.

أخي وردني كتابك العزيز المؤرّخ ٣ شوّال من بغداد، الكتاب الذي غفل فيه كاتبكم اللامع عن البداءة فيه بسم الله العظيم، وكلّ أمر ذي بال لم يبدأ ببسم الله فهو أقطع، وهذه وإن كانت صغيرة قد لا تستحقّ الذكر، ولكن تسامحنا في الصغائر جرّنا إلىٰ إهمال الكبائر أو ارتكاب الكبائر (لا سمح الله)، وإنّي أشكر تهانيكم وأسأله (تعالىٰ) أن ينجح مساعيكم، ويبارك في أيّامكم ولياليكم، ويجعله عيداً سعيداً لكم ولعموم المسلمين، ولا سعادة لهم إلّا بالاتّفاق وتوحيد الكلمة، ومن

← وتابع تحصيله في المشرق، وأسّس سنة ١٩٣١م جمعية العلماء الجزائريّين مع ابن باديس. أُرغم على الإقامة الجبرية في أفلو سنة ١٩٤٠م، وبعد إطلاق سراحه أعاد إصدار صحيفة «البصائر»، وأسّس معهد ابن باديس، وأقام في مصر حتّى حصول الجزائر على استقلالها. توفّي في الجزائر سنة ١٩٧١م. (موسوعة السياسة ٦: ٧٧).

(١) كان البشير الإبراهيمي يصدّر صحيفة «البصائر» في الجزائر لسان حال جمعية العلماء الجزائريّين.

كلماتي المؤثرة ما قلته في مؤتمر فلسطين قبل أكثر من عشرين سنة: إنّ الإسلام بني علىٰ دعامتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

ولو أنّ المسلمين تدبّروا آية واحدة من كتاب الله العظيم، وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[1]. لو تدبّروها لكفتهم حافزاً علىٰ جمع الكلمة وعدم التأثّر بالخلافات المذهبية والنعرات الطائفية.

أترىٰ ـ يا أخي ـ يأتي الله بيوم للمسلمين يجمع به كلمتهم ويحقّق وحدتهم، فيكون شيعة واحدة أو سنّة واحدة أو السنّة والشيعة متّفقة ؟! ذاك ما أتمنّاه. وما هو علىٰ الله بعزيز.

انشر عنّي هذا إن رأيت فيه خيراً للمسلمين، انشره في بصائركم النيّرة، وبلّغ تسليماتي الصحيحة ودعواتي الصالحة المباركة إلىٰ كلّ فرد من جمعية العلماء عندكم، وخاصّة كتّاب تلك الصحيفة الغرّاء، شاكراً معروفهم بإهدائها إلىٰ مكتبتنا العامّة في النجف الأشرف التي ينتهل من نميرها كلّ صادر ووارد من عطاشىٰ الفضيلة، وحياة العلم أرفع وأنفع من حياة الجسم. نسأله تعالىٰ أن يمدّكم بروح منه، ويمنحكم وصحيفتكم عمراً طويلاً وعلماً غزيراً ونشاطاً وقوّة، وهي تصلنا ـ بحمد الله ـ تباعاً، فنجدها تمرة الغراب وتخفّف عنّا لوعة البعد والاغتراب.

علىٰ أنّه إن كانت الأجسام قد بعدت، فقلوب أهل العلم تأتلف، ولربّ مفترقين قد جمعت قلبيهما الأقلام والصحف.

عرّفني وصولك بالسلام إلىٰ وطنك العزيز إن شاء الله، ولا تقطع عنّي في البرهة بعد البرهة مراسلتك، فالمراسلة ـ كما يقولون ـ نصف المواصلة، وإذا كانت

---

(١) سورة الأنعام ٦: ٦٥.

العبرة بالأرواح لا بالأشباح، فهي كلّ المواصلة، فاسلم للإسلام وللمسلمين ولأخيك.

المخلص
محمّد الحسين آل كاشف الغطاء
١٦ شوّال ١٣٧٢
من مدرستنا العلمية بالنجف الأشرف»

وأنت تلاحظ هدف هذه التحيّة في عمقها الرسالي، ونقطة البدء الدلالي في دعوتها إلىٰ الوحدة والتفاهم، ومشروعية إيحاءاتها الخارجية في المحبّة واللقاء والودّ[١].

رسالة الإمام كاشف الغطاء لأحد الكتّاب المصريّين:

«بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد.

حضرة الأُستاذ النبيل الدكتور عبداللطيف حمزة[٢] (زاد الله توفيقه).

سلام وتحية..

وردنا كتاب من بعض شبابنا النجيب المهاجرين لارتشاف مناهل العلوم في بلادكم الكريمة، لا لأنّ بلادهم جافّة من تلك المناهل، ولكن للهجرة معناها وقيمتها، ولا سيّما طلب العلم.

نعم، كتب أنّكم عازمون على تأليف كتاب في الحركة الفكرية في مصر إبّان

(١) لاحظ أساطين المرجعية العليا: ١٩٥ ـ ١٩٧.

(٢) الدكتور عبداللطيف هو أُستاذ في كلّية الآداب بجامعة الملك فؤاد الأوّل في القاهرة، وقد ألّف كتاباً باسم: «الحركة الفكرية في مصر».

الدولتين الأيّوبية والمملوكية، وقلتم له: إنّكم تريدون أن تنصفوا الشيعة ـ ومنهم الفاطميّون ـ في كتابكم هذا، وحبّذا لو صحّت الأحلام وانقشع الغمام! فإنّ هذه الطائفة لا تزال مجهولة القدر مهضومة الحقّ عند سائر فرق المسلمين، ولا سيّما عند إخواننا المصريّين، فإنّهم يرونهم بعين الشنآن، ولهذه الدعوى شواهد كثيرة لا مجال لذكرها، ويكفي ما ينشره رجالهم كأحمد أمين وأقرانه في مؤلّفاتهم، ولعلّ نظركم وقع على مؤلّفنا الوجيز: «أصل الشيعة وأُصولها» وما ألمعنا فيه إلى هذه القضية، ثمّ ذكر الشابّ أنّكم تريدون الجواب على هذا السؤال، وهو:

إلى أيّ حدّ نعتبر باب الاجتهاد مفتوحاً أمام علماء الشيعة الإمامية؟ وما مسافة هذا الاجتهاد؟ وما نوعه؟ وما تأثيره على الفقه الشيعي؟ وهل حرّيتهم الفكرية المعروفة عنهم مطلقة بالمعنى الصحيح، أم هي مقيّدة تقييداً كبيراً بمذهبهم؟ وقلتم: هذا ما أنتظر الجواب عليه راجياً أن يتأيّد هذا الجواب بالأدلّة الكافية والنصوص الواضحة.

وحيث إنّ الجواب عن هذه الأسئلة على اختصارها إن كان بنحو الإجمال ربّما لا يروي الغلّة ولا يحصل به غرضكم، وإن كان بنحو البسط والاستيفاء وإعطاء الموضوع حقّه احتاج إلى تأليف رسالة أو كتاب لا يتّسع له وقتنا وحالنا، لذلك أرسلنا لكم مع البريد بتوسّط الشابّ المشار إليه وأحد تلامذتكم والمنوّهين عن فضلكم الجزء الأوّل من «سفينة النجاة»، فإنّكم تجدون في صدرها مباحث وافية وكافية لإرواء ظمئكم إلى ورود تلك الشرائع، وجواب تلك الأسئلة، مع إشارة إلى بعض الأدلّة أو المهمّ منها في تلك المواضيع والإيماء إلى مادّة تلك الينابيع، فإذا سهّل الباري جلّ شأنه وصول الكتاب إليكم وأعطيتموه حقّه من المطالعة والنظر، وجدتموه وافياً بغرضكم، فذاك هو الأمل، وإلّا عرّفونا ما يسنح لكم من سؤال أو إشكال تجدونا عند رغبتكم إن شاء الله.

ومع ذلك فلا يعوقنا شيء عن الجواب الوجيز والإيماء الوامض الذي يدلّكم على بعض الناحية المهمّة في سؤالكم أو كلّها.

١ ـ يعتبر باب الاجتهاد مفتوحاً أمام فقهاء الإمامية بغير حدّ من ناحية المجتهد إلّا حدود تحقيق شرائطه وأهليّته من أيّ عنصر كان، وفي أيّ بلد أو زمان يكون، وإلى أيّ نحلة من نحل الإسلام ينتسب، فهو من هذه الناحية حرّ طليق لا يتقيدّ إلّا بنفسه وتحقّق ذاته.

٢ ـ وأمّا مسافته فهي كذلك غير محدودة، لا في أوّل ولا آخر، بل مستمرّة مادام التكليف وما بقيت العقول التي هي الحجّة الكبرى للخالق على المخلوق وللمخلوق على الخالق، وهي ثابتة في كلّ زمان ومكان، وفي عامة الشرائع والأديان.

٣ ـ وأمّا نوعه فهو من العلوم النظرية الفكرية الاستقلالية، وليس من العلوم الآلية، وهو مقدّمة للعمل، وليس تحقّقه منوطاً به، بل هو ملكة نفسية كسائر العلوم والفنون، ولا تكون ملكة راسخة إلّا بعد الممارسة والمزاولة، وسبر الأدلّة، واستحضار القواعد العامّة، والإحاطة بالأشباه والنظائر. وهو أحوج ما يكون إلى ذهن نافذ، وفهم وقّاد، وذوق سليم، واعتدال سليقة، واستقامة طريقة، ومعرفة بالأُمور العرفية يستطيع بها تطبيق الأُصول للفروع واستنباط حكم الجزئي من الدليل الكلّي. ويستحيل عادة أو حقيقة هذه الملكة ـ أعني: ملكة الاجتهاد ـ للبليد والرجل العادي، ولذا قالوا: إنّ الاجتهاد نور يقذفه الله في قلب من يشاء.

وأنا أقول: نعم، هو نور، ولكن لا يقذفه الله في قلب أحد جزافاً، وإنّما ينفحه به بعد طول الكدّ والجدّ والتعب والعناء، وإن نقل عن بعض الأساطين أنّ ملكة الاجتهاد حصلت لهم قبل البلوغ، وهو إن صحّ فمن النوادر والشواذ.

٤ ـ هل حرّيتهم الفكرية مطلقة بالمعنى الصحيح، أم هي مقيّدة تقييداً كبيراً بمذهبهم؟

قد أشرنا إلى أنّ الاجتهاد لا يتقيّد بمذهب من المذاهب، فهو مطلق من هذه

الناحية. ولكن الاجتهاد الصحيح الذي يجوز للمجتهد أن يعمل به وللمقلّد أن يأخذ به ويرجع إليه مقيّد بأن يكون على مذهبهم ومن السنّة المعتبرة عندهم.

مثلاً: الأحناف قد يفتون على ما يقتضيه القياس والمصالح المرسلة، وهذا لا يجوز عند الإمامية أصلاً، بل لابدّ من الاستناد إلى الكتاب أو السنّة المعتبرة عندهم، أو العقل القطعي البديهي، لا الظنّ أو الاستحسان، وحتّى أنّ مراجعهم العليا في الحديث ـ وهي الكتب الأربعة المشهورة: «الكافي» و«التهذيب» و«الاستبصار» و«من لا يحضره الفقيه» ـ مع جلالة قدرها وعظمتها عندهم، فهم لا يعملون بكلّ حديث فيها، بل يمحّصونه ويفحصونه ويجتهدون في سنده ومتنه، فقد يقبله مجتهد حسب اجتهاده، وقد يردّه آخر لعيوب يجدها فيه أو معارض أقوى حسب اجتهاده أيضاً.

ومن هنا تعرف حرّيتهم الفكرية كيف ترامت إلى أمد بعيد قد تجاوز الحدود واخترق التخوم، ومنه تعرف أيضاً تأثير انفتاح باب الاجتهاد على الفقه، فإنّ هذا الانفتاح قد شحذ أذهانهم، وفتق قرائحهم، وفتح لهم مدائن واسعة في الفروع والأُصول، يعرف ذلك جلياً من راجع مؤلّفاتهم في الفقه والأُصول، من المتقدّمين والمتوسّطين والمتأخّرين.

ولولا انحراف الصحّة، وضعف القوى، وسوء ملكة العلل والأسقام لنا ساعه كتابتي هذه، لذكرت نبذة وافية من الشواهد على ما كان له من التأثير على الفقه الشيعي، بل قد تجاوز ذلك إلى تأثيره على الأدب العربي والشعر البديع، فقد كان لأكثر فقهائنا ـ حتّى من غير العرب ـ نصيب من الأدب العالي والشعر الرائق والمؤلّفات النفيسة في أنواع علوم العربية حتّى متن اللغة، ولو نظرت إلى «طراز اللغة» للسيّد علي خان[1] صاحب «السلافة» الذي هو ـ وإن لم يكمل ـ أضعاف

(١) صدر الدين علي خان بن أحمد بن محمّد معصوم المدني الشيرازي: عالم فاضل، وأديب

«القاموس»، نعم، لم نظرته لرأيت العجب من تلك السعة والإحاطة وحسن الذوق.

والخلاصة: أنّ انفتاح باب الاجتهاد لم يؤثّر على الفقه عندهم فقط، بل له تأثيره البليغ في سائر العلوم حتّى الحساب والهندسة والفلك وما إليها. وإذا أردت أن تعرف الفرق بين فقههم وفقه بقية المذاهب الإسلامية فمن الجدير أن تسيم نظرك في مؤلّفنا الجديد الذي فرغنا من تأليفه وطبعه العام الماضي، وهو كتاب «تحرير المجلّة»[١] في خمسة أجزاء، الأربعة الأُولى منه في العقود والمعاملات والالتزامات والضمانات والقضاء والمرافعات، والخامس في ما يسمّونه اليوم بالحقوق الشخصية الذي استدركناه على أرباب المجلّة.

وهذا البيان الوجيز وفق ما أمكن لا وفق ما يلزم، ولا زلتم موفّقين لخدمة المعارف بدعاء الأب الروحي»[٢].

رسالة شكر إلى الأُستاذ أحمد محمّد شاكر المصري:

أهدى الأُستاذ أحمد محمّد شاكر[٣] الحاكم الشرعي في مصر نسخة من كتابه

← شاعر. ولد عام ١٠٥٢ هـ في المدينة المنوّرة، ونشأ وترعرع بجوار مكّة المكرّمة، وطلب العلم فبرع فيه، وسافر كثيراً، حتّى استقرّ بشيراز، حتّى وفاته عام ١١٢٠ هـ. من مؤلّفاته. سلافة العصر، رياض السالكين، الدرجات الرفيعة، أنوار الربيع، الحدائق الندية. (أمل الآمل ٢: ١٧٦، رياض العلماء ٣: ٣٦٣ ـ ٣٦٧، هدية العارفين ١: ٧٣٢).

(١) قد حقّقت ـ والحمد لله ـ هذا الكتاب القيّم بنشر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة.

(٢) جنّة المأوى: ٢٨٠ ـ ٢٨٤.

(٣) أبو الأشبال شمس الدين أحمد بن محمّد شاكر بن أحمد بن عبدالقادر الحسيني: محدّث مفسّر فقيه أديب. ولد عام ١٨٩٢م بالقاهرة، ورحل مع والده إلى السودان، فألحقه بكلّيّة غوردون، ثمّ بمعهد الإسكندرية، فأخذ فيه عن محمود أبي دقيقة، والتحق بالأزهر وحاز ←

الفقهي: «نظام الطلاق في الإسلام» إلى الشيخ كاشف الغطاء، فبعث إليه الشيخ رسالة شكر وتقدير، ولفت انتباهه إلى جملة من الملاحظات العلمية على كتابه هذا.

المهمّ أنّ الشيخ رحمه الله أشاد بجهود هذا الكاتب السنّي ومحاولته الرائدة في خلق وابتكار أثر علمي من هذا القبيل من دون أدنى تعسّف أو تعنّت أو نزعة مذهبية مقيتة.

وممّا ورد في رسالة الشيخ للأُستاذ أحمد محمّد شاكر قوله: «وصلتني هديتك الثمينة «رسالة نظام الطلاق في الإسلام»، فأمعنت النظر فيها مرّة بل مرّتين إعجاباً وتقديراً لما حوته من غور النظر ودقّة البحث وحريّة الفكر وإصابة هدف الحقّ والصواب، وقد استخرجت لباب الأحاديث الشريفة، وأزحت عن محيّا الشريعة الوضّاءة أغشية الأوهام، وحطّمت قيود التقاليد القديمة وهياكل الجمود بالأدلّة القاطعة والبراهين الدامغة، فحيّاك الله وحيّا ذهنك الوقّاد وفضلك الجمّ».

وقد قام الأُستاذ محمّد شاكر بنشر النصّ الكامل لرسالة الشيخ كاشف الغطاء في مجلّة «رسالة الإسلام»، وفي معرض ردّه على رسالة الشيخ انبرى قائلاً: «ومن أشرف ما وصل إليّ وأعلاه كتاب كريم من صديقي الكريم وأُستاذي الجليل شيخ الشريعة وإمام مجتهدي الشيعة بالنجف الأشرف العلّامة الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء».

إبطال العادات المزعجة في العشرة الأُولى من شهر ربيع الأوّل للحيلولة دون المساس بمشاعر أبناء السنّة

كانت بالنجف وكربلاء وغيرهما من بلاد العراق وقراه عادة من أسوأ العادات

← شهادة العالمية منه، وعيّن مدرّساً بمدرسة ماهر، فموظّفاً قضائياً، فقاضياً، فعضواً في المحكمة العليا. أخذ عن: عبدالله بن إدريس السنوسي، ومحمّد بن الأمين الشنقيطي، وشاكر العراقي، وغيرهم. حقّق ونشر عدداً من كتب الحديث والفقه والأدب. من آثاره: نظام الطلاق في الإسلام، الشرع واللغة، الباعث الحثيث، محمّد شاكر. توفّي بالقاهرة سنة ١٩٥٨م. (الأعلام للزركلي ١: ٢٥٣، معجم المؤلّفين ١٣: ٣٦٨).

يعمل فيها العوام والجهلة أفظع المنكرات جهاراً، وهي العشرة الأُولى من ربيع الأوّل، حيث يضربون فيها (الطرقات والمفرقعات) التي تشبه أصواتها المزعجة أصوات المدافع في الأزقّة والشوارع وبين أرجل العابرين، وأكثر ما يقع الضرب في الصحن الشريف وعلى قبور العلماء وعند رأس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويسمّون هذه الأيّام تاسع ربيع وعيد الزهراء، وبزعم أوباشهم أنّ كلّ منكر فيها جائز، ويؤذون الغرباء من طلّاب العلم وأهل المدارس بكلّ إهانة واستخفاف، وقد استمرّت هذه العادة السيّئة منذ عشرات السنين بل المئات حتّى تمكّنت، وفي كلّ سنة يزداد شرّها وويلاتها، ويشترك الرجال والأطفال والنساء في التكالب عليها والعمل بها، ولا يستطيع أحد من أهل العلم والصلاح معارضتها وإنكارها والردع عنها.

فلمّا رأى سماحته أنّ البلاء قد تعاظم وتفاقم وأنّه مسؤول عند الله بسكوته، استشار بعض السادة الأبرار والمؤمنين الأخيار في تصدّيه للمنع عنها، فأنكروا عليه أشدّ الإنكار، وقالوا: «هذه عادة تمكّنت من نفوس هؤلاء الرعاع من عهد بعيد، ولا يمكنهم الإقلاع عنها، نحن نخشى لو صعدت المنبر لتمنعهم عنها أن يرمون بالطرقات وأنت على المنبر وتكون البلية أعظم!» فقال: «إنّي متوكّل على الله وأُضحّي بنفسي، فإن نجحت فلله الحمد والمنّة، وإلّا أكون قد أعذرت وخرجت من المسؤولية، وسأصعد المنبر في الصحن الشريف عصر اليوم الثالث أو الرابع من ربيع الأوّل، وأتكلّم في ذلك». فصعد المنبر وخطب زهاء ساعتين والصحن مشحون بالمستمعين من مختلف الطبقات، فكان له من التوفيق في سحر البيان وبليغ الخطاب أن اقتنع الجميع بضرر هذه الأعمال وحرمتها، وانقلعت جذور هذه العادة السيّئة من أساسها، وماتت بكلّ شؤونها، ولم يبق لها أيّ أثر. وليس هذا التأثير الخطير والنفوذ البليغ على النفوس المستعصية والقلوب المتحجّرة لكونه عالماً فقيهاً أو مرجعاً

مقلّداً، كلّا، فالعلماء كثير، ولكنّها موفّقية ومنحة اختصّه الله بها، ولعلّها منبعثة من صدق الإخلاص والاتّصال بالمبدأ الأعلى والانقطاع إليه، فيفيض من ينابيع ألطافه ما يفيض عليه[١].

المؤتمر الإسلامي العالمي:

لم تكن فلسطين مثخنة بالجراح بعد، ولم يخطر على بال أبنائها أنّ بلادهم ستتعرّض للاحتلال من قبل الصهاينة في السنين المقبلة، فقرّر عدّة من علماء السنّة في فلسطين أن يعقدوا مؤتمراً يشترك فيه علماء الفرق الإسلامية، ممّا دعاهم لأن يوجّهوا دعوة لعلماء الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية والوهّابية والنواصب والخوارج والإسماعيلية والزيدية والشيعة الاثني عشرية للاجتماع في فلسطين؛ ليدلوا بكلماتهم وخطاباتهم في هذا المؤتمر، كما وجّهت دعوة إلى مجموعة من الشخصيات السياسية والأدبية المسلمة، وحدث ذلك سنة ١٣٥٠ هـ، وهي السنة التي توفّي والد الشيخ كاشف الغطاء في أوائلها، فوردت إليه الدعوة من المجلس الأعلى في فلسطين لحضور المؤتمر الإسلامي ليلة المبعث، وسار ليلة أوّل رجب، وضربت الخيام خارج النجف، وخرج العلماء والأفاضل وجميع الطبقات لمشايعته، وسارت معه أكثر من ثلاثين سيّارة إلى بغداد، ونزل الحسينية الكبرى والكرخ. وبعد ثلاث ليالي خطب خطبة ارتجالية استغرقت ثلاث ساعات، وبحفل حاشد سار إلى القدس، فاستقبله سماحة المفتي وجميع العلماء والأعيان، ونزل في تكية البخارية التي يتولّاها الشيخ يعقوب البخاري، ثمّ تتابع مشاهير علماء الإسلام الذين دعتهم اللجنة التحضيرية للمؤتمر من الأقطار الإسلامية من الشرق والغرب، وبالأخصّ من مصر والشام ولبنان وبغداد والهند والحجاز واليمن وإيران، كالعلاّمة السيّد حبيب العبيدي مفتي الموصل، والسيّد محمّد زيارة ممثّل إمام اليمن، والسيّد محمّد رشيد

(١) محاورة الإمام مع السفيرين: ٣٨ ـ ٤٠.

رضا صاحب تفسير «المنار»، والمرحوم الشيخ نعمان الأعظمي[١]، وبهجة الأثري، والواعظ حسن رضا، وفخامة ضياء الدين الطباطبائي رئيس وزراء إيران سابقاً، وشوكت علي الهندي، والشاعر الشهير إقبال اللاهوري، وغير هؤلاء من أعلام علماء الإسلام. وقد بلغ عدد أعضاء المؤتمر زهاء مائتين. ثمّ تواردت الوفود من قبائل فلسطين والأردن والعواصم الكبرى، حتّى بلغ عدد الجميع سبعين ألفاً، اجتمعوا كلّهم في المسجد الأقصى، وامتدّت صفوف المصلّين إلى خارجه. وبعد الفراغ من صلاة المغرب ارتأى كبراء ذلك الحفل أن يرقى المنبر أحد أعضاء الوفد ويخطب في ذلك الجمع ويشغل فراغ الوقت بين المغرب والعشاء. وبعد المداولة وقع الاختيار على سماحة الإمام. فأتاه سماحة المفتي الحسيني[٢] ومفتي نابلس الشيخ محمّد تفّاحة، وكان من أكبر علماء فلسطين سنّاً وشهرةً وصلاحاً لله، ومعهما المراقب في المسجد الأقصى، وطلبوا من الشيخ أن يصعد المنبر ويخطب، فلم يجد بدّاً من الإجابة. فرقى المنبر، وذلك الحفل الحاشد كلّه أبصار شاخصة إليه وآذان صاغية له. والحقّ أنّه موقف رهيب يخرس من هيبته كلّ خطيب، ولكن لانقطاعه

---

(١) نعمان بن أحمد بن إسماعيل الأعظمي العبيدي: خطيب مدرّس، من كبار الوعّاظ المعاصرين في العراق. ولد سنة ١٨٧٦م في الأعظمية ببغداد، ونشأ بها، وتولّى التدريس في مدرستها الرسمية، ثمّ أنشأ مجلّة «تنوير الأفكار»، واعتقله الإنجليز سنة (١٩١٧م - ١٩١٩م)، وأُطلق سراحه، فعيّن مدرّساً في كلّية الإمام الأعظم، فمديراً لها، وكان هو الساعي في إنشائها، وأُضيف إليه منصب واعظ العراق. توفّي ببغداد سنة ١٩٤٠م. له تآليف، منها: إرشاد الناشئين، التاريخ العامّ. (الأعلام للزركلي ٨: ٣٥).

(٢) الحاجّ أمين الحسيني: زعيم وطني فلسطيني. ولد عام ١٨٩٦م، وتخرّج من الكلّية الحربية بإسطنبول، وانضمّ إلى الجيش الشريفي إبّان الحرب العالمية الأُولى، وشارك في ثورة القدس عام ١٩٢٠م ضدّ الإنجليز، وصدرت أحكام غيابية بحقّه، وانتخب عام ١٩٢١ مفتياً لبيت المقدس. حاولت السلطات البريطانية إلقاء القبض عليه عام ١٩٣٧م بتهمة التحريض على الثورة، ففرّ إلى لبنان فالعراق، حيث لعب دوراً مهمّاً في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م، ثمّ فرّ إلى روما وبرلين أثناء الحرب الكونية الثانية. أقام في لبنان وأصدر مجلّة «فلسطين». توفّي عام ١٩٧٥م. (موسوعة السياسة ١: ٣٣٥).

إلى الله جلّ شأنه وطلب المعونة منه أفاض الله عليه، ففتح خطبته بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[١]، واستمرّ يفيض بسحر البيان حول قوله عزّ شأنه: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، وذكر أنواع البركة، وشرحها شرحاً وافياً، ثمّ قال: «ومنها هذا الاجتماع الخطير من الحجم الغفير من مختلف الأقطار النائية، والذي لم يخطر على البال ولم يقع في التصوّر، وأستوفي ما هو الغرض منه، وما الهدف الذي يرمي إليه، والآثار التي ترتّبت عليه»[٢]. ومضى قائلاً: «﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٣]. لا أزال منذ تحرّكت من العراق في هذا السبيل الذي لا شكّ أنّه سبيل من سبل الجهاد في سبيل الله، بل وفي هذه الأيّام الستّة أو السبعة التي انعقد فيها هذا المؤتمر المبارك وتداول البحث فيه أعضاؤه المحترمون في مواضيع شتّى وقضايا مختلفة، أُعمل فيها النظر الدقيق والفكرة العميقة، كما أنّي لا أزال منذ ليلة الإسراء ومشاهدة ذلك الحشد الرهيب والجمع المبارك أتراوح بين كفّتي الخوف والرجاء، وأتقلّب على كفّي التفاؤل والخوف، أتوجّس خيفة وأتفاءل خيراً. أمّا تفاؤلي خيراً فلأنّي رأيت في ذلك الاجتماع المبارك أمراً إن كانت المعجزة ما يكون خارقاً للعادة فذاك الاجتماع من أكبر المعجزات من نوعه، ولا شكّ أنّ من منحنا هذه المعجزة بعد وشيك اليأس والقنوط سوف يمنحنا روحاً منه نصل به إلى الغايات المقدّسة التي اجتمعنا من أجلها. وممّا يزيد الثقة بالفوز أنّ كلّ واحد منّا عند تشرّفه بزيارة هذا المسجد ومشاهدة هذه الأثريات الثمينة بأُمّ عينه، قد انبعثت فيه روح جديدة، هي روح المفاداة وروح الغيرة وروح التضحية وروح الحفيظة على هذه الخزائن والكنوز التي أورثها ذلك السلف لهذا الخلف. وأظنّ أنّكم ـ أيّها الأعلام ـ تعلمون أكبر منّي أنّ

(١) سورة الإسراء ١٧: ١.

(٢) محاورة الإمام مع السفيرين: ٥٤ ـ ٥٧.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ١٧ ـ ١٨.

هذا الفنّ الباهر والصنع العبقري الذي يحدّث من رأه بما كان لهم من عظيم القدرة ومنيع السلطان لا يوجد شيء منه في بلاد الغرب مهمّا بلغوا اليوم من الحول والقوّة والحضارة والمدنية. فلا ريب أنّ كلّ واحد منّا قد توقّدت في قلبه شعلة من الغيرة ومقباس من الحفيظة. تبعثه على ما يجب عليه من الدفاع عن هذه المقدّسات بكلّ وسعه وجهد إمكانه. بل ويوقد في قلب غيره من المسلمين النائين مثل ما في قلبه. حتّى يندفع الجميع على العمل، ولا نكون مصداق قول القائل:

ورثنا المجد عن آباء صدق أسأنا في ديارهم الصنيعا
إذا الحسب الرفيع تواكلته بنات السوء أوشك أن يضيعا

وزد على ذلك فيما يبعث الأمل ويحيي الرجاء ما شاهدناه من اجتهاد الأعضاء المحترمين وحرصهم على تسيير هذا المؤتمر على المناهج القويمة والأساليب الصحيحة التي يتمكّن بها من صحّة الإنتاج وسمو النتائج.

ولكن كلّ تلك البوادر المبشّرة والظواهر المنعشة لم أجدها كافية في دفع مساورة الخوف عن نفسي وتهاجم الوساوس على خواطري؛ لأُمور منها:

١ ـ إنّنا معاشر الشرقيّين والمسلمين على الأخصّ (حاشا أُخواني الحاضرين) وإنّما أعني نفسي وأمثالها. يعوزنا الثبات والاستقامة. فطالما رأينا المسلم يتوقّد في بعض المواقف الحرجة حتّى تحسبه شعلة نار من الحماس والتهيّج، ثمّ لا تجده بعد قليل إلّا وقد خمدت تلك الجمرة وانطفأت تلك الجذوة. وعدم الثبات ـ أيّها الأعلام ـ هو أقتل أدوائنا وأعضل أمراضنا! والثبات أساس كلّ نجاح ومفتاح كلّ ظفر. وما الثبات إلّا فرع من شجرة الصبر الذي رود في القرآن الكريم في سبعين مورداً[1] وبيان ما له من الفوائد التي: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[2]. ولكن على الرغم من كلّ ذلك فإنّ هذا الخلق الكريم خلق الثبات وخلق الصبر وخلق المثابرة على العمل الشريف وتذليل

---

(١) ورد الصبر ومشتّقاته في القرآن الكريم أكثر من مائة مرّة، فلاحظ.

(٢) سورة فصّلت ٤١: ٣٥.

الصعوبات في سبيله، خلق ما تعوّدناه ولم يصر فينا غريزة وخلقاً. فلا لوم عليّ إذا أصبحت متخوّفاً قلقاً، بل كأنّ العجلة وعدم الأناة هي التي جبلنا عليها، فإذا زاولنا أمراً أو عملاً نريد أن نصل إليه في يوم واحد. وإذا توسّعنا في الصبر ففي بضعة أيّام، وننسى حكمة التدريج في خلق السماوات والأرض من القادر على خلقه بقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾[1]... وها أنا أجدني في هذا المؤتمر على حدّ قوله عزّ شأنه: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[2]، أصبحت أتطلّب منه أن يقوم للإسلام والمسلمين بعلاج كلّ معضلة وحلّ كلّ مشكلة، وأن يدفع عنّا كلّ انتداب واستعمار وكلّ حيف وظلم، أريد منه كلّ ذلك وهو بعد، ولا أقول: إنّه جنين لم يولد، بل أقول: إنّه نطفة، ولكنّها نطفة طيّبة وبذرة صالحة، نرجو من الحقّ سبحانه أن يصوّرها بصورة حسنة وينبتها نباتاً حسناً.

فيا أيّها الإنسان، لا تحمّل المؤتمر ما لا طاقة له به، فتبهضه وتجهضه، وارفق به وامهله رويداً حتّى يأخذ من القوّة مقدار ما يقدر به على أن يأخذ ويعطي ويدفع ويمنع. وبعبارة أجلى: خذ منه مقدار ما تعطيه من القوّة وما تغذّيه من أسباب الحياة.

٢ ـ إنّ من الغرائز التي استحكمت في نفوسنا وتوارثناها في قرون بعيدة ـ وهي التي قضت علينا ولم نستطع إلى اليوم أن نقضي عليها ـ غريزة الشقاق والخلاف بيننا، خلافاً لما أمرنا الله سبحانه به من الوحدة والألفة وما عقده جلّ شأنه في أعناقنا من الأُخوّة والولاء: ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[3]. ومعلوم أنّ اختلاف الآراء وحرّية الفكر ناموس من نواميس البشر وفطرة فطر الله الناس عليها: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[4]. ولكن الرزية وقاصمة الظهر جعل الاختلاف في الرأي سبباً للعداوة وآلة لقطع وشائج الأُخوّة وأواصر القربى. ولا ريب أنّنا مسلمون موحّدون قبل كوننا سنّيّين أو

---

(١) سورة الأنعام ٦: ٧٣، سورة النحل ١٦: ٤٠، سورة يس ٣٦: ٨٢، سورة غافر ٤٠: ٦٨.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٣٧.

(٣) سورة التوبة ٩: ٧١.

(٤) سورة الفتح ٤٨: ٢٣.

شيعيّين أو زيديّين أو شافعيّين، وهذه الطرائق المتأخّرة حدوثاً وزماناً ورتبةً لا توجب قطع رابطة الإسلام المحكمة فيما بيننا:

ما ذا التقاطع في الإسلام بينكموا وأنتم ـ يا عباد الله ـ أُخوان

وقد كانت الصحابة (رضوان الله عليهم) ـ سيّما بعد رحلة صاحب الرسالة ـ يختلفون في كثير من الفروع، ولكلّ رأيه، وقد شاعت اختلافاتهم في مسائل مهمّة كالمسح أو الغسل في الوضوء، وفي العول والتعصيب في الميراث، وفي المتعة والمهر في النكاح، وهكذا إلى كثير من المسائل، ولكن ما أوجب شيء من ذلك صدعاً في وحدتهم ولا تفريقاً في كلمتهم، بل كانوا يصلّون بصلاة واحدة، ويقتدي بعضهم ببعض، ولا يطعن بعضهم في إيمان بعض، ولذلك ملكوا بالإسلام شرق الأرض وغربها في نصف قرن. فمن الواجب المحتّم على كلّ مسلم ـ سيّما القادة والعلماء ـ في مثل هذه الأوقات العصيبة بذل الجهود إلى ضمّ المسلمين بعضهم إلى بعض ونشر الأُلفة في ما بينهم، كما أراد الله سبحانه ورسوله وأمر به كتابه.

وليس معنى تلك الأُخوّة أن تدعو السنّي ليكون شيعياً أو الشيعي ليكون سنّياً، فإنّ هذا مناف للحكمة ومصادم لسنّة الله في خلقه، بل لكلّ رأيه وما يعتقده، ولكن معنى الدعوة إلى الوحدة أن لا نجعل تلك الخلافات أداةً للتفرقة ومعولاً للتمزيق وسبباً للتشاحن والتطاحن والعداوة والبغضاء بين الأخوين..

فيا أيّها الأعلام ويا زعماء الإسلام، الله الله في هذه القضية! فإنّها قضية جوهرية، فليبذل كلّ واحد منّا جهده في نشر هذه الروح الطيّبة وبثّ تلك التعاليم المقدّسة، عسى أن يكوّن الله سبحانه من المسلمين بفضل مساعيكم أُمّة تهزّ العالم ثانياً كما هزّته أوّلاً، بل أقول: ثانياً ولا أخشّ أن أكون معالياً، تصلح العالم عوداً كما أصلحته بدءً..

فالوحدة الوحدة يا أهل التوحيد! فقد قلت قبل هذا كلمتين أرجو أن تكون من الكلمات الخالدة، قلت: الإسلام يقوم على دعامتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، فإذا لم تتوحّد الكلمة ـ أيّها المسلمون ـ فعلى الإسلام السلام!

٣ ـ من أمراضنا: أنّنا معاشر الشرقيّين قد تعوّدنا في الغالب على القول قبل

العمل والعمل قبل الروية، وحيث إنّ هذا ممّا يضرّ بالمصلحة غالباً، فإنّ أعمالنا تقع مشلولة وتعود أيدينا مغلولة، ولكنّني أرجو من الحقّ جلّ شأنه أن يجعلنا ورجالنا العاملين في هذه القضية المقدّسة أفعالنا أكثر من أقوالنا وحقائقنا أبلغ من ظواهرنا، وأن يمنحنا روحاً من الروية وإمعان النظر في جميع أعمالنا، فإنّ السرعة توجب الصرعة، وفي الاسترسال عثرات لا تقال، ولا تعزّ الأمم إلّا باحتقار العزيزين: المال والحياة، ولا تنهض الأُمم إلّا بثلاث: جمع واثب، فكر صائب، تحمّل دائب.

٤ ـ ممّا أتخوّفه كثيراً ما أحسست به ولا أزال أحسّ وكلّ واحد يحسّ به من اهتمام طوائف يزعمون أنّهم من البشر أو من المسلمين في خلق العراقيل لهذا المؤتمر المبارك وإحداث المشكلات في سبيله والعوامل الفعّالة في فشله والمعاول الهدّامة لصرحه ـ لا سمح الله ـ بأنحاء جلية وخفية وأساليب سرّية وعلنية، ومنها الكتاب الذي جاءني من مصر من أبي قير باللغة الإنجليزية.

ثمّ إنّ أعظم الدسائس وأقتل العلل علّة النفاق، وإنّ المنافقين يزعمون أنّهم من المسلمين وأنّهم منّا، وهم بين ظهرانينا يسعون في إحباط مساعينا وغلّ أيدينا.

أيّها الإخوان، احذروا دسائسهم، ونسأله تعالى أن يقينا من شرورهم ويردّ كيدهم إلى نحوهم: ﴿وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾[1].

فالخلاصة في جميع محاضراتنا: أنّنا معاشر المسلمين أشدّ ما نحتاج إليه الثبات، وهو لا يحصل إلّا بالوحدة وتضامن الرجال، فإلى الوحدة والتضامن أيّها الإخوان، وعليكم في الختام من الحقّ الرحمة والسلام».

ولمّا انحدر الشيخ من ذروة المنبر اجتمع أكابر الجمع يشكرونه، وقالوا له: قد تقرّر بتصويب الأكثرية أن تكون أنت الإمام والجميع يقتدي بك في جميع الفرائض اليومية ما بقينا في القدس. فتقدّم وصلّى بهم صلاة العشاء، واقتدت به الأُلوف من الصفوف، وصار حدثاً تاريخياً لم يسبق له نظير، ولم يتّفق أنّ علماء الإسلام جميعاً على اختلاف عناصرهم ومذاهبم اتّفقوا على الاقتداء بإمام من الإمامية، مع

(١) سورة النساء ٤: ٨٤.

تباعدهم عن هذه الطائفة من أوّل يوم الإسلام إلى هذا اليوم، وكانت له ضجّة في الآفاق، وصدىً بعيد في العالم، وحسبت له الدول الغربية أكبر حساب، وأذاعته في ساعته الصحف البرقية واللاسلكية[١].

ومن الجدير بالذكر أنّ الأُستاذين في جامعة فاروق الأوّل البيروتية أشادا بهذا الخطاب وتأثيره على علماء أبناء العامّة في كتابهما: «الإسلام بين السنّة والشيعة»، وذهبا إلى القول: «وهل كان يدور في خلدك ـ لولا بركات النهضة الحديثة ـ أنّ المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس يتشرّف باجتماعه في المسجد الأقصى بالصلاة خلف المجتهد الكبير السيّد محمّد آل كاشف الغطاء؟! بل هل كان يدور في خلدك أنّ كتابه: «الدعوة الإسلامية» يتلقّفه علماء السنّة قبل علماء الشيعة، ويستوحون أهدافه العليا الكريمة؟!».

وممّا يسترعي الانتباه أنّ الشيخ كاشف الغطاء أمضى خمسة عشر يوماً في فلسطين، والتقى بعلماء الشيعة والسنّة الحاضرين في المؤتمر، وذهب إلى مدن مختلفة من فلسطين، واجتمع مع علمائها وجماهيرها، وتحدّث إليهم ودعاهم إلى الوحدة، وكان من المحبوبية لدى العلماء والأوساط الشعبية بمكان بحيث أخذوا يطلقون عليه «الإمام كاشف الغطاء»، ثمّ عرج إلى لبنان وفعل نفس الشيء فيها، بأن التقى مع علمائها وأوساطها الشعبية في مدن مختلفة، ودعاهم إلى الوحدة، ومن ثمّ شدّ الرحال إلى سورية، وقام بالتحاور والتباحث مع العلماء وعوام الناس فيها في أرجائها المختلفة.

ولمّا كان المجتمع العراقي يتابع أخبار المؤتمر الإسلامي في فلسطين، وقد اطّلع على الاستقبال الكبير الذي حظي به خطاب الشيخ من قبل العلماء والأشخاص الحاضرين في المؤتمر، اجتمعوا في بغداد لاستقباله بما فيهم رجال الدين من مختلف المحافظات العراقية، وما أن وصل بغداد حتّى أخذ يتحدّث للجموع الغفيرة التي جاءت لاستقباله، وبعدها توجّه نحو كربلاء ونال شرف زيارة

(١) محاورة الإمام مع السفيرين: ٥٦ ـ ٥٧.

أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وعاد الشيخ كاشف الغطاء إلى مسقط رأسه، واستقرّ في بيت والده، وأقبل الناس لزيارته في كلّ ليلة بما فيهم الكثير من الشخصيات الثقافية والسياسية في العراق، وهم مستبشرون بالحفاوة التي حظي بها من قبل علماء الفرق الإسلامية وتصدّيه لإمامة الجماعة في المسجد الأقصى، وطلب منه أبناء مدينة الكوفة أن يطلع الناس على الخطوط العريضة لسفرته المعطاءة الغنيّة، فلبّى هذا الطلب، وخطب في مسجد الكوفة الذي استوعب آلاف مؤلّفة من أبناء المدينة الخطبة التي سمّيت فيما بعد بخطبة «الاتّحاد والاقتصاد»، وطبعت لمرّات عديدة[١].

سؤال موجّه للإمام كاشف الغطاء:

هل وجد المسلمون ثمرة للخلاف؟ وما هي الأسباب التي دعتهم إلى ذلك؟

الجواب:

«اعلموا أوّلاً أنّ الاختلاف ليس ضرورياً في البشر فقط، بل هو ضروري في طبيعة هذا الكون أيضاً، أعني: عالم الكون والفساد، ليل ونهار، وظلم وأنوار، وحرّ وبرد، وصيف وشتاء، وغيم وصحو، وهلمّ جرّاً.

واختلاف الآراء من أدقّ نواميس الكون وأقوى قاعدة لحفظ نظام العالم، ولا يزالون مختلفين، والوحدة التي ندب إليها القرآن الكريم ليست هي الوحدة في الآراء والمذاهب، فذلك مستحيل بحسب طبيعة البشر ومعطّل لأكمل المواهب، وأيّ موهبة أشرف من موهبة حرّية الآراء وعدم الحجر على العقول وإخماد جذوة الذكاء والفهم والحثّ والتنقيب؟! إنّما المراد بالوحدة المندوب إليها في القرآن العزيز ـ والتي هي إحدى دعامتي الإسلام الوحدة والتوحيد ـ هي الوحدة الأخلاقية، الوحدة الإيمانية، وحدة الإخاء والمودّة، وذلك بأن لا يكون اختلاف المذاهب والآراء سبباً للتباغض والتقاطع والجفاء والعداء، بل يأخذوا بالمثل الأعلى والقدوة

(١) ورود مضمون هذا الكلام فيما معناه في كتاب «محاورة الإمام مع السفيرين» أيضاً: ٥٧ ـ ٥٨.

الحسنة من خيار الصحابة في صدر الإسلام، فقد كانوا على كثرة ما بينهم من الاختلاف في القضايا الفرعية والمسائل العلمية على أقصى ما يرام من الإخاء والصفاء، ودفاع بعضهم عن بعض وحماية بعضهم لبعض، كأنّ الإسلام جسد وهم أعضاء ذلك الجسد، تجمعهم روح واحدة، روح المبدأ المقدّس وتضحية كلّ عزيز في سبيله.

أمّا من هو المسؤول عن إدارة الشؤون الأخلاقية في الأواسط الإسلامية فالجواب الصحيح عن ذلك: «كلّكم راع، وكلّكم مسؤول»، كلّ على حسب شأنه وبمقدار قابليّته، وكلّ ذي شعور هو أعرف بنفسه وبقدر ما في وسعه، والحقيقة أنّ الجميع مكلّف، والكلّ مقصّر، يتطلّب لنفسه العلل والمعاذير، والحقائق لا تخفى والمعاذير لا تنفع، يوم تبلى السرائر، فما له من قوّة ولا ناصر.

ومن هذا الباب يتطرّق الجواب عن السؤال الأخير، ولا يمكن مدّ الباع وكشف القناع أكثر من هذا؛ (فإنّ في الفم ماء)، (وحفظت شيئاً وغابت عنك أشياء)[١]، (إنّ اللبيب من الإشارة يفهم).

يقولون حدّثنا فأنت أمينها ... وما أنا إن حدّثتهم بأمين[٢]»[٣].

---

(١) قال الشاعر:

قل للّذي يدّعي في العلم فلسفة ... حفظت شيئاً وغابت عنك أشياءُ

راجع ديوان أبي نؤاس: ١٧.

(٢) حكي هذا البيت في مشارق الأنوار: ٢٣.

(٣) جنّة المأوى: ٣١٦ ـ ٣١٧.

مقالان للشيخ حول الوحدة الإسلاميّة

المقال الأوّل: كيف يتّحد المسلمون؟

«بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[1]

لم يبق ذو حسّ و شعور في شرق الأرض وغربها، إلّا وقد أحسّ وشعر بضرورة الاتّحاد والاتّفاق، ومضرّة الفرقة والاختلاف، حتّى أصبح هذا الحس والشعور أمراً وجدانياً محسوساً يحسّ به كلّ فرد من المسلمين، كما يحسّ بعوارضه الشخصية من صحّته وسقمه وجوعه وعطشه، وذلك بفضل الجهود التي قام بها جملة من أفذاذ الرجال المصلحين في هذه العصور الأخيرة، الذين أهابوا بالمجتمع الإسلامي، وصرخوا فيه صرخة المعلّم الماهر، وتمثّلوا للمسلمين بمثال الطبيب النطاسي الذي شخّص الداء وحصر الدواء، وأصاب الهدف بما عيّن ووصف، وبعث النفوس بعثاً حثيثاً، وشوّقها إلى استعمال الداء لقطع مادّة ذلك الداء الخبيث والعلل والأمراض المهلكة قبل أن تقتضي على هذا الجسد الحي، فيدخل في خبر كان، ويعود كأمس الدابر.

صرخ المصلحون، فسمع المسلمون كلّهم عظيم صرخاتهم بأنّ داء المسلمين تفرّقهم وتضارب بعضهم ببعض، ودواؤهم الذي لا يصلح آخرهم إلّا به، كما لا يصلح إلّا عليه أو لهم، ألا وهو الاتّفاق والوحدة، ومؤازرة بعضهم لبعض، ونبذ التشاحن، وطرح بواعث البغضاء والإحن والأحقاد تحت أقدامهم.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٠٣.

ولم يزل السعي لهذا المقصد السامي والغرض الشريف إلى اليوم دأب رجالات أنار الله بصائرهم، وشحذ عزائمم، وأشعل جذوة الإخلاص لصلاح هذه الأُمّة، من وراء شغاف أفئدتهم، فكما انفكّوا يدعون إلى تلك الوحدة المقدّسة (وحدة أبناء التوحيد) وانضمام جميع المسلمين تحت راية: (لا إله إلّا الله محمّد رسول الله) من غير فرق بين عناصرهم ولا بين مذاهبهم.

يدعون إلى هذه الجامعة السامية، والعروة الوثقى، والسبب المتين الذي أمر الله بالاعتصام به، والحبل القوي الذي أمر الله به أن يوصل.. يدعون إليها لأنّها هي الحياة وبها نجاة الأُمّة الإسلامية، وإلّا فالهلاك المؤبّد والموت المخلّد.

أُولئك دعاة الوحدة وحملة مشعل التوحيد، أُولئك دعاة الحقّ وأنبياء الحقيقة، ورسل الله إلى عباده في هذا العمر، مجدّدون من معالم الإسلام ما درس، ويرفعون من منار المحمّدية ما طمس، وكان بفضل تلك المساعي الدائبة والجهود المستمرّة من أُولئك الرجال (وقليل ما هم) قد بدت بشائر الخير، وظهرت طلائع النجاح، ودبّت في نفوس المسلمين تلك الروح الطاهرة، وصار يتقارب بعضهم من بعض، ويتعرّف فريق لفريق، وكان أوّل بزوغ لشمس تلك الحقيقة، ونموّ لبذر تلك الفكرة ما حدث بين المسلمين قبل بضعة أعوام في المؤتمر الإسلامي العامّ في القدس الشريف، من اجتماع ثلّة من كبار المسلمين، وتداولهم في الشؤون الإسلامية، وتبادل الثقة والاخاء فبما سنهم، على اختلافهم في المذاهب والقومية وتباعد أقطارهم وديارهم، ذلك الاجتماع الذي هو الأوّل من نوعه، والوحيد في بابه، الذي علّق عليه سائر المسلمين الآمال الجسام، فكان قرّة عين المسلمين، كما كان قذى عيون المستعمرين، والذي حسبوا له ألف حساب، وأوصدوا دونه ـ حسب إمكانهم ـ كلّ باب.. ولكن على رغم كلّ ما قام به أُولئك الإعلام من التمهيدات لتلك الغاية، وما بذلوه من التضحيات والمفاداة في غرس تلك البذور، وتعاهدها بالعناية والرعاية، حتّى تثمر وافر الجنى، وتأخذ حظّها من الرسوخ والقوّة، لا نزال نحن ـ معاشر المسلمين ـ بالنظر العامّ نتعلّق بحبال الآمال، ونكتفي بالأقوال عن الأعمال، وندور

على دوائر الظواهر والمظاهر، دون الحقائق والجواهر، ندور على القشور، ولا نصل إلى اللبّ، على العكس ممّا كان عليه أسلافنا، أهل الجدّ والنشاط، أهل الصدق في العمل قبل القول، وفي العزائم قبل الحديث، تلك السجايا الجبّارة التي أخذها عنهم الأغيار فسبقونا وكان السبق لنا، وكانت لنا الدائرة عليهم، فأصبحت علينا، تلك ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[1].

نحن نحسب أنّنا إذا قلنا: قد اتّحدنا واتّفقنا، وملأنا بتلك الكلمات لهواتنا وأشداقنا، وشحنّا بها صحفنا وأوراقنا، نحسب بهذا ومثله يحصل الغرض المهمّ من الاتّحاد، ونكون كأُمّة من الأُمم الحيّة التي نالت بوحدتها عزّها وشرفها، وأخذت المستوى الذي يحقّ لها، ولذلك تجدنا لا نزداد إلّا هبوطاً، ولا تنال مساعينا إلّا إخفاقاً وحبوطاً، لا تجد لأقوالنا وأعمالنا أثراً، إلّا أنّنا نأنس بها ساعة سماعنا لها، وما هي بعد ذلك إلّا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً!

ويستحيل لو بقي المسلمون على هذه الحال أن تقوم لهم قائمة، أو تجتمع لهم كلمة، أو تثبت لهم في المجتمع البشري دعامة ولو ملأوا الصحف والطوامير، وشحنوا أرجاء الأرض وآفاق السماء بألفاظ الاتّحاد رالوحدة، وكلّ ما يشتقّ منها ويرادفها، بل ولو صاغوا سبائك الخطب منها بأساليب البلاغة، ونظموا فيها عقود جواهر الإبداع والبراعة، كلّ ذلك لا يجدي إذا لم يندفعوا إلى العمل الجدّي والحركة الجوهرية، ويحافظوا على أخلاقهم وملكاتهم، ويكبحوا جماح أهوائهم ونفوسهم بإرسال العقل والرواية والحنكة والحكمة، فيجد كلّ مسلم أنّ مصلحة أخيه المسلم هي مصلحة نفسه، فيسعى لها كما يسعى لمصالح ذاته، وذلك حيث ينزع الغلّ من صدره، والحقد من قلبه، وينظر كلّ من المسلمين إلى الآخر ـ مهما كان ـ نظر الإخاء لا نظر العداء، وبعين الرضا لا بعين السخط، وبلحاظ الرحمة لا الغضب والنقمة.

ذاك حيث يحسّ بوجدانه ويجد بضرورة حسّه أنّ عزه بعزّ إخوانه، وقوّته

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٦٢.

بقوّة أعوانه، وأنّ كلّ واحد منهم عون للآخر.. فهل يتقاعس عن تقوية عونه، وتعزيز عزّه وصونه؟ كلّا.

ثمّ إذا كان التخلّق بهذا الخلق الشريف عسيراً لا ينال، وشأواً متعالياً لا يدرك، ولا يستطيع المسلم أن يواسي أخاه المسلم وأن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، وأن يجد أنّ صلاحه بصلاح أُمّته وعزّه بعزّة قومه، فلا أقلّ من التناصف والتعادل والمشاطرة والتوازن، فلا يجحد المسلم لأخيه حقّاً، ولا يبخسه كيلاً، ولا يطفّف له وزناً. والأصل والملاك في كلّ ذلك: اقتلاع رذيلة الحرص، والجشع، والغلبة، والاستئثار، والحسد، والتنافس، فإنّ هذه الرذائل سلسلة شقاء، وحلقات بلاء، يتّصل بعضها ببعض، ويجرّ بعضها إلى بعض، حتّى تنتهي إلى هلاك الأُمّة التي تتغلغل فيها، ثمّ تهوي إلى أحطّ مهاوي الشقاء والتعاسة. والبذرة الأُولى لكلّ من تلك الثمار الموبوءة هو حبّ الأثرة، وقد قيل: «الاستئثار يوجب الحسد، والحسد يوجب البغضاء، والبغضاء توجب الاختلاف، والاختلاف يوجب الفرقة، والفرقة توجب الضعف، والضعف يوجب الذلّ، والذلّ يوجب زوال الدولة وزوال النعمة وهلاك الأُمّة».. والتاريخ يحدّثنا ـ والعيان والوجدان يشهدان لنا شهادة حقّ ـ أنّه حيث تكون تلك السخائم والمآثم، فهناك فناء الأُمم، وموت الهمم، وفشل العزائم، وتلاشي العناصر، هناك الاستعباد والاستعمار، والهلكة والبوار، وتغلّب الأجانب، وسيطرة العدو.. أمّا حيث تكون الآراء مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب متآلفة، والأيدي مترادفة، والبصائر متناصرة، والعزائم متوازرة، فلا القلوب متضاغنة، ولا الصدور متشاحنة، ولا النفوس متدابرة، ولا الأيدي متخاذلة، فهناك العزّ والبقاء، والعافية والنعماء، والقهر والقوّة، والملك والثروة، والكرامة والسطوة، هناك يجعل الله لهم من مضائق البلاء فرجاً، ومن حلقات السوء مخرجاً، ويبدّل لهم العزّ مكان الذلّ، والأمن مكان الخوف، فيصبحوا ملوكاً حكّاماً، وأئمّةً أعلاماً.. وليعتبر المسلمون اليوم بحال آبائهم بالأمس كيف كانوا قبل الإسلام إخوان وَبَرٍ ودَبَرٍ، وأبناء حلّ وترحال، أذلّ الأُمم داراً، وأشقاهم قراراً، لا جناح دعوة يأوون إلى كنفها، ولا ظلّ

وحدة يستظلّون بفيئها في أطواق بلاء، وأطباق جهل، من نيران حرب مشبوبة، وغارات مشنونة، إلى بنات موؤودة، وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة، ودماء مهدورة. ثمّ كيف أصبحوا بعد أن جمع الله بالإسلام كلمتهم، وعقد بدين التوحيد وحدتهم، ونشر على دعوة الحقّ رايتهم، هنالك نشرت الرحمة عليهم جناح كرامتها، وأسالت لهم جداول نعيمها، حتّى تربّعت الأيّام بهم في ظلّ سلطان قاهر، وآوتهم الوحدة إلى كنف عزّ غالب، وتعطّفت الأُمور عليهم في ذرى ملك ثابت، فما عتموا أن أصبحوا ـ بعد ذلك الذلّ وتلك الهنات ـ حكّاماً على العالمين، وملوكاً في أطراف الأرضين، يملكون الأُمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم، لا تغمز لهم قناة، ولا تقرع لهم صفاة. ذاك يوم كان للمسلمين وحدة جامعة وأُخوّة صادقة، يوم كانوا متّحدين بحقيقة الوحدة وصحيح الإخاء، يوم كانت مصالح المسلمين مشتركة، ومنافعهم متبادلة، وعزائمهم متكافلة، ولا يجد المسلم من أخيه فيما يهمّه إلّا كلّ نصر ومعونة، ورعاية وكفاية، ثمّ دارت الدوائر ودالت الأيّام ـ والأيام دول ـ وأصبح المسلم لا يجد من أخيه القريب فضلاً عن البعيد إلّا القطيعة بل الوقيعة، ولا يرتقب منه إلّا المخاوف بل المتالف، ولا يحذر من عدوّه الكافر أكثر من حذره من أخيه المسلم، فكيف يرجى ـ وحال المسلمين هذه ـ أن تقوم لهم قائمة، أو تشاد لهم دعامة؟!

وهيهات أن يسدّدوا ما لم يتّحدوا، وهيهات أن يتّحدوا ما لم يتساعدوا. فيا أيّها المسلمون، لا تبلغون الاتّحاد الذي بلّغ آباؤكم ما بلغوا بتزويق الألفاظ وتنميق العبارات، أو نشر الخطب والمقالات، وضجيج الصحف وعجيج الأقلام، ليس الاتّحاد ألفاظاً فارغة، وأقوالاً بليغة، وحكماً بالغة، بما بلغت من أوج البلاغة وشأو الفصاحة، ملاك الاتّحاد حقيقة التوحيد هنا صفاء نيّة، وإخلاص طوية، وأعمال جدّ ونشاط..

الاتّحاد سجايا وصفات، وأعمال وملكات، وملكات راسخة، وأخلاق فاضلة، وحقائق راهنة، ونفوس متضامنة، وسجايا شريفة، وعواطف كريمة..

الاتّحاد أن يتبادل المسلمون المنافع، ويشتركوا في الفوائد، ويأخذوا بموازين القسط وقوانين العدل ونواميس النصف، فإذا كان في قطر من الأقطار كسوريا والعراق طائفتان من المسلمين أو أكثر فالواجب أن يفترضوا جميعاً أنّهم كأخوين شقيقين قد ورثا من أبيهما داراً أو عقاراً، فهم يقتسمونه عدلاً، ويوزّعونه قسطاً، ولا يستأثر فريق على آخر، فيستبدّ عليه بحظّه، ويشحّ عليه بحقّه: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، فتكون المنافع عامّة، والمصالح في الكلّ مشاعة، والأعمال على الجميع موزّعة.

وليس معنى الوحدة في الأُمّة أن يهضم أحد الفريقين حقوق الآخر فيصمت، ويتغلّب عليه فيسكت، ولا من العدل أن يقال للمهضوم إذا طالب بحقّ، أو دعا إلى عدل: إنّك مفرّق أو مشاغب، بل ينظر الآخرون إلى طلبه، فإن كان حقّاً نصروه، وإن كان حيفاً أرشدوه وأقنعوه، وإلّا جادلوه بالتي هي أحسن مجادلة الحميم لحميمه، والشقيق لشقيقه، لابالشتائم والسباب، والمنابزة بالألقاب، فتحتدم نار البغضاء بينهما حتّى يكونا لها معاً حطباً، ويصبحا معاً للأجنبي لقمة سائغة وغنيمة باردة.

وقد عرف اليوم حتّى الأبكم والأصمّ من المسلمين أنّ لكلّ قطر من الأقطار الإسلامية حوتاً من حيتان الغرب، وأفعى من أفاعي الاستعمار فاغراً فاه لالتهام ذلك القطر وما فيه، أفلا يكفي هذا جامعاً للمسلمين ومؤجّجاً لنار الغيرة والحماس في عزائمهم؟! أفلا تكون شدّة تلك الالام وآلام تلك الشدّة باعثة لهم على الاتّحاد وإماتة ما بينهم من الأضغان والأحقاد؟ وقد قيل: «عند الشدائد تذهب الأحقاد»، وكيف يطمع المسلم أن يكتسح أخاه أو يستعبده وهو شريكه في البلاد من أقدم العهود وأبعد الأجداد؟! أفلا تسوقهم المحن والمصائب التي انصبّت عليهم صبّ الصواعق من الأجانب إلى إقامة موازين العدل والتناصف فيما بينهم ويحتفظ أهل كلّ قطر على التعادل الانتفاعي والتوازن الاجتماعي؟!

---

(١) سورة الحشر ٥٩: ٩، سورة التغابن ٦٤: ١٦.

ونحن أوشكنا أن نكون آيسين من حصول هذه الثمرة اليانعة، والجامعة النافعة؛ لما نرى من عدم التأثير والتقدير لكلمات المصلحين والناصحين من رجال المسلمين. ومن نظر فيما نشر وطبع من جمهرة خطبنا وما فيها من بليغ الدعوة إلى الوحدة بفنون الأساليب، ويرى حالة المسلمين اليوم وأنّهم لا يزدادون إلّا تقاطعاً وتباعداً، فكأنّنا ندعوهم إلى التنابذ والجفاء، ونقدّم النار إلى الحلفاء!

نعم، من ينظر إلى ما نشره النشاشيبي[١] في الكتاب الذي سمّاه ـ وما أكثر ما تكذب الأسماء! ـ بـ «الإسلام الصحيح»، وكانت نتيجة ذلك الكتاب وفذلكته ـ يعني: صحّة الإسلام عنده ـ هو الطعن والغمز واللمز والتوهين بأهل بيت النبوّة علي وفاطمة والحسنين (سلام الله عليهم)، وإنكار كلّ فضيلة أو منقبة لهم وردت في آية أو رواية. فآية التطهير مثلاً: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[٢] مختصّة بزوجات النبي صلى الله عليه وآله وبالأخصّ عائشة، بل هي لا غيرها من أهل البيت. أمّا فاطمة بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله فخارجة بالقطع واليقين عنده.

انظر ما أحلى هذا الفهم وأجمل الذوق والإنصاف! وهكذا آية المباهلة[٣] وآية القرب[٤]، فضلاً عن الروايات الواردة في حقّهم، فكلّها عنده كذب وباطل،

---

(١) أبو الفضل محمّد إسعاف بن عثمان بن سليمان النشاشيبي: أديب. ولد بالقدس حوالي سنة ١٨٨٢م، ونشأ بها، ودرس في المدرسة البطريركية في بيروت، وكان من أساتذته في الأدب: عبدالله البستاني، ومحيي الدين الخيّاط، ومصطفى الغلاييني. عيّن مفتشاً عامّاً للّغة العربية في إدارة معارف فلسطين، وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق. توفّي بالقاهرة سنة ١٩٤٨م. من آثاره: الإسلام الصحيح، كلمة في اللغة العربية، البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي. (معجم المؤلّفين ٩: ٤٥ ـ ٤٦).

(٢) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٣) وهي قوله تعالى من سورة آل عمران (٣: ٦١): ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

(٤) وهي قوله تعالى من سورة الشورى (٤٢: ٢٣): ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

حتّى المروية في صحاحهم.

ومثله ما سبقه إليه أمثاله من النصولي[١] والحصّان[٢] وأضرابهم، أفترجو أن تصلح حال المسلمين ويلمّوا شعثهم؟! أفلا تراني على حقّ لو يئست وتشاءمت؟! أفلا يعلم النشاشيبي وإخوانه ممّن يغمزون بالشيعة وأئمّتهم أنّ ذلك باعث على أن يقوم أحد كتبة الشيعة، فيقابله بالمثل، وينال من كرامة الخلفاء الراشدين، ويتحامل عليهم وعلى السنّة قائلاً: «إنّ بني عمّك فيهم رماح»، وهكذا دواليك ينشر كلّ فريق مطاعن الآخر؟!.

فلينظر عقلاء الفريقين إلى أين تنتهي حال المسلمين من هذه الهوّة السحيقة؟! وما الثمرة والفائدة من كلّ ذلك؟! وما ذنب الشيعة سوى موالاة أهل بيت نبيّهم صلى الله عليه وآله؟!

ولكن مع كلّ ذلك لا يأس من روح الله ورحمته، ولا قنوط من خفي ألطافه بدينه وشريعته، فعسى أن يرشد الله الغيارى على الإسلام من عقلاء الفريقين، فيضربوا على الأيدي التي تنشر تلك النشرات الخبيثة منّا ومنهم، تلك النشرات التي هي السمّ المزهق لروح الإسلام.

وهذا البصيص من الأمل هو الذي دعانا إلى الإذن في إعادة طبع هذه الرسالة ثانيةً ونشر ما يضاهيها من إرشاداتنا وتعاليمنا في الحثّ على قيام كلّ مسلم بهذه الفريضة اللازمة والقضية الضرورية، كلّ بحسبه ومقدار وسعه، ألا وهي إعادة صميم الإخاء والوحدة بين عموم فرق المسلمين. وأوّل شرط ذلك: سدّ باب المجادلات المذهبية وإغلاقها تماماً، فإن أراد أحد التنويه عن مذهبه فعلى شرط أن لا يمسّ

---

(١) أنيس بن زكريا النصولي: مؤرّخ، أديب. تخرّج من الجامعة الأمريكية ببيروت، ورحل إلى العراق، فدرّس بمدارسها، وعاد إلى بيروت، فكان أحد أصحاب جريدة «بيروت» والمدير العامّ للتعليم في جمعية المقاصد الخيرية. من آثاره: أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر، الدولة الأموية في الشام، معاوية بن أبي سفيان، عشت وشاهدت، الإمام الأوزاعي. توفّي سنة ١٩٥٧م. (معجم المؤلّفين ١٣: ٣٧٤).

(٢) تقدّمت ترجمته، فلاحظ.

مذهب غيره بسوء ولا غميزة.

والشرط الثاني ـ بل هو الأوّل في الأهمية ـ : أن يعقد المسلم قلبه على الإخاء الصحيح لأخيه المسلم، وأن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، ويبرأ من كلّ حقد وحسد عليه جدّاً وحقيقة، لا لقلقة في القول، ومخادعة في اللسان، ومنافسة على المصالح الفردية والمنافع الذاتية، كما هي الحال السائدة اليوم عند الجميع!

إنّما الوحدة الحقّة والإخاء الصحيح الذي جاء به الإسلام، بل جاء بالإسلام وتمشّت عليه الأُمم الراقية، وبلغت أوج العزّ والقوّة، أن يرى كلّ فرد من الأُمة أنّ المصلحة النوعية هي عين المصلحة الفردية، بل هي فوقها، وهذه الصفة خفيفة في اللسان، ثقيلة في الميزان، بعيدة في الاِمكان، يكاد أن يكون تحقّقها عندنا معشر المسلمين من المستحيلات، لا سيّما من كلّ طائفة بالنظر إلى الأُخرى التي تنظر كلّ منهما إلى الأُخرى نظر العدوّ الألد والمخاصم المزاحم! وإذا جامله في القول أو أظهر له الولاء فلن يجامله إلّا ليخاتله، ولن يصانعه إلّا ليخادعه، إمّا ملقاً أو تزلّفاً لغاية واهنة، أو توسّلاً إلى أن يبتزّ ماله، أو يسلبه حقّه، أو تكون له السلطة عليه والاستعباد له! وكلّهم جارون على غلوائهم في هذه السخائم التي صارت لهم ضربة لازم، لا يصدّهم عنها صرخة ناصح، ولا صيحة زاجر، ولا عظة بليغ.

ينسى الكلّ أو يتناسى عدوّهم الصميم الذي هو لهم بالمرصاد والذي يريد سحق الكلّ ومحو الجميع، ويبثّ بذور الشقاق بينهم؛ ليضرب بعضهم ببعض، وينصب أشراك المكر؛ ليصدّ الجميع. ولا يسلم المسلمون من هذه الأشراك المبثوثة لهم في كلّ سبيل حتّى يتّحدوا عملاً لا قولاً، وجدّاً لا هزلاً.

وأقرب وسيلة إلى تنمية تلك البذرة وتلك الفكرة ـ فكرة الاتّحاد الجدّي ـ هو عقد المؤتمرات في كلّ عام أو عامين، يجتمع فيها عقلاء المسلمين وعلماؤهم من الأقطار النائية: ليتعارفوا أوّلاً، ويتداولوا في شؤون الإسلام ثانياً، بل وأوجب من هذا عقد المؤتمرات والمعاهدات بين ملوك المسلمين ـ لو كان للمسلمين ملوك حقّاً ـ فيكونون يداً واحدة، بل كيدين لجسد واحد، تدفعان عنه الأخطار المحدقة به من كلّ جانب، وقد أملت عليهم الحوادث بعد الحرب العامّة دروساً بليغة وعبراً

محسوسة لو كانوا يعتبرون.

وفي ابتلاع الطليان مملكة الحبشة العريقة في القدم ببضعة أشهر ما يستوجب أن يقضّ مضاجعهم، ويسهرعيونهم، وينظروا إلى مستقبلهم بكلّ خيفة وحذر، وإلّا فهم أعرف بالعاقبة وكيف يكون المصير.

وحسبنا بهذا القدر بلاغاً ودعوة وإنذاراً وإيقاظاً، ونحن تكميلاً للفائدة قد أكملنا في هذه الطبعة بعض نواقص هذه الرسالة، واستوفينا ما فات في بعض مباحثها ممّا له دخل أو فضل في توسعة البحث وتوفية الموضوع حقّه، مع الحرص الشديد على الإيجاز والإيصال إلى الغرض المهمّ من أقرب الطرق إليه؛ ليسهل تناوله ومطالعته لعامّة الطبقات.

فالعصر الذي ألف أهلوه طي المراحل الشاسعة إلى البلاد النازحة ببضع ساعات، وكانت لا تطوى إلّا بالأيّام أو الشهور، لا يناسبه الإطالة والإطناب، حتّى في الرسالة والكتاب، بيد أنّي لا ادّعي الإحاطة، ولا أُبرئ نفسي من القصور، ويكفيني حسن النيّة والقيام بالواجب حسب الوسعة، مع ابتكار الموضوع وابتداع الأُسلوب.

وللأفاضل في عصرنا وما بعده أن يتوسّعوا إذا شاؤوا، فقد فتحنا لهم الباب، ونهجنا لهم السبيل الذي لا أمت[1] فيه ولا عثار، والذي هو أقرب إلى ما يتطلّبه الوقت الحاضر والعلم الحديث، وألصق بالحقيقة الناصعة والطريقة الناجعة، من دون خدشة لمذهب، أو مسّ لكرامة، مع الإشارة الخفيفة أو الخفيه لبعض الأدلّة والبراهين والمساند والمصادر في الجملة، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت، وإليه أُنيب.

حرّره منتصف ربيع الآخرسنة ١٣٥٥ هـ

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء»[2].

---

(١) الأمت: الضعف والوهن، أو العيب. (تهذيب اللغة ١٤: ٢٤٣).

(٢) حول الوحدة الإسلامية: ٣٣ ـ ٤٠.

المقال الثاني: جماعة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة

[بسم الله الرحمٰن الرحيم]

«وصلني العدد الأوّل من السنة الثانية من مجلّة «رسالة الإسلام» الزاهرة التي تصدرها جماعة دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة، ونظرت ـ حسبما سمح لي الوقت والفراغ ـ في أكثر ما نشره الأعلام فيه من المقالات، فما وقع بصري منه إلّا على النافع الشهي ممّا لذّ وطاب، من أقلام أُولئك الكتّاب، بيد أنّي شعرت من بعض ما نشر في آخر هذا العدد وبعض الأعداد السابقة أنّ جماعة من ذوي الفضل لم يصلوا إلى ما يهدف له أعضاء هذه الجماعة الأماثل، وحيث ضلّوا عن قصد السبيل وجدوا أنّ حصول غرض الجمعية من المستحيل.

نعم، إنّه لمن المستحيل إن لم يكن عقلاً فعادة، إذا كان الغرض هو إزالة الخلاف بين المذاهب الإسلامية، وجعلها مذهباً واحداً سنّياً فقط أو شيعياً أو وهّابياً. كيف واختلاف الرأي والخلاف في الجملة طبيعة ارتكازية في البشر؟! ولعلّ إليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1]، أي: للرحمة أو للاختلاف، على الخلاف[2].

ولكن ينبغي أن يكون من المقطوع به أن ليس المراد من التقريب بين المذاهب الإسلامية إزالة أصل الخلاف بينها، بل أقصى المراد وجلّ الغرض هو إزالة

---

(١) سورة هود ١١: ١١٨ ـ ١١٩.

(٢) راجع المسألة في: الكشف والبيان ٥: ١٩٤ ـ ١٩٥، مجمع البيان ٥: ٣٥٠ ـ ٣٥١، تفسير الفخر الرازي ١٨: ٨٠ ـ ٨١.

كما أنّه يوجد قول ثالث في المسألة، وهو ـ كما في تفسير الفخر ـ: أنّه خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف.

أن يكون هذا الخلاف سبباً للعداء والبغضاء، الغرض تبديل التباعد والتضارب بالإخاء والتقارب، فإنّ المسلمين جميعاً مهما اختلفوا في أشياء من الأُصول والفروع، فإنّهم قد اتّفقوا على مضمون الأحاديث المقطوع عندهم بصحّتها من أنّ من شهد الشهادتين واتّخذ الإسلام ديناً له فقد حرم دمه وماله وعرضه، والمسلم أخو المسلم، وأنّ من صلّى إلى قبلتنا وأكل من ذبيحتنا ولم يتديّن بغير ديننا فهو منّا، له ما لنا، وعليه ما علينا.

إنّ «جمعية التقريب» لعلّها تقول: المسلمون بعد اتّفاقهم كلمة واحدة على أنّ القرآن العزيز وحي من الله جلّ شأنه، وأنّ العمل به واجب، ومنكر كونه وحياً كافر، والقرآن صريح في لزوم الاتّفاق والإخاء والنهي عن التفرّق والعداء، قد جعل المسلمين إخوة، فقال عزّ شأنه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[2]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[3]، إلى كثير من أمثالها، فبعد اتّفاقهم على وجوب الأخذ بنصوص الكتاب الكريم، فأيّ عذر لهم في هذا التباعد والتباغض والعداء والبغضاء؟! وكفى بالقرآن جامعاً لهم مهما بلغ الخلاف بينهم في غيره، فإنّ رابطة القرآن تجمعهم في كثيرمن الأُصول والفروع، تجمعهم في أشدّ الروابط من التوحيد والنبوّة والقبلة وأمثالها من الأركان والدعائم. واختلاف الرأي فيما يستنبط أو يفهم من القرآن في بعض النواحي اختلاف اجتهادي لا يوجب التباغض والتعادي.

نعم، أعظم فرق حوهري، بل لعلّه الفارق الوحيد بين الطائفتين السنّة والشيعة هو قضية الإمامة، حيث وقفت الفرقتان منها على طرفي الخطّ، فالشيعة ترى أنّ الإمامة أصل من أُصول الدين، وهي رديفة التوحيد والنبوّة، وأنّها منوطة بالنصّ من الله ورسوله، وليس للأُمّة فيها من الرأي والاختيار شيء، كما لا اختيار

---

(١) سورة الحجرات ٤٩: ١٠.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٠٣.

(٣) سورة الأنعام ٦: ١٥٩.

لهم في النبوّة[١]. بخلاف إخواننا من أهل السنّة، فهم متّفقون على عدم كونها من أُصول الدين، ومختلفون بين قائل: بوجوب نصب الإمام على الرعية بالإجماع ونحوه، وبين قائل: بأنّها قضية سياسية ليست من الدين في شيء، لا من أُصوله ولا من فروعه[٢]. ولكن مع هذا التباعد الشاسع بين الفريقين في هذه القضية، هل تجد الشيعة تقول: إنّ من لايقول بالإمامة غير مسلم؟ (كلّا، ومعاذ الله)، أو تجد السنّة تقول: إنّ القائل بالإمامة خارج عن الإسلام؟ (لا، وكلّا). إذاً فالقول بالإمامة وعدمه لا علاقة له بالجامعة الإسلامية وأحكامها، من: حرمة دم المسلم وعرضه وماله، ووجوب أُخوّته، وحفظ حرمته، وعدم جواز غيبته، إلى كثير من أمثال ذلك من حقوق المسلم على أخيه.

نعم، ونريد أن نكون أشدّ صراحة من ذلك ولا نبقي ما لعلّه يعتلج أو يختلج في نفوس القرّاء الكرام، فنقول: لعلّ قائلاً يقول: إنّ سبب العداء بين الطائفتين أنّ الشيعة ترى جواز المسّ من كرامة الخلفاء أو الطعن يفهم، وقد يتجاوز البعض إلى السبّ والقدح، ممّا يسيء الفريق الآخر طبعاً ويهيّج عواطفهم، فيشتدّ العداء والخصومة بينهم.

والجواب: أنّ هذا لو تبصّرنا قليلاً ورجعنا إلى حكم العقل بل والشرع أيضاً لم نجده مقتضياً للعداء أيضاً.

أمّا أوّلاً: فليس هذا من رأي جميع الشيعة، وإنّما هو رأي فردي من بعضهم، وربّما لا يوافق عليه الأكثر، كيف وفي أخبار أئمّة الشيعة النهي عن ذلك[٣]؟! فلا يصحّ معاداة الشيعة أجمع لإساءة بعض المتطرّفين منهم.

وثانياً: أنّ هذا على فرضه لا يكون موجباً للكفر والخروج عن الإسلام، بل أقصى ما هنالك أن يكون معصية، وما أكثر العصاة في الطائفتين. ومعصية المسلم لا

---

(١) انظر دلائل الصدق ٤: ٢٤١ و٢٤٤.

(٢) لاحظ المسألة في شرح المقاصد ٥: ٢٣٢ وما بعدها.

(٣) على سبيل المثال راجع نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠٦.

تستوجب قطع رابطة الأُخوة الإسلامية معه قطعاً.

وثالثاً: قد لا يدخل هذا في المعصية أيضاً ولا يوجب فسقاً إذا كان ناشئاً عن اجتهاد واعتقاد وإن كان خطأً. فإنّ من المتسالم عليه عند الجميع في باب الاجتهاد أنّ للمخطئ أجراً، وللمصيب أجرين. وقد صحّح علماء السنّة الحروب التي وقعت بين الصحابة في الصدر الأوّل. كحرب الجمل وصفّين وغيرهما، بأنّ الزبير وطلحة ومعاوية اجتهدوا، وهم وإن أخطأوا في اجتهادهم. ولكن لا يقدح ذلك في عدالتهم وعظيم مكانتهم. وإذا كان الاجتهاد يبرّر ولا يستنكر قتل آلاف النفوس من المسلمين وإراقة دمائهم. فبالأولى أن يبرّر ولا يستنكر معه ـ أي: مع الاجتهاد ـ تجاوز بعض المتطرّفين على تلك المقامات المحترمة.

والغرض من كلّ هذا أنّنا مهما تعمّقنا في البحث ومشينا على ضوء الأدلّة، عقلية أو شرعية، وتجرّدنا من الهوى والهوس والعصبيات. فلا نجد أيّ سبب مبرّر للعداء والتضارب بين طوائف المسلمين. مهما اتّسعت شقّة الخلاف بينهم في كثير من المسائل.

هذا كلّه بالنظر إلى القضية من حيث ذاتها مجرّدة عن كلّ الملابسات. فكيف إذا نظرنا إليها من حيث ما جرّه هذا الخلاف والعداء من الويلات والبليات على المسلمين. وما ضاع على أثره من الممالك الإسلامية الكبرى. كالأندلس والقوقاز وبخارى ونحوها. ولو أنّ المسلمين كانوا في تلك الظروف يداً واحدة كما أمرهم الله. لما انتزع من الإسلام شبر واحد. وإذا لم يكفنا عبرة ما سجّله التاريخ من تلك الفجائع فليكفنا ما رأيناه بأعيننا من رزية المسلمين بفلسطين وهي الفردوس الثاني، سبع دول عربية إسلامية كما يزعمون تتغلّب عليها عصابة من أذلّ الأُمم مشهداً وأقلّهم عدداً. ثمّ يمزّقون تلك الدول شرّ ممزّق. يشرّدون تسع مائة ألف مسلم، بل أكثر، من عرب فلسطين. فيملكون دورهم وقصورهم وأراضيهم وأموالهم. ويضعونهم في البراري والقفار تحت رحمة الأقدار. يفتك بهم البرد والجوع والمرض، والمسلمون يسرحون ويمرحون. لا ينصرونهم إلّا بالكلمات الفارغة والتأوهات الكاذبة! أما والله. لو أنّ تلك الدول تركت عرب فلسطين يحاربون اليهود بأنفسهم لما

استطاع اليهود أن يتغلّبوا على قرية من قراهم أو قطعة من أراضيهم.

لم يكتف المسلمون بخذلان اخوانهم وتسليمهم إلى اليهود، بل كانوا ـ ولا يزالون حتّى اليوم ـ عوناً لليهود، يساعدونهم بكلّ ما في وسعهم من تهريب وغيره، بل يصنعون لليهود ما لا يصنع اليهود لأنفسهم، كلّ ذلك من آثار التقاطع والتخاذل بين المسلمين، فلا جامعة تجمعهم، ولا رابطة تربط بعضهم ببعض وتعطف بعضاً على بعض، لذلك حقّت عليهم كلمة العذاب، ولا يسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين.

نعود فنقول: إنّ «جمعية التقريب» تريد أن تقرّب بين الطوائف الإسلامية، وترفع العداء المستحكم بينهم، وتدعوهم إلى الأخذ بما أمرهم الله به من الاعتصام بحبل الإسلام، وألّا يتفرّقوا ويتنازعوا، فتذهب ريحهم، ويتسلّط عليهم أذلّ عباده وأرذل خلقه، وليست هذه الفئة المباركة بأوّل من نهض بهذه الدعوة وقام بهذه الفكرة، بل سبقهم إلى ذلك جماعة من المخلصين الغيارى على الإسلام والمسلمين، كالسيّد جمال الدين وتلميذيه الشيخ محمّد عبده والكواكبي[١] وغيرهم، سوى أنّ هؤلاء كانت دعوتهم بصفة فردية، ورجال التقريب قاموا بها بصفة جمعية، ولعلّ الحقّ جلّ شأنه بعنايته إذا علم إخلاصهم وصدق نيّاتهم يجعل لدعوتهم ثمراً جنياً وأثراً حسّياً.

أمّا هذا العاجزفقد أهبت بالمسلمين وصرخت فيهم بهذه الدعوة منذ عهد سحيق، كما تشهد بذلك مؤلّفاتنا التي طبعت قبل زهاء أربعين سنة، كـ : «الدين والإسلام و«المراجعات» وغيرهما، ثمّ ملأنا الصحف والمجلّات بإيفاظهم من نومهم، وبعثهم من موتهم، وألقينا مئات الخطب على المنابر في عواصم الإسلام، وقد

---

(١) عبد الرحمان بن أحمد بن مسعود الكواكبي: من رجال الإصلاح الإسلامي. ولد وتعلّم في حلب، وأنشأ فيها جريدة «الشهباء»، فأقفلتها الحكومة، وأنشأ أيضاً جريدة «الاعتدال»، فعطّلت. أُسندت إليه مناصب عديدة، وحنق عليه إعداء الإصلاح، فسعوا به، فسجن وخسر جميع أمواله، فرحل إلى مصر، وساح في بعض البلاد، واستقرّ في القاهرة، إلى أن توفّي فيها سنة ١٣٢٠ هـ. له من الكتب: طبائع الاستبداد، أُمّ القرى. (الأعلام للزركلي ٣: ٢٩٨، معجم المؤلّفين ٥: ١١٥).

طبع عدّة منها، كخطبة فلسطين التاريخية، طبعت مرّتين، وخطبة الاتّحاد والاقتصاد في جامع الكوفة، والخطب الأربع، إلى كثيرمن أمثالها، ولكن كأنّ الله ختم على قلوبهم، وذهب بنورهم، وتركهم في ظلمات لا يبصرون!

«جماعة التقريب» تريد أن تقرّب بين الطوائف الإسلامية، وتبعثهم وتحثّهم على الأُخوّة والوحدة التي أمرهم الله بها في كتابه العزيز، ولكن يلزمهم ويلزمنا تمهيداً لهذه الغاية الشريفة أن ينصحوا لإخوانهم من الكتّاب وحملة الأقلام ألّا يتحرّشوا ويطعنوا بإخوانهم الإمامية، فما يكاد يأتي عام إلّا ونسمع أو نرى كتاباً أو رسالة ترمي الشيعة بالفظائع وتهجم عليهم بالمطاعن، وبحكم الضرورة يلتجئ هؤلاء إلى الدفاع عن أنفسهم، فتثور الأحقاد، وتستعر الحفائظ، وتكون أكبر خدمة للأعداء والمستعمرين. كما أنّ اللازم على كلّ فرقة من المسلمين من الشيعة وغيرهم أن يوصدوا باب المجادلات المذهبية، وما يثير الحفائظ والعصبية، فإنّها إن لم تكن محرّمة بنفسها ومضرّة بذاتها، فهي من أعظم المحرّمات في هذه الظروف التي أحاط بنا فيها الأعداء، أعداء الإسلام من كلّ جانب ومكان، حتّى من المسلمين ومدّعي الإسلام العدوّ الداخلي الذي ضرره أعظم من العدوّ الخارجي. فهل في هذا كفاية وبلاغ أيّها المسلمون؟ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]»[2].

هذا، وقد لخّص الأُستاذ زكي الميلاد منهجيّة الشيخ كاشف الغطاء في الوحدة الإسلاميّة بعشرة نقاط في كتابه «خطاب الوحدة الإسلامية»، مقتبساً تلك المنهجيّة من كلمات الشيخ التي قدّمنا ذكرها، فمن أراد الاطّلاع فليراجع كتابه المزبور[3].

---

(١) سورة يوسف ١٢: ١٠٨.

(٢) حول الوحدة الإسلامية: ١٠١ ـ ١٠٥.

(٣) خطاب الوحدة الإسلاميّة: ١٦٧ ـ ١٧٢.

الفصل السابع :

مؤلّفاته وآثاره

استعراض مؤلّفاته

أثرى الشيخ كاشف الغطاء المكتبة العربيّة وغيرها بمختلف المصنّفات المفيدة وفي شتّى العلوم، ومن آثاره:

١ ـ الدين والإسلام.

ويسمّىٰ كذلك: بالدعوة الإسلاميّة إلى مذهب الإماميّة، طبع في جزءين في صيدا.

الجزء الأوّل في فلسفة الدين الإسلامي وإثبات الصانع والتوحيد والعدل وما يتعلّق بهما، والجزء الثاني في إثبات النبوّة الخاصّة. ثمّ شفعهما بجزءين آخرين لا زالا مخطوطين[١].

يقول الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء ﷺ حوله: «أوّل تأليف لنا في الحكمة والعقائد «الدين والإسلام»، وكنّا وسمناه «الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية»، وشرعنا بطبعه بمطبعة دار السلام في بغداد.

وبينا كانت المطبعة تشتغل بطبع الجزء الثاني سنة ١٣٢٩ هـ وكانت بعض نسخ من الجزء الأوّل المنجز طبعه قد انتشرت وتداولتها الأيدي، وإذا بالسلطة تهاجم المطبعة بغتة وتصادر الكتاب بجزءيه وتحمله إلى حيث لا ندري إلى الآن.

وكان ذلك بأمر الوالي الشهير في عهد دولة عبد الحميد ورشاد، ناظم باشا وبإيعاز المفتي الشيخ سعيد الزهّاوي، فكبّدونا بهذه الحركة الجائرة خسائر باهضة

---

(١) معارف الرجال ٢: ٢٧٥، الذريعة ٨: ٢٩٣.

مادّية ومعنوية، بعثت فينا روح النشاط والحماس إلى السعي بطبعه خارج العراق، فصحّحنا العزيمة على الحجّ إلىٰ بيت الله الحرام من الكاظمية إلىٰ الشام على البغال شهراً كاملاً، ومنها إلىٰ المدينة المنوّرة بالقطار، ومنها إلىٰ مكّة على الجمال، وكتبنا بهذه السفرة رحلة بديعة أسميناها: «نزهة السمر ونهزة السفر»، لا تزال بخطّنا.

ثمّ أقفلنا ـ بعد الفراغ من أداء المناسك ـ إلىٰ الشام أيضاً، ومنها إلىٰ بيروت فصيدا، فأنجزنا طبع الجزءين منه، ولطّفنا من أُسلوبه الثقيل في الطبعة الأُولى حتّىٰ ساغ مشربه للجميع»[١].

وقد وفّقت لتحقيق هذا الكتاب القيّم، بنشر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم‌السلام.

٢ ـ المراجعات الريحانية.

ويسمّىٰ كذلك: بالنقود والردود. طبع الجزء الأوّل منه في مدينة بيروت عام ١٣٣١ هـ.

وفيه مباحثات تاريخيّة وفلسفيّة مع فيلسوف الفريكة أمين الريحاني[٢] والنقد لكتابه: «الدين والإسلام»، ومراجعاته مع الأب أنستاس الكرملي[٣] في نقده

---

(١) نُقل ذلك عنه في أساطين المرجعية العليا: ٢٤٧ ـ ٢٤٨

(٢) أمين بن فارس بن أنطون بن يوسف بن عبد الأحد البجاني المعروف بالريحاني: أديب مؤرّخ. ولد بالفريكة من أعمال لبنان سنة ١٨٧٦ م، وانتقل إلى الولايات المتّحدة صغيراً، واشتغل بالتجارة، وتعاطى التمثيل، ودرس الحقوق سنة، وعاد إلى وطنه لبنان، ورحل إلى البلاد العربيّة. من آثاره: ملوك العرب، التطرّف والإصلاح، الريحانيّات، أنتم الشعراء، خارج الحريم. توفّي بالفريكة سنة ١٩٤٠ م. (معجم المؤلّفين ٣: ١٠، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٢٦٨ ـ ٢٧٩).

(٣) الأب أنستاس ماري الكرملي: لغوي ومؤرّخ وصحفي معروف. ولد في بغداد سنة ١٨٦٦ م وفيها درس ودرّس، ثمّ سافر إلى بلجيكا للدراسات العليا، وفي سنة ١٨٩٤ م رُسم كاهناً،

←

علىٰ الكتاب المذكور، وغير ذلك.

والجزء الثاني طبع بصيدا سنة ١٣٣١ هـ أيضاً. وفيه بعض المراجعات الريحانيّة أيضاً، والنقد لكتاب «تأريخ آداب اللغة العربيّة» لجرجي زيدان[١]. وأُعيد طبعه في بوينس آيرس بالأرجنتين[٢].

وقد قام بتحقيقه السيّد محمّد عبدالحكيم الموسوي الصافي، وذلك في مجلّدين ضخمين، قد أُكملا صفّاً في دمشق، وهما في الطريق إلى الطبع[٣].

٣ ـ الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات.

طبع سنة ١٣٤٥ هـ بالنجف[٤].

٤ ـ المغني عن الأغاني.

ويسمّىٰ كذلك: مختارات من شعر الأغاني، أو: مغني الغواني عن الأغاني.

طبع في بغداد.

← ومن ثمّ سافر إلى إسبانيا، وعاد إلى العراق، ثمّ نفي من قبل الأتراك إلى الأناضول، وبعدها عاد إلى بغداد وواصل تحرير مجلّة «لغة العرب» إلى أن توفّي سنة ١٩٤٧ م. له: خلاصة تاريخ العراق، الألفاظ اليونانيّة في اللغة العربيّة، وغيرهما. (الأعلام للزركلي ٢: ٢٥، معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة ١: ٤٨١، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٣١١ ـ ٣١٢).

(١) جرجي بن حبيب زيدان، كان مؤرّخاً لغوياً صحفياً. ولد سنة ١٨٦١ م في بيروت، ودرس في الكلّية السورية الإنجيليّة، ثمّ سافر إلى مصر حيث زاول الكتابة الصحفيّة والترجمة، ثمّ عاد إلى بيروت، وانتخب عضواً في المجمع العلمي الشرقي، وفي سنة ١٨٩٢ م أنشأ في مصر مجلّة «الهلال». من مؤلّفاته: تاريخ التمدّن الإسلامي، تاريخ آداب اللغة العربية، تاريخ مصر الحديث، وغيرها. توفّي سنة ١٩١٤ م. (معجم المؤلّفين ٣: ١٢٥ ـ ١٢٦، الأعلام للزركلي ٢: ١١٧، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ١٩١ ـ ١٩٤).

(٢) الذريعة ٢٤: ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٣) أساطين المرجعية العليا: ٢٥٢.

(٤) الذريعة: ١: ٤٦.

اختار فيه والتقط الزبدة من كتاب الأغاني، وأسقط منه الأغاني والمكرّرات والأسانيد.

أوّله: «بعد الحمد والصلاة والتسليم...».

فرغ منه أواخر العشر الثالث من المائة الرابعة[١].

٥ ـ أصل الشيعة وأُصولها.

طبع أكثر من عشرين طبعة في النجف وبغداد والقاهرة ولبنان، وترجم إلى الفارسيّة بواسطة سماحة آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وإلى الإنـجليزيّة والهنديّة والأُوردية.

يبحث في عقائد الشيعة، وفي أُصولهم وفروعهم[٢].

٦ ـ التوضيح في بيان ما هو الإنجيل ومن هو المسيح.

في جزءين، طبع الأوّل في صيدا سنة ١٣٣٠ هـ، والثاني في بغداد سنة ١٣٤٦ هـ[٣].

وقد تُرجم إلى اللغة الفارسيّة بقلم هادي خسرو شاهي[٤].

٧ ـ الميثاق العربي الوطني.

طبع في النجف[٥].

وقد طبع ضمن كتاب: في السياسة والحكمة[٦].

---

(١) المصدر السابق ٢١: ٢٩٥.

(٢) المصدر السابق ٢: ١٦٩.

(٣) المصدر السابق ٤: ٤٨٩.

(٤) كاشف الغطاء سورة خشم (فارسي): ٥٩.

(٥) معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٠٤٩.

(٦) كاشف الغطاء سورة خشم (فارسي): ١٧٠.

٨ ـ الفردوس الأعلى.

طبع بالنجف سنة ١٣٧١ هـ ولمرّتين، ثمّ طبع في تبريز سنة ١٣٧٢ هـ.

وهو مجموعة مسائل في علل بعض الأحكام الشرعيّة، وبيان فوائدها، ومطابقتها للنظم الحديثة[١].

٩ ـ المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون.

طبع في النجف ثلاث مرّات، وترجم إلى الفارسيّة[٢] والإنجليزية وطبع عدّة مرّات.

ردّ به علىٰ دعوة الأمريكيّين له للاشتراك في مؤتمر عُقد في بحمدون لبنان باسم الدين للأغراض السياسيّة، وكانت وردته رسالة من جمعيّة أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، يدعوه فيها لحضور مؤتمر لرجال الدين من المسلمين والمسيحيّين، يعقد في لبنان لبحث القيم الروحيّة في الديانتين والأهداف المشتركة وموقف الديانتين من الشيوعيّة. وقد رفض المترجم حضور المؤتمر بحجّة ضعف المزاج وكثرة الأشغال، ثمّ بيّن رأيه في الموضوع بهذا الكتاب، وقد لاقى إقبالاً منقطع النظير في كافّة البلاد الشرقيّة[٣].

١٠ ـ محاورة مع سفيري بريطانيا وأمريكا.

طبع في النجف ثلاث مرّات، كما طبع في الأرجنتين[٤].

---

(١) الذريعة ١٦: ١٦٥.

(٢) ترجم إلى الفارسية ثلاث مرّات بقلم: الدكتور علي شريعتي، ومصطفى زماني، وجلال الدين الفارسي. (كاشف الغطاء سورة خشم (فارسي): ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٣) الذريعة ١٩: ٧٨.

(٤) معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٠٤٩.

١١ ـ نبذة من السياسة الحسينيّة.

طبع في النجف عدّة طبعات، أوّلها سنة ١٣٤٩ هـ في أربعين صفحة.

أملاها المترجم علىٰ نجله عبدالحكيم في جواب سؤال عبدالهادي بن المهدي بن عبد الحسين مطر النجفي عن وجه إقدام سيّد الشهداء عليه‌السلام علىٰ الشهادة[1].

١٢ ـ الأرض والتربة الحسينيّة.

طبع في النجف ستّ مرّات، وتُرجم إلىٰ الفارسيّة بواسطة شاه زاده خسرواني، وكذلك بواسطة محمّد تقي الشهرستاني سنة ١٣٢٦ هـ ش، وكذلك ترجم إلى الهنديّة. وطبع مؤخّراً سنة ١٤١٦ هـ بنشر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم‌السلام في مدينة قم[2].

١٣ ـ سؤال وجواب في الفقه.

طبع بالنجف ثلاث مرّات، وترجم إلى الفارسيّة بعنوان: «زاد المقلّدين» سنة ١٣٦٤ هـ[3].

١٤ ـ حاشية علىٰ التبصرة في الفقه.

طبعت في بغداد سنة ١٣٣٨ هـ[4].

١٥ ـ وجيزة الأحكام.

طبعت في النجف أربع مرّات.

---

(١) الذريعة ٢٤: ٣٧.

(٢) مجمع رجال الفكر والأدب ٣: ١٠٤٩.

(٣) الذريعة ١٢: ١١.

(٤) معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٠٤٩.

وهي رسالة عمليّة تسمّىٰ كذلك: بنجاة العباد، أو: وجيزة المسائل[١].

والمكتوبة باللغة الفارسيّة تسمّىٰ: الوجيزة الصغرىٰ، والمكتوبة باللغة العربيّة تسمّىٰ: الوجيزة الكبرىٰ.

١٦ ـ المواكب الحسينيّة.

طبع سنة ١٣٤٥ هـ.

وهو كتاب في الردّ علىٰ منكري بعض أنواع إقامة العزاء[٢].

١٧ ـ ذخيرة الأنام في ترجمة وجيزة الأحكام.

وهي رسالة عمليّة طبعت سنة ١٣٣٩ هـ[٣].

١٨ ـ نظم كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار.

وكتاب كشف الأستار للميرزا حسين النوري المتوفّى سنة ١٣٢٠ هـ، ألّفه رفعاً لاستبعادات وجود الحجّة وبعض إشكالاته المندرجة في قصيدة أرسلت من بغداد إلى علماء النجف، فكتب جوابه في أيّام قلائل سنة ١٣١٨ هـ، وطبع في هذه السنة بعينها.

ثمّ إنّ المترجم نظّم مضامين الكتاب بقصيدة طبعت في آخر الكشف بتبريز.

أوّلها من حيث النظم:

«بنفسي بعيد الدار قربّه الفكر وأدناه من عشّاقه الشوق والذكر»[٤].

١٩ ـ عين الميزان.

رسالة في انتقاد مقالة: «ميزان الجرح والتعديل» للشيخ جمال الدين

(١) الذريعة ٢٥: ٤٩.

(٢) المصدر السابق ٢٣: ٣٣٢.

(٣) المصدر السابق ١٠: ١٤.

(٤) المصدر السابق ١٨: ١١ و ٢٤: ٢٢٢.

القاسمي الدمشقي[١]، طبعت في صيدا سنة ١٣٣٠ هـ[٢].

٢٠ ـ حاشية علىٰ عين الحياة في الفقه.

لأخيه المرحوم الشيخ أحمد.

طبعت في بمبئي بالهند سنة ١٣٤٥ هـ. وهي حاشية باللغة الفارسيّة[٣].

٢١ ـ تحرير المجلّة.

طبع في النجف، وأُعيد طبعه بالأُوفسيت في مجلّدين.

وقد وفّقت لتحقيقه في خمسة مجلّدات، ونشره المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة.

٢٢ ـ مقتل الحسين عليه السلام.

طبع مؤخّراً طبعة محقّقة بنشر مكتبة الشريف الرضي في مدينة قم سنة ١٤١٩ هـ.

أوّله: «عن الإمام العسكري عليه السلام في تفسيره المشهور...».

٢٣ ـ حاشية علىٰ العروة الوثقى.

طبعت في النجف.

---

(١) جمال الدين بن محمّد سعيد بن قاسم القاسمي الدمشقي: عالم مشارك في بعض أنواع العلوم. ولد بدمشق سنة ١٨٦٦م، ونشأ وتعلّم بها، انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامّة في البلاد السوريّة، فأقام في عمله هذا أربع سنوات، ثمّ رحل الى مصر وزار المدينة وعاد إلى دمشق فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس في التفسير وعلوم الشريعة الإسلاميّة والأدب إلى أن توفّي سنة ١١٤م. من تصانيف: محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم، قواعد التحديث، مصطلح الحديث، دلائل التوحيد. (معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ٢: ١٤٨٣ ـ ١٤٨٦، تاريخ علماء دمشق ١: ٢٩٨ ـ ٣٠٨، معجم المؤلّفين ٣: ١٥٧ـ١٥٨ و١١: ٢٢٠ و١٣: ٤٢٠).

(٢) الذريعة ١٥: ٣٧٣ و ٢٤: ٢٩٦.

(٣) لغت نامه (فارسي) ١٢: ١٨٠٢٣.

٢٤ ـ تعليقة علىٰ كتاب: «الوساطة بين المتنبّي وخصومه» للقاضي الجرجاني[١].

٢٥ ـ تعليقة علىٰ كتاب: «معالم الإصابة في الكاتب والكتابة».

٢٦ ـ تعليقة علىٰ «ديوان السيّد محمّد سعيد الحبّوبي»[٢].

٢٧ ـ تعليقة علىٰ ديوان «سحر بابل وسجع البلابل» للسيّد جعفر الحلّي[٣].

وقد طبعت هذه التعاليق الأربع في لبنان.

٢٨ ـ تعليقات علىٰ سفينة النجاة.

لأخيه الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء في أربعة مجلّدات. تناولت جميع

(١) أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد الجرجاني الشافعي: فقيه أديب. سمع ببغداد من: علي بن المحسن التنوخي، والخطيب البغدادي، ومحمّد بن محمّد بن غيلان، وغيرهم. وتفقّه على أبي إسحاق الشيرازي. تولّى قضاء البصرة، وتوفّي سنة ٤٨٢ هـ راجعاً إلى البصرة من أصفهان. من تصانيفه: الشافي، التحرير، البلغة، كنايات الأدباء وإشارات البلغاء. (المنتظم ١٦: ٢٨٥، طبقات الشافعية للسبكي ٤: ٧٤ ـ ٧٦، معجم المؤلّفين ٢: ٦٦).

(٢) السيّد أبو علي محمّد بن سعيد بن محمود بن قاسم بن كاظم بن حسين بن حمزة بن مصطفى الحبّوبي النجفي: عالم عامل فقيه ثقة أمين مجاهد أديب معروف، ولد في النجف سنة ١٢٦٦ هـ. حضر دروس بعض الأعلام كدرس الشرابياني، والميرزا أمين الله الرشتي، والشيخ محمّد حسين الكاظمي، والآغا رضا الهمداني، والآغا حسين قلي الهمداني، والشيخ عبّاس الأعسم. له مجالس أدبيّة ومحاضرات مفيدة، وقد ترك آثاراً في الفقه والأُصول وكتابات متفرّقة لم يطبع منها شيء. كان من أعيان المجاهدين ضدّ الإنجليز، له ديوان شعر مطبوع. توفّي في ناصريّة المنتفك عند عودته من الجهاد لمرض أصابه أيّاماً قلائل سنة ١٣٣٣ هـ عن عمر ناهر السبعين سنة. وحمل جثمانه الطاهر إلى النجف، وأُقبر بعد الغروب بساعة في الإيوان الكبير في جهة القبلة. (معارف الرجال ٢: ٢٩١ ـ ٢٩٣، أعيان الشيعة ٩: ٣٤٤ ـ ٣٤٦، شعراء الغري ٩: ١٤٧ ـ ١٩٩).

(٣) السيّد جعفر بن محمّد بن محمّد حسن الحسيني الحلّي النجفي: شاعر معروف، مدح الكثير من أُمراء عصره وعلمائه، ورثى الإمام الحسين عليه السلام والعلماء والأُدباء. له ديوان شعر جمعه أخوه السيّد هاشم، وطبع عدّة مرّات في العراق ولبنان. توفّي سنة ١٣١٥ هـ. (معارف الرجال ١: ١٧١ ـ ١٧٦، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٤٤٠ ـ ٤٤٢).

أبواب الفقه. وقد طبعت مرّتين.

٢٩ ـ العبقات العنبريّة في الطبقات الجعفريّة، أو: النفحات العنبريّة في الطبقات الجعفريّة.

وهو أوّل مؤلّف له في الأدب، تكفّل تاريخ أُسرته وترجمة رجالها، كما تناول تاريخ النجف العلمي والأدبي.

طبع مؤخّراً بتحقيق الدكتور جودت كاظم القزويني.

٣٠ ـ جنّة المأوى.

وهو علىٰ غرار الفردوس الأعلىٰ، مطبوع.

٣١ ـ شرح العروة الوثقى.

في أربعة مجلّدات كبيرة، وهو أوّل تأليفاته في الفقه.

٣٢ ـ نزهة السمر ونهزة السفر.

وهو مجموعة خواطره التي كتبها في رحلته إلى الحجّ حدود عام ١٣٢٩ هـ، وكذلك رحلته إلى سوريا ومصر.

٣٣ ـ تنقيح الكفاية في الأُصول.

ويُسمّىٰ: تنقيح الأُصول.

٣٤ ـ دائرة المعارف العليا.

وهي مجموعة مباحث في أُصول الدين وفروعه في عدّة أجزاء.

٣٥ ـ الشعر الحسن من شعر الحسين.

وهو ديوان شعره، ويتضمّن أكثر من سبعة آلاف بيت.

٣٦ ـ ملخّص شرح العروة الوثقى.

في مجلّد واحد.

٣٧ ـ الخطب الأربع.

٣٨ ـ الخطبة التأريخيّة في القدس.

٣٩ ـ خطبة الاتّحاد والاقتصاد.

٤٠ ـ خطبة الباكستان.

٤١ ـ مناسك الحجّ (عربي ـ فارسي).

٤٢ ـ حاشية علىٰ مجمع الرسائل.

٤٣ ـ الدروس الدينيّة.

طبع بصيدا سنة ١٣٧٧ هـ.

٤٤ ـ حاشية علىٰ كتاب: «الأسفار» للشيخ صدر الدين الشيرازي[١].

٤٥ ـ حاشية علىٰ «العرشيّة» للشيخ الشيرازي أيضاً.

٤٦ ـ حاشية علىٰ المكاسب.

وقد أسماها: النظر الثاقب ونيل الطالب.

٤٧ ـ حاشية علىٰ الرسائل.

٤٨ ـ حاشية علىٰ كفاية الأُصول.

٤٩ ـ رسالة في الجمع بين الأحكام الظاهريّة والواقعيّة ومراتب الحكم.

٥٠ ـ حاشية علىٰ قوانين الأُصول.

---

(١) المولى صدر الدين محمّد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي القوّامي المعروف بصدر المتألّهين: من عظماء الفلاسفة الإلهيّين. ولد بشيراز، وكان أوّل حضوره لطلب العلم عند الشيخ بهاء الدين العاملي، ثمّ المحقّق محمّد باقر الداماد. تتلمذ عليه جملة من العلماء، كعبد الرزّاق اللاهيجي، والفيض الكاشاني. له: كتاب الأسفار الشهير، ومفاتيح الغيب، والمبدأ والمعاد، وأسرار الآيات، وإكسير العارفين، وغيرها. توفّي سنة ١٠٥٠ هـ، في البصرة في طريقه للحجّ. (لؤلؤة البحرين: ١٣١ ـ ١٣٢، روضات الجنّات ٤: ١٢٠ ـ ١٢٢، أعيان الشيعة ٩: ٣٢١ ـ ٣٣٠).

٥١ ـ تعليقة علىٰ «أمالي المرتضى»[١].

٥٢ ـ تعليقات علىٰ كتاب: «الفتنة الكبرى» للدكتور طه حسين[٢].

٥٣ ـ تعليقة علىٰ كتاب: «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» للشيخ علي محيي الدين[٣].

وقد حقّق هذا الكتاب من قبل الدكتور عبدالرزّاق محيي الدين تلبية لرغبة

---

(١) السيّد أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم المشهور بالسيّد المرتضى علم الهدى: سيّد علماء الأُمّة ومحيي آثار الأئمة، جمع حظاً وافراً من العلوم، وكان فاضلاً ثقة جليلاً. ولد ببغداد سنة ٣٥٥ هـ، وتتلمذ على الشيخ المفيد وغيره. من تلاميذه: الشيخ الطوسي، وأبو الصلاح الحلبي، ومحمّد بن علي الكراجكي. له: الشافي في الإمامه، والذخيرة، وجمل العلم والعمل، وكتاب الطيف والخيال، وغيرها. توفّي سنة ٤٣٦ هـ، وصلّى عليه ابنه في داره ودفن فيها، ونقل رفاته إلى جوار مشهد الحسين عليه‌السلام. (تاريخ بغداد ١١: ٤٠٢، سير أعلام النبلاء ١٧: ٥٨٨ ـ ٥٩٠، أمل الآمل ٢: ١٨٢ ـ ١٨٥).

(٢) طه حسين: الأديب المصري المعروف. ولد في مصر العليا سنة ١٨٨٩ هـ، وفقد بصره وهو طفل. درس في الأزهر ثمّ في الجامعة المصريّة ثمّ في السوربون بباريس، ونال أعلىٰ الدرجات العلميّة، وفي سنة ١٩٢٥ م عيّن أُستاذاً في الجامعة المصريّة، ثمّ انتدب عميداً لها، ثمّ مديراً لجامعة الإسكندريّة، وفي سنة ١٩٥٠ م أصبح وزيراً للتعليم، كان ذا ذكاء متوقّد وعناد ونهج جديد وعاطفة لا حدّ لها. له تراث أدبي وفكري ضخم نذكر منه: الأيّام، وفي الأدب الجاهلي، ومع أبي العلاء في سجنه، ومستقبل الثقافه في مصر. توفّي سنة ١٩٧٣ م. (الأعلام للزركلي ٣: ٢٣١ ـ ٢٣٢، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٣٣٥).

(٣) علي بن الحسين بن محيي الدين بن عبد اللطيف بن نور الدين علي بن شهاب الدين أحمد ابن أبي جامع العاملي الحارثي الهمذاني: مفسّر، من علماء الشيعة الإماميّة. ولّي مشيخة الإسلام وبعض الوظائف الشرعيّة في بلدة خلف آباد. من آثاره الوجيز في تفسير القرآن العزيز، فرغ من تأليفه في النجف سنة ١١١٨ هـ، وطبع في بغداد سنة ١٩٥٣ م الجزء الأوّل منه، ومن آثاره أيضاً: وصلة الأُصول، وشرح الأربعين حديثاً في الطهارة، وشرح تحفة المبتدي. توفّي بعد سنة ١١٢٤ هـ. (أعيان الشيعة ٨: ٢٠١ ـ ٢٠٢، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١١٦٩ ـ ١١٧٠، معجم المفسّرين لنويهض ١١: ٣٥٩).

السيّد محسن الحكيم ﷺ[١].

٥٤ ـ منتخبات شعريّة.

وهي ثلاث مجاميع من الشعر، باسم: العصريّات، والمصريّات، وطرائف الحكم.

٥٥ ـ عقود حياتي.

وهو ترجمة ضافية لشخصه بقلمه. وقد فُقد هذا الكتاب قبل وفاته بسنتين، ومعه مجموع شعره الذي نظمه بعد الخمسين من عمره.

وقد عثر الأُستاذ كامل سلمان الجبوري على هذا الكتاب، وطُبع ضمن كتابه: «النجف الأشرف وحركة الجهاد»[٢].

٥٦ ـ مبادئ الإيمان في الدروس الدينيّة.

والظاهر أنّه كتاب: الدروس الدينيّة المتقدّم برقم (٤٣).

٥٧ ـ نصيحة لعموم المسلمين.

٥٨ ـ نقد كتاب: «ملوك العرب» للأُستاذ أمين الريحاني.

نشر في جريدة النجف للمرحوم يوسف رجيب[٣].

٥٩ ـ رسالة في إرث الزوجة.

٦٠ ـ نقض الفتاوىٰ الوهابيّة.

طُبع مؤخّراً بتحقيق ونشر دار الغدير البيروتيّة عام ١٤١٩ هـ.

وقد تكون هذه الرسالة المحقّقة أخيراً مستلّةً من كتاب «الآيات البيّنات».

٦١ ـ مولد النبيّ ﷺ وبعثته.

---

(١) أساطين المرجعية العليا: ٢٥٥.

(٢) المصدر السابق: ٢٥٦.

(٣) يوسف رُجَيب النجفي: أديب قصصي. ولد سنة ١٨٩٥ م، نشأ وعاش بالنجف، وأصدر مجلّة «النجف» عامين، وبحث قصّة الهادي الشمّري وقصصاً أُخرى في بعض مجلّات العراق، ومرض فانتقل إلى ظهر الباشق بلبنان، فكانت فيه منيّته سنة ١٩٤٧ م. (الأعلام للزركلي ٨: ٢٣١).

٦٢ ـ تعاليق علىٰ نهج البلاغة.

٦٣ ـ التضحية في ضاحية الطفّ.

٦٤ ـ الحسين عليه‌السلام كتاب الله التكويني.

٦٥ ـ المسائل القندهارية.

وهو كتابٌ باللغة الفارسيّة، تُرجم إلى اللغة العربيّة، وأُلحق بكتاب الفردوس الأعلى.

٦٦ ـ رسالة في الاجتهاد والتقليد.

٦٧ ـ مجموعة الفتاوى.

٦٨ ـ صحائف الأبرار في وظائف الأسحار.

وقد طبع في تبريز سنة ١٣٨٧ هـ.

٦٩ ـ رسالة عن الاجتهاد عند الشيعة.

٧٠ ـ نقود علىٰ بعض شروحات الشيخ محمّد عبده لنهج البلاغة.

وقد يكون هو كتاب التعاليق ماضي الذكر، كما هو الظاهر.

٧١ ـ حاشية علىٰ الفصول.

٧٢ ـ حاشية علىٰ الهداية الأثيرية.

٧٣ ـ حاشية علىٰ «رسالة الوجود» للملّا صدرا.

٧٤ ـ دائرة المعارف الصغرىٰ.

٧٥ ـ سدرة المنتهىٰ.

٧٦ ـ التعليقات على الكلم الجامعة والحكم النافعة للسيّد اليزدي.

٧٧ ـ مقالات فلسفيّة.

في: وحدة الوجود، والعقول العشرة، والحركة الجوهريّة، وقاعدة (الواحد لا يصدر عنه إلّا واحد).

٧٨ ـ في السياسة والحكمة.

وقد طبع أخيراً بنشر دار التوحيد الإسلامي ببيروت لسنة ١٤٠١ هـ.

٧٩ ـ تنقيح المقال في مباحث الألفاظ.

٨٠ ـ منتخبات من الأحاديث والأخبار والتراجم.

٨١ ـ المذكّرات.

وقد قام بتحقيقه الأُستاذ كامل سلمان الجبوري ضمن كتابه: «النجف الأشرف وحركة الجهاد»، المطبوع في بيروت[١].

٨٢ ـ تعليقة على كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة الدينوري[٢]، وشرحه للبطليوسي[٣].

٨٣ ـ تاريخ القرآن.

وقد ترجم الشيخ ﷺ من الفارسيّة الكتب التالية:

١ ـ فارسي هيئت.

متعدّد، للخواجة الطوسي وغيره. والمعروف بهذا العنوان هو «هيئت» للمولى علي القوشجي[٤]، طبع مكرّراً[٥].

---

(١) أساطين المرجعية العليا: ٢٥٢.

(٢) أبو محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدينوري: أديب وفقيه مشهور. ولد في الكوفة سنة ٢١٣ هـ، خراساني الأصل، كان له اشتغال بالأدب والكتابة والقضاء، وله كتب في غريب القرآن والحديث والأدب والأخبار والفقه. ولّي قضاء دينور زمناً. توفّي سنة ٢٧٦ هـ. (تاريخ بغداد ١٠: ١٧٠ ـ ١٧١، سير أعلام النبلاء ١٣: ٢٩٦ ـ ٣٠٢، الموجز في الأدب العربي وتاريخه ٢: ١٣٥).

(٣) أبو محمّد عبدالله بن محمّد بن السيّد البطليوسي: من علماء اللغة والأدب ولد في بطليوس في الأندلس سنة ٤٤٤ هـ، ونشأ بها، وانتقل إلى بلنسية فسكنها، وتوفّي فيها سنة ٥٢١ هـ. من كتبه: الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب لابن قتيبة، المسائل والأجوبة، المثلّث في اللغة، شرح سقط الزند، شرح الموطّأ، الحلل في أغاليط الجمل. (المغرب في حلى المغرب ١: ٣٨٥ ـ ٣٨٦، البداية والنهاية ١٢: ١٩٨، الأعلام للزركلي ٤: ١٢٣).

(٤) علاء الدين علي محمّد القوشجي الحنفي، أصله من سمرقند: عالم شارك في أنواع من العلوم. أقام بالآستانة، وتوفّي بها سنة ٨٧٩ هـ. من تصانيفه: مسيرة القلوب في دفع الكروب في علم الهيئة، تفسير سورتي البقرة وآل عمران، رسالة في موضوعات العلوم، عنقود الزواهر. (البدر الطالع ١: ٤٩٥، هدية العارفين ١: ٧٣٦، معجم المؤلّفين ٧: ٢٢٧).

(٥) الذريعة ١٦: ٩٤.

٢ ـ حجّة السعادة في حجّة الشهادة.

في بيان وقعة يوم الطفّ بكربلاء وسائر ما وقع في الدنيا سنة ٦١ هـ من الوقائع التأريخية. والكتاب لاعتماد الدولة محمّد حسن خان بن علي خان المراغي[١].

فرغ المصنّف منه سنة ١٣٠٤ هـ، وطبع بإيران سنة ١٣١٠ هـ[٢].

٣ ـ رحلة ناصر خسرو[٣].

كما ترجم بعض الفرائد المعروفة في الأدب الفارسي.

وكذلك قام بالتقديم لبعض الكتب، ككتاب: «الذريعة»، وكتاب: «المهدي وأحمد أمين»، وكتاب: «دائرة المعارف الشيعيّة العامّة»، وكتاب: «ماضي النجف وحاضرها»[٤].

وله كذلك مئات البحوث والكلمات والخطب والتقاريض والمراسلات العلميّة، ممّا ينهض بعدّة مجلّدات.

---

(١) محمّد حسن خان بن علي خان المراغي الملقّب باعتماد السلطنة: أديب مؤرّخ، كان وزيراً للطباعة في أيّام السلطان ناصر الدين شاه القاجاري. توفّي سنة ١٣١٣ هـ. من آثاره: المآثر والآثار، مرآة البلدان، مطلع الشمس في تاريخ خراسان، والتراجم من الرجال. (معجم المؤلّفين ٩: ١٨٦ و ٢٠٥).

(٢) الذريعة ٦: ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٣) أبو معين ناصر خسرو بن حارث القبادياني البلخي المروزي الملقّب بحجّت: من شعراء اللغة الفارسيّة المطبوعين المجيدين. ولد في إحدىٰ نواحي بلخ (قباديان) سنة ٣٩٤ هـ، منذ نعومة أظفاره طلب العلم والأدب، ومن ثمّ تسلّط علىٰ جملة من العلوم العقليّة والنقليّة المتداولة آنذاك كالطبّ والهندسة والمنطق والموسيقى والنجوم والفلسفة والكلام. تقلّب في بعض المناصب أيّام السلطان محمود الغزنوي وابنه مسعود. انتُدب للبيعة للطريقة الإسماعيليّة في خراسان من قبل المستنصر بالله الفاطمي. له من المؤلّفات: ديوان شعره الذي يربو علىٰ عشرة آلاف بيت، مثنوي روشنائي نامه، سعادة نامه مثنوي، سفرنامه، زاد المسافرين، خوان الإخوان، جامع الحكمتين، وغيرها. (لغت نامه (فارسي) ١٤: ٢٢١٧٥ ـ ٢٢١٨٠).

(٤) معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩: ٢٧٩.

الفصل الثامن :

وفاته وما قيل في شخصه

مرضه ووفاته ومدفنه

أثّر التعب والكدّ في صاحب تلك الروح العظيمة. وكذلك الظروف الصعبة التي كانت تواجه الفقيد. وقبل وفاته بشهر دخل مستشفى الكرخ ببغداد. وذلك بدعوة من وزارة الصحّة عندما أحسّت بتأخّر في استرداد صحّته نتيجة لإصابته بالتهاب البروستات.

وقد أرسل خطاباً ـ وهو على سرير المرض ـ إلى مسلمي البحرين طالباً منهم إنهاء الحرب الطائفية التي حدثت بينهم آنذاك.

ولكنّه ـ بعد إقامة لمدّة قصيرة في المستشفى قرابة الشهر ـ آثر السفر إلى قرية من قرى مدينة كرمان شاه الإيرانيّة يقال لها: (كرند)، تقع بين كرمان شاه وخانقين ـ وكان قد سافر إليها سابقاً عام ١٣٦٦ هـ حيث نزل حينها ضيفاً علىٰ الميرزا حسين احتشامي ـ من أجل الاستجمام، بحيث يقضي بها بعض الأيّام، ومن ثمّ ليرجع إلى زيارة كربلاء عيد الأضحى، فامتنع الأطبّاء عن السماح له بالخروج، ولكنّه قرّر أن يمضي علىٰ رأيه، فسافر إليها ليلة السبت في السادس عشر من شهر ذي القعدة.

ولنا هنا وقفة، وهي: أنّ أروع شاهد علىٰ قوّة معين الأدب واستمرار دفقه وعدم نضوبه عند المترجم ما حدث له ﷺ قبل موته من طغيان هذه المادّة. بعد أن أشغلته الزعامة الدينيّة عن مواصلة النظم إلّا في فترات لا يجد عنها محيصاً. وهو وصفه لقرية (كرند) وجلوسه عند عين ماءٍ فوّارة أهاجت حسّه الأدبي، فانطلق يغرّد بقصيدة تعرب عن خواطر عميقة في حياته، وبعد نظمه لها بعشرة ساعات

توفّىٰ، وانطلقت روحه إلى الفردوس الأعلىٰ.

وقد بدأ النظم بقوله: «إنّ قريحة الشاعر كعين الماء، إن استعملت فارت، وإن أهملت غارت».

ثمّ قال:

يدهش اللبّ من كرند رجال ... مثل قلب البخيل جلمود صخره
غير أنّ العيون منها جوارٍ ... وعيون البخيل لم تند قطره
كم دروس منها استفدت فكانت ... فكرة ثمّ عِبرة ثمّ عبره
يا جبال الأجيال والدهر يعدو ... للفنا وهي في البقاءِ مستقرّه
وقفت والزمان يمشي عليها ... راكضاً وهي في الفلا مشمخرّه
قد سبقن الشعرى العبور عبوراً ... لجّة الكون واحترزن المجرّه
هي مثل الحديد صمّ ولكن ... قد كستها الأشجار أينع خضره
وينابيعها تفيض زلالاً ... صفق الريح بالعذوبة نهره
وعليها الطيور تشدو بلحنٍ ... جالب للثكول كلّ مسرّه
نطحت جبهة السماءِ ولاحت ... في جبين التأريخ للأرض غرّه
وحدة والسيول قد فرّقتها ... قطعاً فهي وحدة وهي كثره
كلّ طود كالشيخ قد غالب الكون ... عراكاً فقوّس الدهر ظهره
سائلوها عن الملوك الخوالي ... أين تيجانها وأين الأسرّه
قصر (شيرين) هاهنا وعليها ... ذاب (فرهاد) حسرة بعد حسره
كم ملوك تنعمت في ذراها ... ثمّ راحت في عالم الذّر ذرّه
وبهذي الشعاب كم عاش شعب ... قد جهلناه حتّى بناه وذكره
أين ساسان و السلاطين منه ... ملاؤا الأرض بسط علم وقدره
قد أقمنا بها زماناً فعمّنا ... برده والعراق يلفح حرّه

نحن في الصيف والشتاء علينا قارص يجلب الأذى والمضرّه
خير أوقاتنا الظهيرة فيها نتسلّى ظهر النهار وعصره
أوقفتنا تلك الجبال حيارى نتحرّى سرّ الجلال وسفره
يذهب الفكر صاعداً ثمّ يهوي واجداً في طريقه كلّ عبره
يا بديع الجمال في كلّ قلب نور ذاك الجمال أودع جمره
قد سقتنا تلك الشمائل كأساً فكسرنا ولم نذق قطّ خمره
إنّ هذا الوجود بحر ولكن أين من في الوجود يسبر قعره
ولهذي الأكوان لبّ ولكن ما عرفنا حتّى لحاه وقشره
ولهذي الحياة معنى ولكن علّنا بالممات نعرف سرّه

ثمّ إنّ الشيخ ﵀ ما مضت عليه ليلتان في (كرند) حتّى اعتراه عارض مفاجئ ارتحلت روحه الطاهرة علىٰ أثره إلى الفردوس الأعلىٰ. وذلك قبل طلوع صباح يوم الاثنين المصادف للثامن عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٣ هـ، وللتاسع عشر من شهر تمّوز عام ١٩٥٤ م[١].

ونقل جثمانه الطاهر إلى بغداد بعد أن حضر (كرند) ممثلوا الحكومة العراقيّة، وما إن وصل بغداد في الساعة الحادية عشرة مساءً، حتّى كانت بغداد تموج بأهلها والمواكب تنتظر وصوله. وكان في مقدّمة المستقبلين أصحاب الفخامة والمعالي والسعادة والوجوه، فحملوه من منطقة السيّد سلطان علي إلى محطّة القطار.

ولمّا وصل الجثمان في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل هُيء له

---

(١) هذا هو التأريخ المثبت في: شعراء الغري ٨: ١٢٨، ومعجم المؤلّفين ٩: ٢٥٠.
وقيل: توفّي في اليوم الخامس عشر من ذي القعدة. (معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٠٤٩).
وقيل: توفّي في اليوم السابع عشر من ذي القعدة. (شعراء الغري ٨: ١٢٣).

قطار خاصّ مؤلّف من عربات الدرجة الأُولى والثانية. وقد ضمّ الشخصيّات من وزراء الدولة والوجهاء وآل كاشف الغطاء، وسار إلى كربلاء فوصلها في الساعة الخامسة صباحاً[١]، ومن ثمّ إلى مدينة النجف الأشرف، فدفن في مقبرة خاصّة له في وادي السلام في قبرٍ أعدّه الشيخ ﷺ لنفسه قبل موته بمدّة مديدة.

قيل: إنّه كان كثير الاختلاف والتردّد علىٰ قبره، وكان إذا انتهى إليه اضطجع فيه، وراح يردّد قوله تعالى بصوتٍ حزين: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾[٢] ودموعه جارية وحسراته وارية.

وأُقيمت علىٰ روحه الفاتحة من قبل الأُسرة الكريمة في مسجدهم، واستمرّت الفواتح إلى يوم الأربعين، كفاتحة السيّد محسن الحكيم ﷺ، وفاتحة السيّد عبدالهادي الشيرازي ﷺ، وفاتحة السيّد محمود الشاهرودي ﷺ، وفاتحة السيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي ﷺ، وفاتحة السيّد محمّد باقر الشخص ﷺ، وفاتحة الشيخ عبدالكريم الزنجاني ﷺ. كما استمرّت الوفود تتقاطر علىٰ الفواتح من مختلف أنحاء العراق، ورثاه الشعراء، وناحه الخطباء، وأبّنته الجمعيّات، كجمعيّة الرابطة العلميّة الأدبيّة، وجمعيّة التحرير الثقافي، وجمعيّة منتدىٰ النشر، كما ونعته الصحافة العالميّة.

وممن أرّخوا وفاته السيّد محمّد حسن الطالقاني بقوله:

دارت بأرجاء الفضا صرخة ... فطبقت أمواجها الخافقين
هزّت عمود الدين بل ضعضعت ... أركانه وانهار من جانبين
قضى حسين بكرند فذي ... النعاة قد عادت بخفّي حنين

---

(١) في هامش معارف الرجال (٢: ٢٧٦) ما نصّه: «إلّا أنّ الحكومة الحاضرة تولّت تسيير الجثمان من طريق لا يمرّ بالجماهير المستقبلة، وبعد ساعات أعلموهم أنّ الجثمان كاد أن يصل النجف، فما انتظاركم؟! فرجعوا وملؤهم السخط والنقمة».

(٢) سورة المؤمنون ٢٣: ٩٩ ـ ١٠٠.

يـا حسـرة الإسـلام مـذ أرّخـوا (أبكى الهدى والفضل فقد الحسين)

وكذلك أرّخ وفاته الشيخ علي البازي[١] بسبعة تواريخ، أوّلها:

مـدينة العـلم بكت قـطبها ومـن إلى الإسـلام إنسـان عـين

الحـجّة العـظمى مـثال التـقى فـقيه شـرع شـافع النشأتـين

أبـا حـليم كـيف يجدي البكـا عـليك والنـوح وصـفق اليـدين

الديـن قـد أصبح ينعاك والآي التـي بـها انـجلى كـلّ ريـن

قـد فـقدت خـيرة تأريـخها (وافـتقدت فيك الإمـام الحسـين)

وآخرها قوله عند دفن الفقيد ﷺ:

ذا مـرقد ضـمّ عـظيماً بكت لفـقده لمّـا قـضى كـلّ عـين

وشـرعة الإسـلام تأريـخها (يـندبها عـند ضـريح الحسـين)

وهكذا طوى هذا الفقيه الكبير والمصلح العظيم صفحة مشرقة بالعظمة والأعمال الصالحة والخدمات الإسلاميّة، فجزاه الله خير جزاء المحسنين.

ما قيل في شخصه

أستعرض هنا أقوال بعض الشخصيّات والكتّاب في حقّ الشيخ:

١ ـ قال الشيخ محمّد جواد مغنيه في حقّه: «كان من العلماء الذين هم أندر من الكبريت الأحمر، ومن أُولئك العلماء المتميّزين الذين لم يتحدّدوا في علائقهم

---

(١) الشيخ علي بن حسين بن جاسم بن إبراهيم بن محمّد بن نصيّف بن خليل بن جاسم بن سلطان بن علي الشهير بالبازي، كان شاعراً مؤرّخاً خطيباً معروفاً. ولد في النجف سنة ١٣٠٥ هـ. انصرف إلى ممارسة الأدب الشعبي حيث كان موهوباً فيه، واتّصل بالحاجّ زاير، والسيّد ميرزة الحلّي، وعبّود غفلة. وكانت له شخصيّة سياسيّة واكبت الحكم الشعبي والثورة العراقيّة. من مؤلّفاته: أدب التاريخ، وسيلة الدارين، وديوان شعر. توفّي في سنة ١٣٨٧ هـ. (شعراء الغري ٦: ٣٦٣ ـ ٤١٨، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٢٠٠ ـ ٢٠١).

مع مقلّديهم وأتباعهم فحسب، بل التقوا بالعالم ونقلت عنه فئات شتّى في الشرق والغرب، وعرف بهم البعيد أنّ في الشيعة معجزات من العبقريّة، وأنّ مذهب التشيّع يقوم على أقوى وأمتن أساس»[١].

٢ ـ قال حرز الدين: «كان عالماً أُصولياً فقيهاً وكاتباً بارعاً لا يدانيه أحد في عصرنا بقلمه وخطابته ومجالسه. صرع الكتّاب بقلمه، وأفحم المتكلّمين بمنطقه، وأرجف ممثّلي الدول والساسة بحديثه وشخصيّته. إضافة إلى أنّه كان بحّاثة منقّباً مؤرّخاً أديباً شاعراً. انفرد بالزعامة والرئاسة في العراق... وكان جريئاً بحديثه ونقده بليغاً جهوري الصوت، طالما دوى صوته في النجف في الصحن الغروي بالإرشادات والنصائح العامّة للمسلمين»[٢].

٣ ـ قال المدرّس التبريزي: «من فحول علماء الإماميّة المتبحّرين الثقات العدول، ومن فقهاء الإثني عشريّة، وحيد عصره وفريد دهره. كان متبحّراً في الفقه والأُصول والكلام والحديث والرجال والدراية والتفسير والعلوم الدينيّة الأُخرى»[٣].

٤ ـ قال الخاقاني: «له شخصيّة فذّة يصعب علىٰ الزمن أن يأتي بمثلها، فقد جمع كثيراً من النواحي التي عزّ أن تجمع في فقيه أو في زعيم ديني»[٤].

٥ ـ قال الأعلمي: «هو من كبار رجال الإسلام أخيراً ومشاهير علمائنا الشيعة .. يظهر فضله ونبحّره من مؤلّفاته وتقاريضه علىٰ كتب الأعلام»[٥].

---

(١) مجلّة «العرفان» ١٠ : ٩٣٨.

(٢) معارف الرجال ٢ : ٢٧٢.

(٣) ريحانة الأدب (فارسي) ٣: ٣٤٣.

(٤) شعراء الغري ٨: ١٠٠.

(٥) دائرة المعارف الشيعية العامّة ١٦ : ٣٣٠. وراجع تقريض المترجم له ﵀ علىٰ الذريعة (مقدّمة الجزء الأوّل)، ودائرة المعارف الشيعية العامّة ١ : ١٤.

٦ ـ قال دهخدا: «من فحول ومتبحّري علماء الإماميّة ومن عدول وثقات فقهاء الإثني عشريّة، وكان وحيد عصره وفريد دهره في كثرة تتبّعاته للعلوم المتنوّعة... ومن أكابر حماة الدين المبين والمدافعين عن شرع سيّد المرسلين»[١].

٧ ـ قال الدجيلي: «وقد تميّز بنبوغه ونشاطه العلمي، حيث انفتح ـ منذ شبابه ـ علىٰ الثقافة المعاصرة مضافاً إلى الثقافة الحوزويّة، وانعكس ذلك علىٰ نشاطه المبكر في حقل اللغة والأدب والسياسة والقانون فيما ألّف، وناقش كبار المفكّرين المعاصرين في مختلف فروع المعرفة التي أشرنا إليها من خلال الصحافة والمؤتمرات والمقابلات»[٢].

٨ ـ قال الخليلي: «لقد كان الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء نسيج وحده علماً وأدباً وفنّاً، وكان زعيماً روحياً فذّاً ومصلحاً كبيراً. سيظل التاريخ زمناً طويلاً يبحث عن نظير له بين جماعة الروحانيّين فلا يوفّق... وكان زعيماً من أكبر الزعماء في عالم الأدب شعراً ونثراً، ثمّ هو ـ بعد ذلك ـ محدّث بارع ما خلا حديثه من الملح الأدبيّة والنكت الغنيّة. أمّا الشخصيّة فحدِّث عنها ولا حرج»[٣].

٩ ـ قال الزركلي: «مجتهد إمامي أديب من زعماء الثورات الوطنيّة في العراق. كان من الكتّاب الشعراء الدعاة إلى الوفاق بين المسلمين، انتهت إليه الرئاسة في الفتوى والاجتهاد بعد وفاة أخيه أحمد بن علي»[٤].

١٠ ـ قال كحّالة: «فقيه أُصولي مجتهد محدّث أديب شاعر... ساهم في الثورات العراقيّة ضدّ الاستعمار البريطاني»[٥].

---

(١) لغت نامه (فارسي) ١٢: ١٨٠٢٣.
(٢) موسوعة النجف الأشرف ١١: ٣٠٣ ـ ٣٠٤.
(٣) هكذا عرفتهم ١: ٢٥١ ـ ٢٥٢.
(٤) الأعلام للزركلي ٦: ١٠٦ ـ ١٠٧.
(٥) معجم المؤلّفين ٩: ٢٥٠.

١١ ـ قال الأميني: «من أعلام الطائفة ومنابع العلم والأدب والفقه والأُصول وأئمّة القريض والفصاحة والبيان والتأليف والعلم... اشترك في الحركات الوطنيّة، وكان مهاباً لدى الدولة، وكانت كلمته مسموعة لدى الشعب. وكتب في أُمّهات الصحف العربيّة بحوثاً قيّمة نفيسة وقصائد قويّة متينة»[1].

١٢ ـ قال الغروي: «من كبار رجال الإسلام المعاصرين، ومن أشهر مشاهير الشيعة، وله دور كبير في العالم الإسلامي والشيعي»[2].

١٣ ـ قال الصغير: «عاد كبير علماء الشرق على الإطلاق، والزعيم الروحي للعالم العربي والإسلامي في أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته، وهو يمثّل أصالة الشيخ المفيد وموسوعية علم الهدى السيّد المرتضى ونهج الشيخ الطوسي، كما يجسّد أفكار السيّد جمال الدين في النهضة والإصلاح»[3].

وقال في موضع آخر: «لك أن تستمع إلى مزامير داود عند قراءة الشيخ للفاتحة والسورة في جماعته بخشوع وخضوع، ولك أن تتمتّع بصوتٍ متجاوب النبرات، يجعلك ساهماً، ويوقفك مستمعاً، والناس من خلفه يصلّون خاشعين، وآخرون بإزائه وعن يمينه وشماله يستمعون حالمين، فقد أُعطيَ كاشف الغطاء منحة إلهية بحسن الأداء، واستطالة الصوت، ورقّة النغمات، وتراصف الكلمات، وكان ذلك قد أُفرغ في قالب خاصّ به ومنسوب إليه وحده.

فإذا قبّلت يده بعد الصلاة وسألته بعض الفروع الفقهية حدّق إليك بعينيه الواسعتين، وأنت تنظر إلى تقاطيع وجهه السمراء، ولحيته البهيّة الحمراء، ويأخذ بالجواب الواضح في آفاق عليها مسحة من يسر وإسماح، حتّى تقف على الحقيقة

(١) معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٠٤٨ ـ ١٠٤٩.
(٢) مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٠٢.
(٣) أساطين المرجيعة العليا: ١٧٣.

ناصعة وأنت مقتنعٌ ومنبهرٌ بآنٍ واحد.

فإذا سألت عن حاله وصحّته قابلك بالبسمة والأدب الجمّ، وأجابك متهدّجاً في ردّه، بأنّه ـ والحمد لله ـ في خير عميم، وكأنّه خدينك وقرينك، وإن كان الفارق الزمني بينكما في العمر خمسين عاماً.

وهو بعد يصل ما أمر الله به أن يوصل، يحضر مناسبات الأُمّة، ويتبنّى شعار الأئمّة: «صِلْ مَنْ قطعَك»[١]، فتراه في أوّل الركب المتواصل مع رحمه وقومه ومجتمعه، ومظاهر هذا الملحظ عديدة: المجالس الخاصّة / النوادي الأدبية / المآتم الحسينية / المهرجانات الوطنية / الفواتح ومحافل التأبين / الدواوين العلمية النجفية / الطقوس والواجبات المتنوّعة، يمرّ بها وهو منطلق ويتعهّدها وهو متحفّز، فإذا حضر ذلك كان له فصل الخطاب، وعليه حسن الابتداء، ومنه أدب الجواب، ولديه جودة التخلّص والختام، متمتّعاً بسيماء الهيمنة وحشمة الوقار.

لا أُغالي بهذا كلّه ولا أُبالغ، بل له كلّ هذا، وفوق هذا كلّه لأنّه ظاهرةٌ فريدة قائمة بذاتها.

شاهدته في الصبا عند حضوره ديوان جدّي الشيخ حسين الصغير (ت ١٣٦٩هـ) عدّة مرات، وهو صديق قديم له منذ أيّام التلمذة عند أُستاذهما السيّد الطباطبائي اليزدي تَيُّئُ.

وشاهدته في أوائل الخمسينات وبالضبط في محرّم الحرام عام ١٣٧١هـ في جمعية التحرير الثقافي في النجف الأشرف وهو يحضر احتفالها في ذكرى شهداء الطفّ، يستمع إلى منظومها ومنثورها قصائد وكلمات، وكان عميدها الشيخ عبدالغني الخضري[٢] قد ألقى محاضرة ذهب فيها خلافاً للواقع (أنّ الكوفة عثمانية وأنّ

---

(١) كنز العمّال ٣: ٣٥٩.

(٢) عبدالغني بن حسن بن إسماعيل الخضري الجناجي المالكي: أديب شاعر. ولد في النجف ←

البصرة علوية)، فصاح به الشيخ بعد انتهاء الاحتفال وانتهره، وفنّد آراءه نقطة نقطة، والخضري بمثابة سكرتيره الخاصّ، فاصفرّ وجهه، واستنجد بالأُستاذ علي الخاقاني لنصرته، فما استطاع.

وشاهدته في ديوانه الرسمي (الطنبية)، وهي عبارة عن غرفة واسعة كبيرة بنيت في دار الشيخ جدّه الأكبر في الطابق الأعلى من البيت تتّسع لمئات من الناس، وهو يتصدّرها متحدّثاً ومفتياً وقاضياً وحكماً وأديباً ولبقاً ومستطرفاً،وعليه هيبة الدين وسيماء القدّيسين.

ورأيته في المجلس الأدبي والعلمي الرائع للمغفور له الشيخ قاسم محي الدين يصول ويجول مقلّباً الآراء، ومستقطباً العلماء والأُدباء، ومع وقاره وسؤدده فقد يرسل النادرة، ويستعذب المِلح»[1].

١٤ ـ قال الشيخ أغا بزرك الطهراني: «بعد عودته من القدس عرفت شخصيته في البلاد الإسلامية وغيرها بشكل خاصّ، وأخذ البريد يحمل إليه كتباً من الأقطار البعيدة والقريبة تشتمل على مسائل غامضة ومطالب عويصة في الفلسفة وأسرار التشريع، كلّ ذلك بالإضافة إلى الاستفتاءات الفقهية من الفروع والأُصول، فكان يقوم بذلك بمفرده، ولم تشغله هذه الأُمور ولا مرجعيته ولا تدريسه عن التأليف في

← عام ١٩٠٧م، ونشأ بها على والده، وقرأ دروسه الشرعية والأدبية على: الشيخ عبدالكريم الشرقي، والشيخ إبراهيم الكلباسي، والسيّد علي التبريزي، ثمّ حضر الأبحاث العالية على: الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والسيّد أبي الحسن الأصفهاني. اختلف على النوادي الأدبية، وطارح جمع من الشعراء، وأسّس في النجف جمعية التحرير الثقافي، وترأس تحرير مجلّة «التحرير الثقافي». له: ديوان شعر، والروضة الخضرية، وعواطف الأخوان، والرسائل الأدبية. توفّي عام ١٩٧٦م، ودفن في النجف. (شعراء الغري ٥: ٤٧٢ ـ ٤٨٠، معارف الرجال ٣: ٣٠، معجم الشعراء للجبوري ٣: ١٩٧).

(١) أساطين المرجعية العليا: ١٧٨ ـ ١٧٩.

المواضيع المهمّة اللازمة في بناء صرح الإسلام وهيكله المقدّس.

وقد سمت مداركه ونفذ فكره إلى أعماق الحقائق وأسرار العلوم والفضائل، حتّى تجلى ذلك في نفحات ألفاظه ورشحات أقلامه.

أمّا هو في خصوص الخطب والأدب والبلاغة والفصاحة فسحبان وائل[١]، حيث توسّع في ذلك وضرب بسهم وافر منه. ولا أُغالي إذا قلت: إنّه أخطب خطباء الشيعة، وقد سجّل الكثير من خطبه في مختلف المواضيع وشتّى المناسبات، وأُذيع على أمواج الأثير، فقرع سمع القاصي والداني، ودان له القريب والبعيد، ونشر قسم منه في المجلّات والجرائد.

أمّا غيرته على الإسلام واهتمامه للأُلفة وسعيه لاتّفاق الكلمة فحدّث عنه ولا حرج، فقد بذل في ذلك طارفه وتلاده، وسخى بمهجته في الله سالكاً أوعر السبل وأشقّ المناهج، ولم يترك طريقاً مؤدّية إلى ذلك إلّا سلكها ولا باباً إلّا طرقه، وله مواقف مشهودة اعترف له بها المخالف والمؤالف والعدوّ والصديق.

والحقيقة أنّه من مجتهدي الشيعة الذين غاصوا بحار علوم أهل البيت عليهم‌السلام، فاستخرجوا من تلك المكامن والمعادن جواهر المعاني ودراري الكلم، فنشروها بين الجمهور، وقد أدّى رسالة جليلة قلّ من حصل له التوفيق فأدّى مثلها، حيث كان مطّلعاً على التراث الروحي، يختار منه ما يتّفق مع القرآن والسنّة، ويتناسب مع عقلية الزمن وحاجة العصر»[٢].

١٥ ـ قال الفاضل الصارمي صاحب مجلّة «المواهب»: «رجل الخير

---

(١) سحبان بن زُفَر بن إياس الوائلي الباهلي. وصفه الجاحظ بخطيب العرب، يضرب به المثل في البيان، فكانوا إذا أرادوا مدح إنسان بذلك قالوا: هو أخطب من سحبان وائل. أدرك الجاهلية، وأسلم، ومات سنة ٥٤ هـ. (البيان والتبيين ١: ٤٨، بلوغ الإرب ٣: ١٥٦).

(٢) جنّة المأوى (المقدّمة): ٧٥ ـ ٧٦.

والإحسان والإنسانية الكاملة، رجل الصلاح والسماح، هو الفقيه بدينه، العارف بربّه، الخبير بأحكام السنن النبوية والشرائع الإلهية، هو المؤمن الموقن، التقيّ الورع، الناصح الأمين، المجاهد في الله والناس والنفس، هو من كان مشتملاً على هذه الخلال الطيّبة والصفات الحميدة كشيخنا آل كاشف الغطاء ـ عطّر الله ثراه ـ لا تأخذه في جهاده في سبيل الحقّ لومة لائم ولا فريّة كاشح واصم»[1].

وأذكر هنا رثاء الدكتور محمّد حسين الصغير للشيخ كاشف الغطاء، حيث يقول: «أُلقيت هذه القصيدة في مسجد الأُستاذ الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره في ١٣٧٣/١١/٢٥ هـ (١٩٥٤/٧/٢٥م) في رثاء فقيد الشرق العربي والإسلامي الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، وأُعيد إلقاؤها في جامع الهندي في النجف الأشرف برعاية الإمام الأكبر السيّد محسن الحكيم قدس سره، وهي أوّل قصيدة نظّمها الشاعر وألقاها ارتجالاً، وهو بعدُ لم يبلغ الحلم، وأحدث ضجّة أدبية.

بـاقٍ عَلى مرّ الزمانِ مخلّدُ	ذكر الحسين مع الشفاه يردّدُ
يستقبلُ الأجيالُ في نَفحاتِهِ	أَرَجاً.. وَيَغمُرهُ الجَلالُ ويحشدُ
هو ذلك البطلُ العظيمُ وعِندَهُ	للصالحات صحائفُ تتجسّدُ
شخصيةٌ عَظُمتْ على أقرانِها	شرفاً... وكان بها الملا يُسترشِدُ
تهدي العقول إلى الصلاحِ بمنطقٍ	بشعاعِهِ يُلقى الصلاح ويُنشَدُ
وتؤصّلُ الدين الحنيفَ مُجدِدًا	والدينُ في أُسلوبهِ يتجدّدُ
أنّى استطال الصوت في ظلماتِهِ	سعياً إليه... وهل يغيبُ الفرقدُ
والبحرُ لا يخفيه قبرٌ ضيّقٌ	في طيّه.. وهو الخضم المزبدُ

❋ ❋ ❋

أبتاهُ لو أجدى الرثاءُ لصغتُهُ	عِقداً به جيد الزمان يقلّد

---

(١) جنّة المأوى (المقدّمة): ٧٩.

ونشرتُ من قلبي الحزين قصيدة يَشدو بها عُودُ الخلود وينشدُ
لرأيت كيفَ الحبّ يفرغ رُوحهُ شعراً.. وكيف به الأسى يتوقّدُ
في كلّ قلب حسرةٌ رقراقةٌ وبكلّ عين عبرة لا تجمدُ
ماذا يفيدُ الدمعُ لو صيَّرتُهُ شعراً يفيضُ.. وأنتَ أنتَ الموردُ
وبكلِّ آونةٍ لكلِّ رزيته أثران: قافيةٌ.. وحزن سَرمَدُ
إنّا فقدنا والداً من عطفِهِ نُروى.. وعن أبنائِهِ يَتَفقّدُ
طُويتْ أمانينا.. وعزّ نصيرُنا وغزا نوادينا العدوّ الملحدُ

❊ ❊ ❊

إيهاً أبا عبدالحليم تحيّةً فعظيمُ فضلِكَ ليسَ فينا يُجحدُ
أفنيتَ عمرَكَ بالصلاحِ وبالتقى لله تعملُ جاهداً وتوحِّدُ
وعلمتَ أنّ العِلمَ ما يهدى بِهِ عقلٌ.. ويفتحُ فيه بابٌ موصدُ
خَلّدتَ مجدَك في الحياة مواقفاً وصحائفاً.. فيها الحياةُ تخلّدُ
«فالدينُ والإسلام» في «آياته» يهدي إلى «المُثل» الصحاح ويرشُدُ
و «أُصول» مذهب آل بيتِ محمّدٍ راحتْ «بتربتك» الزكيّة تعقَدُ
وزهتْ «بتحرير المجلّة» أنفسٌ كانتْ بأغلال الجمود تقيّدُ
صحفٌ سيرفعها الزمانُ منائر يحيا بها الجيل الجديد ويسعدُ[1]

وأخيراً أقتطف في مقامي هذا وصيّة الشيخ تِتِّئُ للمسلمين من كلمة ألقاها بمناسبة ليلة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في سنة ١٣٦٨هـ ببغداد، وأجعلها مسك الختام لهذا الكتاب:

«أيّها المسلمون، عودوا إلى ما كان عليه أسلافكم تعد لكم عزّتكم، أكرموا القرآن بالعمل به كي يعيد لكم كرامتكم، أترجون صلاحاً أو إصلاحاً من هذا

(١) أساطين المرجعيّة العليا: ٢٦١ ـ ٢٦٢.

الشباب الواهن المنجرف في تيّار شهواته، وقد فسد المعلّمون والمتعلّمون؟! فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ضاع الرعيل وقائده!

أصل بليتنا معاشر المسلمين هو الاستعمار، وكلّ رزيّة وبليّة فالاستعمار أصلها وفرعها ومنبعها ومطلعها، وما جرّ علينا بلاء الاستعمار ومكّنهم من نفوسنا وأموالنا وأولادنا وأخلاقنا وتقاليدنا إلّا زعمائنا وقادتنا:

وما أفسد الإسلام إلّا عصابة   تأمّر نوكاها ودام نعيمها

* * *

وأضحت قناة الدين في كفّ فاجر   أُقيم لإصلاح الورى وهو فاسد

* * *

وهل يستقيم الظل والعود أعوج   يقولون بالزبيبة عود

أما قضيّتنا ففي الزبيبة عمود! كلّ أحد يراه ويشكو بثّه إلى الله:

لمثل هذا يذوب القلب من أسف   لو كان في القلب إسلام وإيمان

أيّها المسلمون، احفظوا أولادكم من هذا الشرّ المستطير والداء الذي يفسد دينهم ودنياهم، أنشئوا لهم مدارس أهلية مثقّفة ثقافة دينية تتلائم مع روح العصر، واستحضروا لهم معلّمين من أهل الصلاح والفضيلة، فإنّ أهمّ واجب على المدارس الأهلية أو الحكومية جعل الدروس الدينية في الدرجة الأُولى من الأهمية، وتجعل امتحاناً وشهادة، ولا يتسنّى للأهلين إنشاء المدارس الكافية للتعليم إلّا بتشكيل الجمعيات الخيرية المخلصة؛ كي تتعاون على هذه الأعمال الجليلة والمشاريع الحيوية، وهذه (جمعية المقاصد الإسلامية الخيرية) بادرة خير من أهالي الكرخ، وهي بذرة صالحة يرجى بتوفيقه تعالى وهمّة المؤسّسين لها ومعاونة إخوانهم لهم أن تنمو نماءً حسناً، وتثمر ثمراً جنياً يجدون فيه الهدى والهناء والخير والبركة في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، ومن المعلوم أنّ الجمعيات مثل كلّ كائن يحتاج في

نموّه وبقائه إلى غذاء، وغذاؤه المال. فلا تتهاونوا في التعاون والمساعدة كلّ حسب إمكانه ومقدوره. القليل من الكثير كثير فتعاونوا واجتمعوا. فإنّ يد الله مع الجماعة، والاجتماع خير وبركة.

وآخر وصيتي ونصيحتي أقولها بدءً وعوداً، ولا أخصّ بها المسلمين، بل أقول: أيّها البشر، عليكم بالقرآن، ففيه سلامتكم بل سعادتكم. ولو عمل الناس به وأخذت الدول بتعاليمه لاستراحت البشرية من هذا التكالب والتحارب، وعرف كلّ حدّه وحقّه.

القرآن القرآن! اجعلوه الجامعة العربية والوحدة الإسلامية، وتجنّبوا الخلافات المذهبية والخصومات الطائفية. وليعمل كلّ على مذهبه في فروعه بغير جدال ولا خصومة. وأقصى الآمال والأماني أن تتوحّد الحكومة والأُمّة، فتكون الحكومة كأب بارّ بالرعية، والرعية كأبناء في معاونة الحكومة؛ كي يسعد الجميع، ويكون العراق كما يقال عن جمهورية أفلاطون[١] والمدينة الفاضلة للفارابي[٢]. وأهمّ ما يجب

---

(١) تقدّمت ترجمته سابقاً، فلاحظ.

(٢) أبو نصر محمّد بن محمّد بن طَرخان بن أُوزلغ الفارابي المعروف بالمعلّم الثاني: من أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، ولد في فاراب على نهر جيحون سنة ٢٦٠ هـ، وانتقل إلىٰ بغداد، فنشأ فيها وألّف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام، واتّصل بسيف الدولة الحمداني. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. يقال: إنّ الآلة الموسيقية المعروفة بالقانون من وضعه. كان زاهداً لا يحفل بأمر مسكن أو مكسب مائلاً إلى الانفراد. توفّي بدمشق سنة ٣٣٩ هـ. من كتبه: الفصوص، إحصاء العلوم، آراء أهل المدينة الفاضلة، إحصاء الإيقاعات، الموسيقىٰ الكبير، الآداب الملوكية، مبادئ الموجودات، السياسة المدنية، الخطابة. هذا، وقد تُرجم كتابه «الفصوص» إلى الألمانية، وتُرجم كتاب «مبادئ الموجودات» إلى العبرية. وللأساتذة: (عبّاس محمود العقّاد وإلياس فرح ومصطفىٰ عبد الرزّاق) كُتب في سيرته. (وفيات الأعيان ٥: ١٥٣ ـ ١٥٧، البداية والنهاية ١١: ٢٢٤، دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٠٧ ـ ٤١٢، موسوعة أعلام الفلسفة ٢: ١٢٦).

على المراجع المسؤولة انتخاب الموظّفين المهذّبين الذين لا يقطعون الصلة بين الحكومة والرعية بسوء تصرّفاتهم، ولا يجعلون الحكومة كذئاب مفترسة لهذا القطيع الوديع باستعمال الضغط الفظيع من الغطرسة والكبرياء والشره إلى الرشوات وارتكاب المنكرات.

حاسبوا أنفسكم ـ أيّها الناس ـ قبل أن تحاسبوا، واجعلوا نصب أعينكم المسؤولية العظمى: **﴿يا أيّها الناسُ إنَّ وعد الله حقّ فَلا تَغرنّكمُ الحياةُ الدُنيا ولا يغرنّكم باللهِ الغرور﴾**[1]»[2].

هذا آخر ما أردت سرده فيما يتعلّق بحياة الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، وأتوجّه إلى الله تعالى بالشكر على توفيقه لإكمال هذا الكتاب سائلاً إيّاه المغفرة والرحمة، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) سورة فاطر ٣٥: ٥.

(٢) جنّة المأوى: ١٣٣ ـ ١٣٨.

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ أبجد العلوم .

تأليف: صدّيق بن حسن خان القنوجي البخاري المتوفّىٰ سنة ١٣٠٧ هـ / تحقيق: أحمد شمس الدين / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٠هـ.

٣ ـ الإحكام لابن حزم: الإحكام في أُصول الأحكام .

تأليف: أبي محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي المتوفّىٰ سنة ٤٥٦هـ / نشر: دار الحديث ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣هـ.

٤ ـ أدب الدنيا والدين .

تأليف: أبي الحسن علي بن محمّد بن حبيب الماوردي البصري المتوفّىٰ سنة ٤٥٠هـ/ تحقيق: مصطفى السقّا/ نشر: المكتبة الثقافيّة ـ بيروت / الطبعة الثالثة .

٥ ـ أدب الطفّ: أدب الطفّ، أو: شعراء الحسين .

تأليف: جواد شبّر / نشر: دار المرتضىٰ ـ بيروت / ١٤٠٩هـ.

٦ ـ الأزهر في ألف عام.

تأليف: د. محمّد عبد المنعم الخفّاجي/ نشر: عالم الكتب ومكتبة الكلّيات الأزهريّة ـ بيروت والقاهرة/ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

٧ ـ أساطين المرجعية العليا: أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف.

تأليف: د. محمّد حسين علي الصغير / نشر: مؤسّسة البلاغ ودار سلوني ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤هـ.

٨ ـ الاستيعاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب .

تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ النمري القرطبي المالكي

المتوفّىٰ سنة ٤٦٣ هـ / تحقيق: علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥ هـ.

٩ ـ أُسد الغابة: أُسد الغابة في معرفة الصحابة .

تأليف: عزّ الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الموصلي المعروف بابن الأثير الجزري المتوفّىٰ سنة ٦٣٠ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٠ ـ الإصابة: الإصابة في تمييز الصحابة .

تأليف: أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمّد بن محمّد بن علي الكناني المصري العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت .

١١ ـ أصل الشيعة وأُصولها.

تأليف: محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسى بن جعفر آل كاشف الغطاء النجفي المتوفّى سنة ١٣٧٣هـ/ اهتمام: محمّد جعفر شمس الدين وحسن إسماعيل/ نشر: دار الأضواء ـ بيروت/ الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ.

١٢ ـ الأعلام للزركلي: الأعلام .

تأليف: أبي الغيث خير الدين الزِرِكْلي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٦ هـ / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٩ م.

١٣ ـ أعيان الشيعة .

تأليف: محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي المتوفّىٰ سنة ١٣٧١ هـ / تحقيق: حسن محسن الأمين العاملي / نشر: دار التعارف ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ .

١٤ ـ الأغاني .

تأليف: أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ٣٥٦هـ / مراجعة: عبد الستّار أحمد فرّاج / نشر: دار الثقافة ـ بيروت .

١٥ ـ أمل الآمل .

تأليف: محمّد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي المتوفّىٰ سنة ١١٠٤ هـ / تحقيق: أحمد

الحسيني / نشر: مكتبة الأندلس ـ بغداد.

١٦ ـ **إنجيل لوقا: الإنجيل.**

كتابة: لوقا / ترجمة ونشر: جمعية الكتاب المقدّس في الشرق الأدنىٰ ـ بيروت / ١٩٧٢ م.

١٧ ـ **الأنساب للسمعاني: كتاب الأنساب .**

تأليف: أبي سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميمي السمعاني المتوفّىٰ سنة ٥٦٢ هـ / تحقيق: عبد الله عمر البارودي / نشر: دار الجنان ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٨ هـ.

١٨ ـ **بحار الأنوار: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار .**

تأليف: محمّد باقر بن محمّد تقي بن المقصود علي المجلسي المتوفّىٰ سنة ١١١١هـ/ نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية المصحّحة ـ ١٤٠٣ هـ .

١٩ ـ **البدء والتاريخ .**

تأليف: أبي مطهّر بن طاهر المقدسي المتوفّىٰ سنة ٥٠٧ هـ / نشر: دار صادر ـ بيروت.

٢٠ ـ **البداية والنهاية .**

تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفّى سنة ٧٧٤هـ / نشر: مكتبة المعارف ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٣ هـ .

٢١ ـ **البدر الطالع: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع .**

تأليف: محمّد بن علي الشوكاني المتوفّىٰ سنة ١٢٥٠ هـ / نشر: مطبعة السعادة ـ القاهرة / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٤٨ هـ .

٢٢ ـ **بلوغ الإرب: بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب .**

تأليف: محمّد شكري عبدالله محمود الآلوسي البغدادي / تحقيق: محمّد بهجة الأثري /

نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

٢٣ ـ بهجة الآمال: بهجة الآمال في شرح زبدة المقال.

تأليف: علي العلياري التبريزي المتوفّىٰ سنة ١٣٢٧ هـ / طبع: المطبعة العلميّة ـ قم / ١٤٠٨هـ.

٢٤ ـ البيان والتبيين.

تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ المتوفّىٰ سنة ٢٥٥هـ / تحقيق: عبد السلام محمّد هارون / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

٢٥ ـ بين الإسلام والمسيحية.

تأليف: أبي جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة محمّد بن أحمد بن عبد الرحمان الخزرجي القرطبي المتوفّىٰ سنة ٥٨٢هـ/ تحقيق: د.محمّد عبدالغني شامة/ نشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة / الطبعة الثانية.

٢٦ ـ تاريخ ابن معين: التاريخ.

تأليف: يحيىٰ بن معين بن عون المرّي الغطفاني البغدادي المتوفّىٰ سنة ٢٣٣ هـ / رواية: العبّاس بن محمّد بن حاتم الدوري البغدادي المتوفّىٰ سنة ٢٧١ هـ / تحقيق: عبد الله أحمد حسن / نشر: دار العلم ـ بيروت.

٢٧ ـ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: تاريخ الأدب العربي.

تأليف: كارل بروكلمان المتوفّىٰ سنة ١٩٥٦ م / تعريب: د. عبد الحليم النجّار / نشر: مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي ـ قم / الطبعة الثانية.

٢٨ ـ تاريخ بغداد: تاريخ بغداد، أو: تاريخ مدينة السلام.

تأليف: أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفّىٰ سنة ٤٦٣ هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

٢٩ ـ تاريخ الدولة العثمانية: تاريخ الدولة العلية العثمانية.

تأليف: محمّد فريد بن مصطفىٰ وجدي بن علي رشاد المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣ هـ /

تحقيق: د. إحسان حقّي / نشر: دار النفائس ـ بيروت / الطبعة الخامسة ـ ١٤٠٦هـ.

٣٠ ـ تاريخ علماء دمشق: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

تأليف: محمّد مطيع الحافظ ونزار أباظة / نشر: دار الفكر ـ دمشق / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٦هـ.

٣١ ـ التاريخ الكبير: كتاب التاريخ الكبير.

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري المتوفّىٰ سنة ٢٥٦هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٤٠٧هـ.

٣٢ ـ تاريخ مدينة دمشق.

تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفّىٰ سنة ٥٧١ هـ / تحقيق: علي شيري / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٥هـ.

٣٣ ـ تأسيس الشيعة: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام.

تأليف: أبي محمّد حسن بن هادي بن محمّد علي بن صالح الموسوي الصدر المتوفّىٰ سنة ١٣٥٤هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ طهران.

٣٤ ـ التحرير الطاووسي: التحرير الطاووسي المستخرج من كتاب «حلّ الإشكال في معرفة الرجال».

تأليف: جمال الدين أبي منصور الحسن بن زين الدين بن علي بن أحمد الجبعي العاملي المتوفّىٰ سنة ١٠١١ هـ / تحقيق: فاضل عبّاس الجواهري / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١١هـ.

٣٥ ـ تحرير المجلّة.

تأليف: محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسى بن جعفر آل كاشف الغطاء النجفي المتوفّى سنة ١٣٧٣ هـ / تحقيق: محمّد جاسم داغر الساعدي / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢هـ.

٣٦ ـ تذكرة الحفّاظ.

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ

سنة ٧٤٨هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٧ ـ تراجم الرجال.

تأليف: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤١٤هـ.

٣٨ ـ تفسير الفخر الرازي: التفسير الكبير، أو: مفاتيح الغيب.

تأليف: فخر الدين أبي عبدالله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي البكري الطبرستاني الشافعي المعروف بالفخر الرازي وابن خطيب الري المتوفّىٰ سنة ٦٠٦هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٥هـ.

٣٩ ـ تكملة أمل الآمل.

تأليف: أبي محمّد حسن بن هادي بن محمّد علي بن صالح الموسوي الصدر المتوفّىٰ سنة ١٣٥٤هـ / تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٦هـ.

٤٠ ـ تنقيح المقال: تنقيح المقال في علم الرجال.

تأليف: عبد الله بن محمّد حسن المامقاني المتوفّىٰ سنة ١٣٥١هـ / نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

٤١ ـ تهذيب التهذيب.

تأليف: أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمّد بن محمّد بن علي الكناني المصري العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٤هـ.

٤٢ ـ تهذيب الكمال: تهذيب الكمال في أسماء الرجال.

تأليف: جمال الدين أبي الحجّاج يوسف بن الزكي عبد الرحمان بن يوسف المِزّي الكلبي القُضاعي المتوفّىٰ سنة ٧٤٢هـ / تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة السادسة ـ ١٤١٥هـ.

٤٣ ـ تهذيب اللغة.

تأليف: أبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري المتوفّىٰ سنة ٣٧٠هـ / تحقيق: عمر

سلامي وعبد الكريم حامد / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١ هـ.

٤٤ ـ **الثقات لابن حبّان: كتاب الثقات.**

تأليف: أبي حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد التميمي البستي المتوفّىٰ سنة ٣٥٤ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٣ هـ.

٤٥ ـ **جامع الرواة: جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد.**

تأليف: محمّد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري من أعلام القرن الحادي عشر الهجري / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٣ هـ.

٤٦ ـ **الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث).**

تأليف: حنّا الفاخوري / نشر: دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٥م.

٤٧ ـ **الجامع لأحكام القرآن.**

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفّىٰ سنة ٦٧١ هـ / تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية.

٤٨ ـ **الجرح والتعديل: كتاب الجرح والتعديل.**

تأليف: أبي محمّد عبد الرحمان بن أبي حاتم محمّد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مَهران التميمي الحنظلي الرازي المتوفّىٰ سنة ٣٢٧ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / أُفسيت عن مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة بالهند / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٧٢ هـ.

٤٩ ـ **جمهرة الأمثال.**

تأليف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري المتوفّىٰ ما بعد الأربع مائة الهجرية / تحقيق: محمّد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش / نشر: دار الجبل ودار الفكر ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨هـ.

٥٠ ـ جنّة المأوى.

تأليف: محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسى بن جعفر آل كاشف الغطاء النجفي المتوفّى سنة ١٣٧٣هـ/ تحقيق: محمّد علي القاضي الطباطبائي/ نشر: دار أنوار الهدى ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٦ هـ.

٥١ ـ الجواهر: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام.

تأليف: محمّد حسن بن باقر بن عبد الرحيم النجفي الجواهري المتوفّىٰ سنة ١٢٦٦ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة السابعة ـ ١٤٠١ هـ.

٥٢ ـ الحكمة المتعالية: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة.

تأليف: صدر الدين محمّد بن إبراهيم بن يحيىٰ القوامي الشيرازي المعروف بصدر المتألّهين المتوفّىٰ سنة ١٠٥٠ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤١٠ هـ.

٥٣ ـ حلية الأولياء: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران الأصبهاني المتوفّىٰ سنة ٤٣٠ هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٩ هـ.

٥٤ ـ حول الوحدة الإسلاميّة: حول الوحدة الإسلاميّة (أفكار ودراسات).

إعداد ونشر: معاونيّة العلاقات الدوليّة في منظّمة الإعلام الإسلامي ـ طهران / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٩ هـ.

٥٥ ـ خزانة الأدب: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب.

تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي المتوفّىٰ سنة ١٠٩٣ هـ / تحقيق: د. محمّد نبيل طريفي/ نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨ هـ.

٥٦ ـ خطاب الوحدة الإسلاميّة: خطاب الوحدة الإسلاميّة (مساهمات الفكر الإصلاحي الشيعي).

تأليف: زكي الميلاد / نشر: دار الصفوة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧هـ.

٥٧ ـ خطبة الباكستان.

تأليف: محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسى بن جعفر آل كاشف

الغطاء النجفي المتوفّى سنة ١٣٧٣هـ/ طبع: المطبعة الكاظميّة ـ البصرة.

٥٨ ـ **الخلاصة: خلاصة الأقوال في معرفة الرجال.**

تأليف: جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي المتوفّىٰ سنة ٧٢٦هـ / تحقيق: جواد القيّومي الأصفهاني / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥هـ.

٥٩ ـ **دائرة المعارف الإسلاميّة.**

تأليف: مجموعة من الباحثين الأجانب / تعريب: أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس / مراجعة: د. محمّد مهدي علّام / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

٦٠ ـ **دائرة المعارف الشيعيّة العامّة: مقتبس الأثر ومجدّد ما دثر من تاريخ البشر.**

تأليف: محمّد حسين بن سليمان بن ولي الله بن أمر الله بن عبد الله الأعلمي الحائري المهرجاني المتوفّىٰ سنة ١٣٩١هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣هـ.

٦١ ـ **الدرّ المنثور: الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور.**

تأليف: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين الخضيري السيوطي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٩١١هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

٦٢ ـ **دلائل الصدق: دلائل الصدق لنهج الحقّ.**

تأليف: محمّد حسن المظفّر المتوفّىٰ سنة ١٣٧٥هـ / تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ دمشق / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢هـ.

٦٣ ـ **دول الإسلام.**

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨هـ / تحقيق: فهيم محمّد شلتوت ومحمّد مصطفىٰ إبراهيم / نشر: الهيئة المصرية العامّة للكتاب ـ مصر / ١٩٧٤م.

٦٤ـ **الدين والإسلام: الدين والإسلام، أو: الدعوة الإسلاميّة.**

تأليف: محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسى بن جعفر آل كاشف الغطاء النجفي المتوفّى سنة ١٣٧٣هـ/ تحقيق: محمّد جاسم داغر الساعدي/ نشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٨هـ.

٦٥ـ **ديوان أبي نؤاس.**

تحقيق وشرح: أحمد عبد المجيد الغزالي / إشراف: عزيز أباظة / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت / ١٤١٢هـ.

٦٦ـ **ديوان المتنبّي.**

شرح وتعليق: مصطفىٰ سبيتي / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٦هـ.

٦٧ـ **الذريعة: الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة.**

تأليف: محسن أغا بزرك الطهراني المتوفّىٰ سنة ١٣٨٨ هـ / نشر: دار الأضواء ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣هـ.

٦٨ـ **رجال الطوسي: كتاب الرجال.**

تأليف: أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّىٰ سنة ٤٦٠ هـ / تحقيق: جواد القيّومي الأصفهاني / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥هـ.

٦٩ـ **رجال الكشّي: اختيار معرفة الرجال، أو: اختيار معرفة الناقلين.**

تأليف: أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّىٰ سنة ٤٦٠ هـ / تعليق: محمّد بن محمّد باقر الحسيني ميرداماد الإسترابادي المعروف بالمعلّم الثالث المتوفّىٰ سنة ١٠٤١ هـ / تحقيق: مهدي الرجائي / نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / ١٤٠٤هـ.

٧٠ـ **رجال النجاشي: فهرست أسماء مصنّفي الشيعة.**

تأليف: أبي العبّاس أحمد بن علي بن العبّاس النجاشي الأسدي المتوفّىٰ سنة ٤٥٠هـ / تحقيق: موسىٰ الشبيري الزنجاني / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة

لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة السادسة ـ ١٤١٨ هـ.

٧١ ـ روضات الجنّات: روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات.

تأليف: محمّد باقر بن زين العابدين بن أبي القاسم بن حسين الموسوي الخوانساري الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ١٣١٣ هـ / نشر: مكتبة إسماعيليّان ـ قم.

٧٢ ـ الرياض: رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل.

تأليف: علي بن محمّد بن علي الطباطبائي المتوفّىٰ سنة ١٢٣١ هـ / تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨ هـ.

٧٣ ـ رياض العلماء: رياض العلماء وحياض الفضلاء.

تأليف: عبد الله أفندي الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ١١٣٠ هـ / تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤١٥ هـ.

٧٤ ـ ريحانة الأدب: ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب.

تأليف: محمّد علي بن محمّد طاهر المدرّس التبريزي الخياباني المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣هـ/ طبع: مطبعة الشركة العامّة لطبع الكتب ـ إيران / الطبعة الثانية ـ ١٣٣٥ هـ. ش.

٧٥ ـ السرائر: السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي.

تأليف: أبي جعفر محمّد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي الحلّي المتوفّىٰ سنة ٥٩٨ هـ / تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤١٠ هـ.

٧٦ ـ سفينة البحار.

تأليف: عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّى سنة ١٣٥٩ هـ / نشر: دار الأُسوة ـ طهران وقم / الطبعة الثانية ـ ١٤١٦ هـ.

٧٧ ـ سمط اللآلي.

تأليف: أبي عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمّد البكري المتوفّىٰ سنة ٤٩٦ هـ / تحقيق: عبد العزيز الميمني / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧٨ ـ سنن ابن ماجة: كتاب السنن.

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة المتوفّىٰ سنة ٢٧٥ هـ/

تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

٧٩ ـ **السنن الكبرىٰ للبيهقي: السنن الكبرىٰ.**

تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٥٨ هـ / نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٨٠ ـ **سير أعلام النبلاء.**

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق: مجموعة من الباحثين / إشراف: شعيب الأرناؤوط / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الحادية عشرة ـ ١٤١٧ هـ.

٨١ ـ **شخصيّات لها تاريخ.**

تأليف: عبدالرحمان المصطاوي / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هـ.

٨٢ ـ **شذرات الذهب: شذرات الذهب في أخبار من ذهب.**

تأليف: أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد الحنبلي المعروف بابن العماد المتوفّىٰ سنة ١٠٨٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤هـ.

٨٣ ـ **شرح المقاصد.**

تأليف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني الخراساني الشافعي المتوفّىٰ سنة ٧٩٣هـ / تحقيق: د. عبد الرحمان عميرة / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٣٧١ هـ. ش.

٨٤ ـ **شعراء الغري: شعراء الغري، أو: النجفيّات.**

تأليف: علي الخاقاني النجفي / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٨هـ / أُفسيت عن المطبعة الحيدريّة ـ النجف / ١٣٧٣ هـ.

٨٥ ـ **الشيعة في مصر: لصالح الورداني: الشيعة في مصر.**

تأليف: صالح الورداني / نشر: بيروت.

٨٦ ـ **صحيح البخاري: الصحيح.**

تأليف: أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري

الجعفي المتوفّىٰ سنة ٢٥٦ هـ / تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البُغا / نشر: دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق وبيروت / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٤هـ.

٨٧ـ **الصحيفة السجّاديّة (مجموعة أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام).**

تصحيح ونشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٣ هـ.

٨٨ـ **صفوة الصفوة.**

تأليف: أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد بن علي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق: محمود فاخوري ود. محمّد روّاس قلعجي / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٦هـ.

٨٩ـ **طبقات الشافعيّة لابن قاضي شهبة: طبقات الشافعيّة.**

تأليف: تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمّد بن عمر بن محمّد الأسدي الدمشقي المعروف بابن قاضي شهبة المتوفّىٰ سنة ٨٥١ هـ / تحقيق: د. عبد العليم خان / نشر: دار الندوة الجديدة ـ بيروت / ١٤٠٧ هـ.

٩٠ـ **طبقات الشافعيّة لابن هداية الله: طبقات الشافعيّة.**

تأليف: أبي بكر بن هداية الله الحسيبي المريواني الكوراني الكردي المعروف بالمصنّف المتوفّىٰ سنة ١٠١٤ هـ / طبع: مطبعة بغداد ـ بغداد / ١٣٥٦ هـ.

٩١ـ **طبقات الشافعيّة للسبكي: طبقات الشافعيّة الكبرىٰ.**

تأليف: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المتوفّىٰ سنة ٧٧١ هـ / تحقيق: عبد الفتّاح محمّد الحلو ومحمود محمّد الطناحي / نشر: دار إحياء الكتب العربيّة ـ القاهرة.

٩٢ـ **الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: الطبقات الكبرىٰ.**

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن سعد بن منيع الزهري البصري المتوفّىٰ سنة ٢٣٠ هـ / نشر: دار بيروت ـ بيروت / ١٤٠٥ هـ.

٩٣ـ **طبقات الشعراء لابن سلّام: طبقات الشعراء.**

تأليف: محمّد بن سلّام الجمحي المتوفّىٰ سنة ٢٣١ هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

٩٤ ـ طبقات المفسّرين للداودي: طبقات المفسّرين.

تأليف: شمس الدين محمّد بن علي بن أحمد الداودي المتوفّىٰ سنة ٩٤٥هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٣هـ.

٩٥ ـ العبر: العبر في خبر من غَبَر.

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨هـ / تحقيق: د. صلاح الدين المنجد / نشر: دائرة المطبوعات ـ الكويت / ١٩٦٠م.

٩٦ ـ العبقات العنبريّة: العبقات العنبريّة في الطبقات الجعفريّة.

تأليف: محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسىٰ بن جعفر آل كاشف الغطاء النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣هـ / تحقيق: د. جودت القزويني / نشر: دار بيسان ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨هـ.

٩٧ ـ العقد الثمين: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.

تأليف: تقي الدين محمّد بن أحمد الحسني الفاسي المكّي المتوفّىٰ سنة ٨٣٢هـ / تحقيق: محمّد عبد القادر أحمد عطا / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٩هـ.

٩٨ ـ الغدير: الغدير في الكتاب والسنّة والأدب.

تأليف: عبد الحسين أحمد الأميني النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٢هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٤هـ.

٩٩ ـ الفتح المبين: الفتح المبين في طبقات الأُصوليّين.

تأليف: عبدالله مصطفى المراغي / نشر: مصر.

١٠٠ ـ الفردوس الأعلى.

تأليف: محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسىٰ بن جعفر آل كاشف الغطاء النجفي المتوفّى سنة ١٣٧٣هـ / تحقيق: محمّد علي القاضي الطباطبائي / نشر: دار أنوار الهدى ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٦هـ.

١٠١ ـ **فهرس التراث.**

تأليف: محمّد حسين الحسيني الجلالي / تحقيق: محمّد جواد الحسيني الجلالي / نشر: دليل ما (دليلنا) ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

١٠٢ ـ **الفهرست: فهرست كتب الشيعة وأُصولهم وأسماء المصنّفين وأصحاب الأُصول.**

تأليف: أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّىٰ سنة ٤٦٠ هـ / تحقيق: عبد العزيز الطباطبائي / نشر: مكتبة المحقّق الطباطبائي ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٠ هـ.

١٠٣ ـ **فهرست ابن النديم: الفهرست.**

تأليف: أبي الفرج محمّد بن إسحاق بن محمّد بن إسحاق النديم الورّاق المتوفّىٰ سنة ٤٣٨ هـ / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٧هـ.

١٠٤ ـ **الفوائد الرضويّة: الفوائد الرضويّة في أحوال علماء مذهب الجعفريّة.**

تأليف: عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٩ هـ / طبع: إيران.

١٠٥ ـ **فوات الوفيات: فوات الوفيات والدليل عليها.**

تأليف: محمّد بن شاكر الكتبي المتوفّىٰ سنة ٧٦٤هـ / د. إحسان عبّاس / نشر: دار صادر ـ بيروت.

١٠٦ ـ **القاموس المحيط: القاموس المحيط.**

تأليف: أبي طاهر مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفّىٰ سنة ٨١٧ هـ / نشر: دار الجيل ـ بيروت.

١٠٧ ـ **القبسات.**

تأليف: برهان الدين محمّد بن محمّد باقر الحسيني ميرداماد الإستراباديّ المعروف بالمعلّم الثالث المتوفّىٰ سنة ١٠٤١ هـ / تصحيح: مهدي محقّق وعلي الموسوي البهبهاني وإبراهيم الديباجي وتوشي هيكو إيزوتسو / نشر: مؤسّسة الدراسات الإسلاميّة ـ طهران / ١٣٩٧ هـ.

١٠٨ ـ قصّة الفلسفة: قصّة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي.

تأليف: وِل ديورَانت / تعريب: د. فتح الله محمّد المشعشع / نشر: مكتبة المعارف ـ بيروت / الطبعة السادسة ـ ١٤٠٨ هـ.

١٠٩ ـ كاشف الغطاء (أذان بيداري) (كاشف الغطاء.. أذان النهضة).

تأليف: محمّد رضا سمّاك أماني / نشر: المجع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٣٨٣ هـ. ش.

١١٠ ـ كاشف الغطاء (سوره خشم) (كاشف الغطاء.. سُورة الغضب).

تأليف: محمّد رضا سمّاك أماني / نشر: منظّمة الإعلام الإسلامي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٣٧٢ هـ. ش.

١١١ ـ الكافي.

تأليف: أبي جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المعروف بثقة الإسلام المتوفّىٰ سنة ٣٢٩ هـ / تحقيق: علي أكبر الغفاري / نشر: دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٨ هـ.

١١٢ ـ الكامل في التأريخ.

تأليف: أبي الحسن عزّ الدين علي بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفّىٰ سنة ٦٣٠ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٣٩٨ هـ.

١١٣ ـ الكشّاف: الكشّاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

تأليف: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمّد بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفّىٰ سنة ٥٣٨ هـ / تصحيح: مصطفىٰ حسين أحمد / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١١٤ ـ الكشف والبيان: الكشف والبيان في تفسير القرآن.

تأليف: أبي إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٢٧ هـ / تحقيق: أبي محمّد بن عاشور / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

١١٥ ـ كلمة التصوّف (ضمن الرسائل الثلاث لشيخ الإشراق): رسالة كلمة التصوّف.

تأليف: شهاب الدين أبي الفتوح يحيىٰ بن حبش بن أميرك السهروردي المتوفّىٰ سنة ٥٨٧ هـ / تصحيح: نجف قلي حبيبي / نشر: جمعية الفلسفة ـ طهران / ١٣٩٧ هـ.

١١٦ ـ الكنىٰ والألقاب.

تأليف: عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٩ هـ / نشر: مكتبة الصدر ـ طهران / الطبعة الخامسة ـ ١٣٦٨ هـ. ش.

١١٧ ـ كنز العمّال: كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال.

تأليف: علاء الدين علي المتّقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفّىٰ سنة ٩٧٥ هـ / ضبط وتفسير الغريب من الكتاب: بكري حيّاني / تصحيح وفهرسة: صفوة السقّا / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤٠٩ هـ.

١١٨ ـ لسان العرب: لسان العرب في اللغة والأدب.

تأليف: جمال الدين أبي الفضل محمّد بن مكرّم بن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي المصري المعروف بابن منظور المتوفّىٰ سنة ٧٧١ هـ / تصحيح: أمين محمّد عبد الوهاب ومحمّد الصادق العبيدي / نشر: دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التاريخ العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٩ هـ.

١١٩ ـ لسان الميزان.

تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٦ هـ.

١٢٠ ـ لغت نامه.

تأليف: علي أكبر دهخدا المتوفّىٰ سنة ١٩٥٥م / نشر: مؤسّسة انتشارات دانشگاه (جامعة) طهران ـ طهران / الطبعة الثانية ـ ١٣٧٧ هـ.ش.

١٢١ ـ اللمحات (ضمن الرسائل الثلاث لشيخ الإشراق): رسالة اللمحات.

تأليف: شهاب الدين أبي الفتح يحيىٰ بن حبش بن أميرك السهروردي المتوفّىٰ سنة ٥٨٧ هـ / تصحيح: نجف قلي حبيبي / نشر: جمعية الفلسفة ـ طهران / ١٣٩٧ هـ.

١٢٢ ـ لؤلؤة البحرين: لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث.

تأليف: يوسف بن أحمد البحراني المتوفىٰ سنة ١١٨٦ هـ / تحقيق: محمّد صادق بحر العلوم / نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الثانية.

١٢٣ ـ اللوامع الإلهيّة: اللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة.

تأليف: جمال الدين المقداد بن عبد الله الحلّي السيوري المعروف بالفاضل المقداد المتوفىٰ سنة ٨٢٦ هـ / تحقيق: محمّد علي القاضي الطباطبائي / نشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٢ هـ.

١٢٤ ـ المباحثات.

تأليف: أبي علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي البخاري المعروف بالشيخ الرئيس المتوفىٰ سنة ٤٢٨ هـ / تحقيق: محسن بيدارفر / نشر: بيدار ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٣ هـ.

١٢٥ ـ المثل العليا في الإسلام: المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون.

تأليف: محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسىٰ بن جعفر آل كاشف الغطاء النجفي المتوفّى سنة ١٣٧٣هـ/ نشر: إيران.

١٢٦ ـ مثنوي معنوي.

تأليف: جلال الدين محمّد بن محمّد البلخي الرومي المولوي المتوفّى سنة ٦٧٢ هـ/ مقابلة وتصحيح: نيكلسون / نشر: ناهيد ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٣٧٥ هـ. ش.

١٢٧ ـ مجمع الأمثال.

تأليف: أبي الفضل أحمد بن محمّد بن إبراهيم الميداني النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٥١٨ هـ / نشر: دار ومكتبة الحياة ـ بيروت / ١٩٦١ م.

١٢٨ ـ مجمع البيان: مجمع البيان في تفسير القرآن.

تأليف: أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المعروف بأمين الإسلام المتوفّىٰ سنة ٥٤٨ هـ / تحقيق: لجنة من الأفاضل / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥ هـ.

١٢٩ ـ مجمع الرجال .

تأليف: زكي الدين عناية الله بن علي القهبائي المتوفّىٰ بعد سنة ١٠١٦ هـ / تحقيق: ضياء الدين الأصفهاني / نشر: مؤسّسة إسماعيليّان ـ قم.

١٣٠ ـ مجمع الزوائد: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .

تأليف: نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفّىٰ سنة ٨٠٧ هـ / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٢ هـ.

١٣١ ـ مجمع الفائدة: مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان .

تأليف: أحمد بن محمّد الأردبيلي المعروف بالمقدّس المتوفّىٰ سنة ٩٩٣ هـ / تحقيق: مجتبىٰ العراقي وعلي پناه الاشتهاردي وحسين اليزدي الأصفهاني / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / ١٤٠٢ هـ.

١٣٢ ـ محاورة الإمام مع السفيرين: محاورة الإمام كاشف الغطاء مع السفيرين البريطاني والأمريكي .

إعداد وطبع: المطبعة الحيدريّة ـ النجف / الطبعة الثالثة.

١٣٣ ـ مخزن المعاني: مخزن المعاني في ترجمة المحقّق المامقاني.

تأليف: عبدالله بن محمّد حسن بن عبدالله المامقاني المتوفّىٰ سنة ١٣٥١ هـ/ تحقيق واستدراك: محمّد رضا المامقاني / نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هـ.

١٣٤ ـ مرآة الجنان: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان.

تأليف: أبي محمّد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكّي المتوفّىٰ سنة ٧٦٨ هـ / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ.

١٣٥ ـ مروج الذهب: مروج الذهب ومعادن الجوهر .

تأليف: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفّىٰ سنة ٣٤٦ هـ / تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد / نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

١٣٦ ـ مستدركات أعيان الشيعة.

تأليف: حسن محسن عبدالكريم الأمين العاملي المتوفّىٰ سنة ١٤٢٣ هـ / نشر:

دارالتعارف ـ بيروت / ١٤٠٨هـ.

١٣٧ ـ مسند أحمد: المسند.

تأليف: أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفّىٰ سنة ٢٤١هـ/ نشر: دار صادر ـ بيروت.

١٣٨ ـ مشارق الأنوار: مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين.

تأليف: رجب بن محمّد بن رجب البرسي الحلّي المتوفّىٰ بعد سنة ٨١٣ هـ / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٤هـ.

١٣٩ ـ مشاهير علماء الأمصار.

تأليف: أبي حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد التميمي البَستي المتوفّىٰ سنة ٣٥٤هـ / تصحيح: م. فلايشهمر / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٤٠ ـ مشكاة المصابيح.

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفّىٰ سنة ٧٤١هـ / تحقيق: سعيد محمّد اللحّام / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٢١هـ.

١٤١ ـ مصباح المتهجّد: مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد.

تأليف: أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّى سنة ٤٦٠هـ / تصحيح ونشر: إسماعيل الأنصاري الزنجاني ـ إيران.

١٤٢ ـ مصفىٰ المقال: مصفىٰ المقال في مصنّفي علم الرجال.

تأليف: محسن أغا بزرك الطهراني المتوفّىٰ سنة ١٣٨٩هـ / تصحيح: أحمد منزوي / نشر: مطبعة إيران الدوليّة ـ إيران / الطبعة الأُولى ـ ١٩٥٩م.

١٤٣ ـ مع علماء النجف الأشرف.

تأليف: محمّد الغروي / نشر: دار الثقلين ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٠هـ.

١٤٤ ـ المعارف.

تأليف: أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفّىٰ سنة ٢٧٦هـ / تحقيق: ثروت عكاشة / نشر: مطبعة دار الكتب / ١٩٦٠م.

١٤٥ ـ معارف الرجال: معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء.

تأليف: محمّد بن علي بن عبد الله حرز الدين النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٦٥هـ/ نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٥هـ.

١٤٦ ـ معاهد التنصيص: معاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص.

تأليف: عبد الرحمان بن أحمد العبّاسي المتوفّىٰ سنة ٩٦٣ هـ / تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد / نشر: عالم الكتب ـ بيروت.

١٤٧ ـ معجم الأُدباء.

تأليف: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي المتوفّىٰ سنة ٦٢٦ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٠هـ.

١٤٨ ـ معجم الأُدباء للجبوري: معجم الأُدباء (من العصر الجاهلي حتّىٰ سنة ٢٠٠٢ م).

تأليف: كامل سلمان الجبوري / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤هـ.

١٤٩ ـ معجم الاستشهادات.

تأليف: د. علي القاسمي / نشر: مكتبة لبنان ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠١ م.

١٥٠ ـ معجم أسماء المستشرقين.

إعداد: د. يحيى مراد / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٤م.

١٥١ ـ معجم رجال الفكر والأدب: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام.

تأليف: د. محمّد هادي عبد الحسين الأميني النجفي / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ.

١٥٢ ـ معجم الشعراء للجبوري: معجم الشعراء (من العصر الجاهلي حتّىٰ سنة ٢٠٠٢ م).

تأليف: كامل سلمان الجبوري / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٣ م.

١٥٣ ـ معجم ما كُتب عن الرسول وأهل البيت.

تأليف: د. عبد الجبّار الرفاعي / نشر: منظّمة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٣٧١ هـ. ش.

١٥٤ ـ معجم المطبوعات العربيّة: معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة.

تأليف: يوسف إليان سركيس المتوفّىٰ سنة ١٣٥١ هـ / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم.

١٥٥ ـ معجم المفسّرين لنويهض: معجم المفسّرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر.

تأليف: عادل نويهض / نشر: مؤسّسة نويهض الثقافيّة ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٩هـ.

١٥٦ ـ معجم مؤرّخي الشيعة.

تأليف: د. صائب عبد الحميد / نشر: مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ.

١٥٧ ـ معجم مؤلّفي الشيعة.

تأليف: علي الفاضل القائيني النجفي / نشر: مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٥هـ.

١٥٨ ـ معجم المؤلّفين.

تأليف: عمر رضا كحّالة / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٥٩ ـ معجم المؤلّفين والكتّاب العراقيّين.

تأليف: د. صباح نوري المرزوك / نشر: بيت الحكمة ـ بغداد / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٢م.

١٦٠ ـ معرفة الصحابة.

تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مهران الأصبهاني المتوفّى سنة ٤٣٠ هـ / تحقيق: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل ومسعد عبدالحميد السعدني / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

١٦١ ـ المغرب في حلى المغرب.

تأليف: ستّة من أُدباء الأندلس خلال مائة وخمسة عشر عاماً / تحقيق: د. شوقي ضيف / نشر: دار المعارف ـ القاهرة / الطبعة الثالثة.

١٦٢ ـ المقتنى في سرد الكنى.

تأليف: أبي عبدالله شمس الدين محمّد بن أحمد عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨هـ / اعتناء: أيمن صالح شعبان / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨هـ.

١٦٣ ـ ملحق موسوعة السياسة.

تأليف: د. خليل أحمد خليل / نشر: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٤م.

١٦٤ ـ المنتظم: المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك.

تأليف: أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد بن علي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق: محمّد عبد القادر عطا ومصطفىٰ عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٢هـ.

١٦٥ ـ منتهىٰ المقال: منتهىٰ المقال في أحوال الرجال.

تأليف: أبي علي محمّد بن إسماعيل المازندراني الحائري المتوفّىٰ سنة ١٢١٦ هـ/ تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٦ هـ.

١٦٦ ـ المنجد في الأعلام.

تأليف: جماعة من المتخصّصين / نشر: دار المشرق ـ بيروت / الطبعة الحادية والعشرون ـ ١٩٩٦ م.

١٦٧ ـ منهج المقال: منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال.

تأليف: محمّد بن علي بن إبراهيم الإسترابادي المتوفّى سنة ١٠٢٨هـ/ تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم/ الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

١٦٨ ـ الموجز في الأدب العربي وتاريخه.

تأليف: حنّا الفاخوري / نشر: دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١١هـ.

١٦٩ ـ **موسوعة أعلام العرب.**

تأليف: مجموعة من المفكّرين / نشر: بيت الحكمة ـ بغداد / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠هـ.

١٧٠ ـ **موسوعة أعلام الفلسفة: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب.**

تأليف: روني إيلي ألفا / مراجعة: د. جورج نخل / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٢هـ.

١٧١ ـ **موسوعة السياسة.**

تأليف: د. عبد الوهاب الكيّالي وجماعة من المتخصّصين / نشر: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٩م.

١٧٢ ـ **موسوعة طبقات الفقهاء.**

تأليف: اللجنة العلمية في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام / نشر: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤هـ.

١٧٣ ـ **موسوعة العتبات المقدّسة.**

تأليف: جعفر الخليلي / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٧هـ.

١٧٤ ـ **موسوعة الفلسفة.**

تأليف: د. عبد الرحمان بدوي / نشر: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٤م.

١٧٥ ـ **موسوعة قبائل العرب.**

إعداد: عبدالكريم الوائلي / نشر: دار أُسامة ـ عمّان / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٢م.

١٧٦ ـ **موسوعة المورد.**

تأليف: منير البعلبكي / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٠م.

١٧٧ ـ **موسوعة النجف الأشرف.**

تأليف: جعفر الدجيلي / نشر: دار الأضواء ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٣هـ.

١٧٨ ـ **ميزان الاعتدال: ميزان الاعتدال في نقد الرجال.**

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّى

سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق: علي محمّد البجّاوي / نشر: دار إحياء الكتب العربيّة ـ مصر / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٨٢ هـ.

١٧٩ ـ **نزهة الأرواح: نزهة الأرواح وروضة الأفراح (تاريخ الحكماء).**

تأليف: شمس الدين محمّد بن محمود الشهرزوري / الترجمة للفارسية: مقصود علي تبريزي / مراجعة: محمّد تقي دانش پژوه ومحمّد سرور مولائي / نشر: شركة النشر العلميّة والثقافيّة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٣٦٥ هـ. ش.

١٨٠ ـ **نزهة الجليس: نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس.**

تأليف: العبّاس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي المكّي المتوفّىٰ حدود سنة ١١٨٠ هـ / نشر: المطبعة الحيدرية ـ النجف / ١٩٦٧ م.

١٨١ ـ **نسمة السحر: نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر.**

تأليف: ضياء الدين يوسف بن يحيىٰ الحسيني اليمني الصنعاني المتوفّىٰ سنة ١١٢١ هـ / تحقيق: كامل سلمان الجبوري / نشر: دار المؤرّخ العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

١٨٢ ـ **نقباء البشر.**

تأليف: محسن أغا بزرك الطهراني المتوفّىٰ سنة ١٣٨٨ هـ / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٨٣ ـ **النهاية الأثيرية: النهاية في غريب الحديث والأثر .**

تأليف: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري الشافعي المعروف بابن الأثير المتوفّىٰ سنة ٦٠٦ هـ / تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

١٨٤ ـ **نهج البلاغة (خطب ورسائل وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام).**

جمع: أبي الحسن محمّد بن الحسين بن موسى بن محمّد الموسوي البغدادي المعروف بالشريف الرضي المتوفّىٰ سنة ٤٠٦ هـ / ضبط النصوص والفهارس: د. صبحي الصالح / نشر: دار الهجرة ـ قم / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٢ هـ.

١٨٥ ـ **هديّة العارفين.**

تأليف: إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي المتوفّىٰ سنة ١٣٣٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٠ هـ.

١٨٦ ـ **هكذا عرفتهم.**

تأليف: جعفر الخليلي / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم.

١٨٧ ـ **الوسائل: تفصيل وسائل الشيعة إلىٰ تحصيل مسائل الشريعة.**

تأليف: محمّد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي المتوفّىٰ سنة ١١٠٤ هـ / تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٦ هـ.

١٨٨ ـ **وفيات الأعيان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.**

تأليف: شمس الدين أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان الأربلي المتوفّىٰ سنة ٦٨١ هـ / تحقيق: د. إحسان عبّاس / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٣٦٤ هـ. ش / أُفسيت عن دار صادر ـ بيروت / ١٩٦٨ م.

فهرس الموضوعات

مقدّمة المجمع ٥
مقدّمة المؤلّف ٧

الفصل الأول

بطاقته الشخصيّة

اسمه ونسبه ١١
والداه ١٤
ولادته ١٤
أُسرته ١٤

الفصل الثاني

أساتذته وتلامذته وإجازاته

نشأته العلميّة ٢١
أساتذته ٢٢
تلامذته ٢٥
إجازاته ٣١

الفصل الثالث

قبس من سيرته

برنامجه اليومي ٣٥
شخصيّته ٣٦
أسفاره ورحلاته ٣٧
مكتبته ٤١
طرائف نادرة للشيخ كاشف الغطاء ٤٢

الفصل الرابع

علمه وأدبه

علمه ٤٩
مسألة فقهيّة حول قسمة الدين ٥٣
مسألة فلسفيّة حول العقول العشرة، وقاعدة: (أنّ الواحد لا يصدر عنه إلّا واحد) ٥٩
أسئلة قرآنيّة تفسيريّة موجّهة إلى الإمام كاشف الغطاء ٦٥
أدبه ٨٣

الفصل الخامس

مواقفه السياسيّة والإصلاحيّة

تمهيد ٩١
جهاد الشيخ كاشف الغطاء ٩٥
المؤتمر الإسلامي في الباكستان ١٠٢

موقفه من مؤتمر بحمدون ١٠٣
رسالة إلى محمّد علي جناح ١٢٣
الوقوف بوجه السفير البريطاني ١٢٤
الوقوف بوجه السفير الأمريكي ١٣٠

الفصل السادس

جهوده التقريبيّة

رسالة الإمام كاشف الغطاء للشيخ الإبراهيمي ١٣٩
رسالة الإمام كاشف الغطاء لأحد الكتّاب المصريّين ١٤٢
رسالة شكر إلى الأُستاذ أحمد محمّد شاكر المصري ١٤٦
إبطال العادات المزعجة في العشرة الأُولى من شهر ربيع الأوّل للحيلولة
دون المساس بمشاعر أبناء السنّة ١٤٧
المؤتمر الإسلامي العالمي ١٤٩
سؤال موجّه للإمام كاشف الغطاء، وجوابه ١٥٧
مقالان للشيخ حول الوحدة الإسلاميّة: ١٥٩
المقال الأوّل: كيف يتّحد المسلمون؟ ١٥٩
المقال الثاني: جماعة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ١٦٩

الفصل السابع

مؤلّفاته وآثاره

استعراض مؤلّفاته ١٧٧

الفصل الثامن
وفاته وما قيل في شخصه

مرضه ووفاته ومدفنه ١٩٥
ما قيل في شخصه ١٩٩
فهرس المصادر ٢١١
فهرس الموضوعات ٢٣٧